

المقاومة الإسلامية ومشروع استنهاض الأمة

فرج أحمد شقير

دار الهادي

المقاومة الإسلامية

ومشروع استنهاض الأمة



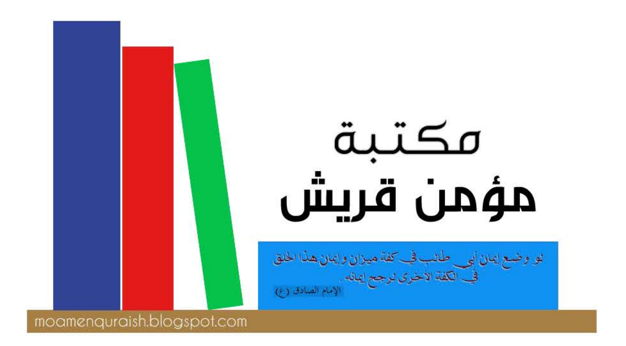
المقاومة الإسلامية
ومشروع استنهاض الأمة

إعداد
فرج أحمد شقير



للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص. ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإهـــداء

إلى الابطال الذين حرروا لبنان من الاحتلال الصهيوني.

إلى الذين قضوا على درب المقاومة شهداء.

إلى الذين ما زالوا ينتظرون الشهادة وما بدلوا تبديلا.

إلى الجنود المجهولين في مسيرة المقاومة في لبنان، أقدم هذا الجهد المتواضع لعله يثلج قلوبهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين.

فرج شقير

المختصرات

ط = طبعة

ج = جزء

ص = صفحة

هـ = هجري

م = ميلادي

ب ط = بدون طبعة

ب ت = بدون تاريخ

ب د = بدون دار

(رض) = رضوان الله عليه

(قده) = قدس الله سره

المقدمة

الصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إنّ قضيّة المقاومة ضدّ الظلم والاحتلال لهي من أوثق المسائل المرتبطة بالمجتمع والدين، وهي من أهمّ نقاط الافتراق بين العزّة والذلّة، واكبت وجود الإنسان منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا، وظهر الأنبياء عليهم السلام مقاومين للظلم، مناصرين للحق، ولما جاء الدين الإسلامي على يد النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، شهد التاريخ أروع ملاحم المقاومة والصبر من النبيّ العربيّ وأتباعه وأصحابه وأهل بيته، حتى تمكن من نشر دين الله على الأرض.

وإنّ ثورة كربلاء بقيادة الحسين عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله لهي أشدّ وأعظم، في التعبير عن رفض الظلم والاستعباد، ومقاومة أعداء الدين الحنيف. وما كانت مقاومة الإمام الحسين عليه السلام ضد الطاغية يزيد في ذاك العصر، إلا لإحقاق الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على دين الله، ولتعلّم الناس معنى الثورة ومعنى المقاومة.

مرت البشرية في صراعات عديدة: منها الحروب الإقليمية، ومنها الحروب العالمية، ومنها النزاعات المتفاقمة وقد عرفت أرضنا وبلادنا معظمها، لكن أشدها وطأة وآلمها وقعاً كان احتلال فلسطين، وما نجم عنه لاحقاً من احتلال للأراضي اللبنانية، فاندفع الشعب للمقاومة وانتفضت ثلة من أبناء الوطن تحمل القرآن بيد والسلاح باليد الأخرى، لإعادة الحق إلى أهله ورفع الاحتلال المقيت والمحافظة على دين الله، اقتداءً بثورة كربلاء.

إن بحثي في المقاومة الإسلامية بالتحديد، محاولة لرفع الظلم الذي لحق بها من خلال التشويه والافتراء وإلصاق التهم والمفاهيم الخاطئة، كالاتهام بالإرهاب والقتل والفوضى، في حين كانت مثالاً للتضحية والفداء، لتجعل الانسان حراً عزيزاً.

فالمقاومة الإسلامية أرادت للأمة الاستنهاض من الذل والعبودية والظلم، لتحمل ثقافة أصيلة ونهجاً سليماً يُستقى من منابع هذا الدين، من القرآن والسنة النبوية الشريفة، والثقافة الإسلامية العريقة.

لذا، رأيت أن أكتب عن ظاهرة المقاومة لما لهذا الموضوع من أهمية، اجتماعية وفلسفية. فأعطيت الصورة الحقيقية عن المقاومة الإسلامية ومشروعها، وما حقّقته لهذه الأمة من تغيير في المفاهيم ومن انعكاسات على الفكر العربي الحديث والإسلامي العام، فأبرزت فعل المقاومة في الأمّة.

وقد كتبت لفريقين من القراء،للفريق الذي يريد أن يتعرف على

المقاومة ومشروعها بشكل عام، والفريق الذي يريد أن يبحث ويدقق ويحلل فعل المقاومة في الامة.

وقد اعتمدت المنهج التحليلي للوقوف على الأحداث التي جرت، معتمداً على الدّقة للوصول إلى اليقين.

وأرجو أن اكون قد وفقت في التوصل الى مقصدي من البحث واستطعت أن أربط بين كل ذلك لأصوغ موضوعاً متماسكاً، ليكون عربون وفاء للتضحيات التي بذلت من قبل مجاهدي المقاومة الإسلامية في لبنان، وشعبنا الابي حيث أقدم لهم كتابي هذا متوخياً النفع ومن الله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين.

فرج شقير

ميس الجبل في: ٣٠/آب/ ٢٠٠٤م

الموافق في: ١٣/ رجب/ ١٤٢٥هـ

توطئة

أنطلق لأنظر نظرة تأمل إلى الماضي البعيد؛ لأتعرف على حقيقة الإنسان منذ أن كان، نظرة تستلزم الدهشة حسبما يعتقد بعض الفلاسفة، وقد أشار إلى ذلك هادي فضل الله بقوله: «الدهشة في الفلسفة تستلزم التوقف الذي يؤدي بدوره إلى التأمل، والتأمل هو الخاصية الثالثة من خصائص الحكمة النظرية»[١].

أنطلق لأرى البداية التي بدأت بنداء من رب رحيم وكريم أعطى الأمر بالامتحان الإلهي: أن انزل أيها الإنسان من جنة يسودها اللطف والسلام والأمان، بحسب قول ملائكة الرّحمن، إلى أرض ستسفك فيها الدماء، ويعم فيها الفساد، لتبدأ الحياة الجديدة، والمسار الجديد لحركة الإنسان، باستخلاف الله عز وجل في الأرض، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[٢] وذلك كي يتعرّف هذا المخلوق على الهدف من خلقه بلسان الرحمن:

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل الى الفلسفة، ط ١، بيروت، دار المواسم، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، ص١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)] وليكون مسلطاً على كل ما خلق الله عز وجل؛ بما تعني الخلافة من معنى، والخلافة هنا غير مختصة بشخص النبي آدم عليه السلام وهذا ما يؤكده السيد محمد باقر الصدر في كتابه: «خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء»: «إن الخلافة التي تتحدث عنها الآيات الشريفة ـ بهذا الشأن ـ ليست استخلافاً لشخص آدم عليه السلام بل للجنس البشري كله»[(٢)].

وتنطلق مسيرة العبادة، وتبدأ المواجهة بين المطيعين والمتمردين إذا جاز التعبير. وأول مظاهر المواجهة كان قتل قابيل لأخيه هابيل، حيث إنّ الأول يمثل الشر، والثاني يمثّل الخير.

ومع امتداد الزمن وإرسال الأنبياء والرسل، كل واحدٍ منهم مختص بقومه، واختزن الزمن الطويل بداخله حكايات وحكايات عن الظلم ومقاومته، عن الخير والشر، حتى حان بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون المنظم والمرشد والدليل للدين الإسلامي والشاهد على أفعال العباد، كما يقول الباري عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[(٣)].

وفي آية أخرى:

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) ط ٢، بيروت، دار التعارف، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م، ص ١٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ و٤٦.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(١).

وليحمل رسالة ربه التي تشمل كل الرسالات حيث يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢).

وفي آية أخرى يدعو الله سبحانه وتعالى إلى اعتناق هذا الدين حيث يقول:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٣).

مع هذا بدأت مرحلة جديدة من الزمن، حيث بدأ أصحاب المصالح ينكرون دعوة النبيّ ﷺ وأتباعه. لكنه ثابر على نشر دعوته بين الناس ليرشدهم إلى الطريق الصحيح. فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومضت عدة سنوات قامت خلالها دولة الإسلام في المدينة المنورة، وفتح النبي ﷺ مكة وأنقذ الأمة من الجهل والتخلف وسار بها إلى العلم والنهضة، وانتشر الإسلام بين العالمين.

ويمر الزمن ويشهد وقائع عديدة وأحداثاً شتى يصعب على الباحث إحصاؤها، لكني اختصر ذلك لأقول: إن المغزى الذي أريد أن أظهره، هو: أن هذه الأمة حافظت على دين رسول الله ﷺ رغم ما تعرّضت

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

له من ضغوطات شتى من أعداء الدين. فإذا ما ألقينا نظرة سريعة إلى واقع أمتنا؛ منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى الآن، نرى أن هذه الأمة عانت ولا تزال، من أمراض كثيرة على رأسها التقاعس بنوعيه: القسري والعمدي، إضافة إلى المفاهيم الخاطئة عند بعض المسلمين الذين يعتبرون الدين مسؤولاً عن تخلّفهم، إضافة إلى بعضهم الآخر الذي يقلد الغرب بمفاسده دون معرفة النتيجة والتأثير. وهناك الكثير ممّن لم يحسنوا قراءة التّاريخ يعتبرون أن لا دخل للدين في السياسة، وقد نجد فئة تسعى بأنانية مفرطة لتفرق الجماعة. إنّ هذه الأمراض كافية لأن تفتك بالأمة من الداخل، فيأتي الاستعمار ويفتك بها من الخارج بشتى أساليبه وطرقه.

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه: كيف نقضي على هذه الأمراض التي ذكرت وعلى عواملها الداخلية والخارجية، لتكون هذه الأمة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]؟.

والجواب: هو أن ذلك يأتي عبر أمرين:

أولهما: العمل الدؤوب للقضاء على هذه الآفات، بتحصين الأنفس والمجتمع.

وثانيهما: نهضة قوية تملك رؤية مستقبلية في تغيير النفوس والتطلع إلى الواقع الأفضل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

والنهضة التي أتكلم عنها لا تكون بتوفر الإمكانات والثروات الطبيعية والبشرية فحسب؛ لأنّها لو كانت كذلك لوجب أن تكون أمتنا، بما تملك من طاقات ومواد، أعظم وأهم دول العالم.

لكن أساس النهضة هو الفكر الذي يحمله الإنسان، فإن كان منسجماً معه ومع عقله وفطرته وغريزته، فلا بدّ من أن تنتظم حياته لينهض من خلال هذا الفكر.

وإذا أجرينا مقارنة بين الأفكار السائدة في العالم ـ وهذا ليس من صميم بحثنا ـ نجد أن الإسلام ينسجم مع حاجات الإنسان وينظمها. فهو يعطيه حقوقاً ويفرض عليه واجبات، وهو كذلك ينسجم مع غرائز هذا الإنسان ويضع لها برنامجها، ثم هو ينسجم مع العقل أيضاً. ذلك أن الله العلي القدير الحكيم البديع قد خلق هذا الإنسان وأعطاه هداه ووهبه العقل المميز، ليلاحظ ويدقق ويستنتج.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[(١)].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[(٢)].

أما في المجتمع الرأسمالي، وعلى الرغم من شعاراته عن الحرية والحقوق، فإنّ مصلحة الشركات تبقى من أولويّاته، حتّى ولو تعارضت مع حياة الآخرين. كما أن المجتمع الاشتراكي يفرض الدكتاتورية على الجميع.

وبمقارنة سريعة بين النظام الإسلامي والنظامين الرأسمالي

---

(١) سورة النمل، الآية ٦.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان ٢ و٣.

والاشتراكي، أرى أن الإسلام هو الفكر الذي يستطيع أن يتغلب على ما سواه من أفكار.

إلى هنا أرى أن الصراع الدامي، منذ بداية البشرية إلى أيامنا هذه، يدور حول الفكر الذي يحمله الإنسان. وعليه فسيبقى الصراع قائماً ما دامت البشرية موجودة. . لذا أجد أن النهضة واستنهاض الأمة إنما يكونان بالفكر الذي تمثله، وأن أمتنا الإسلامية تحمل الفكر السليم الصحيح. ولكن هل هذا الفكر يطبق؟

وكيف السبيل إلى تطبيقه مع ما يرصده الأعداء لإبعاد الناس عن دين الله العظيم؟

هنا لابد من أن يقف المسلمون وقفة عز ومقاومة، للتغلب على أعداء الله، وما المقاومة التي ينطلق بها المجاهدون في هذه المرحلة من الزمن ضد أعتى أعداء الله اليهود؛ لطردهم من الأرض التي دنّسوها ولرفع الظلم عن هذه الأمة، إلا بصيص أمل على هذا الدرب الطويل الذي تتفرع منه مقاومات شتى بأساليب متنوعة.

فالمقاومة بإرادتها، تستنهض الأمة، وترجعها إلى الفكر الصحيح، إلى دين الله، إلى شريعته السمحة وخطه المستقيم. فكيف يتم ذلك؟ وما دور المقاومة في استنهاض الأمة؟

إنها حكاية طويلة بدأت قصتها مع وجود غدة سرطانية في قلب أمتنا بدءاً من فلسطين، فمنذ قيام (الكيان الغاصب) شهدت الحدود اللبنانية الفلسطينية تطورات أمنية وسياسية كان لها الأثر البالغ فيما بعد، على مسار الأزمة اللبنانية، فقد تسلل الصهاينة إلى داخل المجتمع

اللبناني، وسعوا إلى بناء شبكات من العملاء، وأقاموا علاقات سرية مع بعض الأشخاص؛ لاختراق الواقع اللبناني والنفاذ إلى الدّاخل، وكان ذلك خلال فترة تخلّي الدولة اللبنانية عن مسؤولياتها أمام احتلال بشع. تلك العلاقات ساهمت في تدعيم القواعد الأساسية للعمالة، ومع ظهور حركة المقاومة الفلسطينية جاءت حجة الصهاينة لتعزيز نفوذهم نتيجة حالة ملحة لحفظ ما يدعون انه سلامة حدودهم، علماً بأن ذلك كان طموحاً صهيونياً قديماً طالما سعوا إلى تحقيقه.

وقد عزز العدو نفوذه تمهيداً لخطوات احتلال الأرض وتسخير الشعب، من خلال خطة مدروسة، فقد اغتنم العدو فرصة الحرب الأهلية في لبنان ليدخل إلى عمق الأزمة، ويتصدى بذريعة الدفاع عن المسيحيين من الهجمات اليسارية. وقد نجح العدو في تلك الخطوة بإنجاز علاقات مع بعض المسيحيين وبعض المسلمين، وجاءت خطوة الاحتلال الصهيوني مبرمجة باحتلال الأرض اللبنانية تدريجياً منسجمة مع خطواته السابقة، التي بدأت منذ عام ألف وتسعمِئة وثمانيةٍ وسبعين، بـ«عملية الليطاني» (ترس الجليل)، وصولا إلى اجتياح عام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين تحت اسم «سلامة الجليل» الذي أعقبته انسحابات شتى، وصولاً إلى الاندحار الكبير بتاريخ الرابع والعشرين من أيّار عام ألفين الذي فرضته المقاومة، فأخلى العدو الأرض عنوةً إلا مزارع شبعا[1]. وبعض أجزاء من الأراضي اللبنانية المحتلة سابقاً.

---

(١) تبلغ مساحتها ٥٠ كلم^2، نقلاً عن: قاسم، نعيم، حزب الله، المنهج، التجربة، المستقبل، ط١، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م، ص١٩٦.

الفصل الأول

المقاومة ويقظة المجتمع

أولا: المجتمع ومعوقات النهضة.

١ ـ الاحتلال.

٢ ـ الإرهاب والعنف.

ثانيا: عوامل نشأة المقاومة في لبنان.

أولاً: المجتمع ومعوقات النهضة:

في البداية، وفي خضم البحث في موضوع حيوي كالمقاومة والاستنهاض، لا بد من تسليط الضوء على بعض المصطلحات التي تسهل توضيح المسألة بشكل عام، وما تتضمنه من جزئيات بغية تحليلها وبيان فلسفتها، وإبراز مدى تأثيرها وفعاليتها في المجتمع. وهنا أقف أمام مصطلحين أساسيين، كبداية للانطلاق وهما: المقاومة والاستنهاض؛ مع الإشارة إلى احتمال ورود مصطلحات أخرى خلال البحث سيتمّ تعريفها عند ذكرها.

إنّ كلمة مقاومة تعني في التعريف اللغوي الاصطلاحي: المضادة أي ضدّ الشيء وما وقف مقابله، لكي يمنعه أو يحدّ من فعاليته وقاوم: قواماً ومقاومة. والأصل من القوام أي: العدل والاستقامة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، و﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2]، وكذلك من القيمومية والسيطرة والتحكم بالشيء إذ يقال: ذو قيمومة على ماله وأمره، وعندما تقول: إن هذا الأمر لا قيمومية له أي: لا قوام

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٩.

له. وعندما يقال: إن فلاناً صارع فلاناً أي إنه قاومه ونازله وأراد التغلب عليه وغير ذلك، وفي الحرب يقال تقاوموا أي قام بعضهم لبعض كل يشحذ إمكاناته لكي يتغلب على الآخر[١].

وهناك نوعان من المقاومة:

النوع الأول: مقاومة من أجل كبح الاضطهاد والطغيان، بحيث يعطى الحق للأفراد بأن يتصدوا للأعمال غير القانونية التي تصدر عن الحاكم، على أن تكون هذه المقاومة إما سلبية وفاعلة لا توجه إلا للعمل غير القانوني، وكذلك ضد الأعمال غير القانونية الصادرة عن بلد يريد أن يحتل بلداً آخر، وإمّا أن تكون قوية ضارية تسعى لتغيير النظام، عندما تجد أنه قد زاغ عن جادة الحق.

النوع الثاني: هو مقاومة من أجل التغيير، وهي التي تسعى للتغيير بكافة الوجوه، بغية تغيير شامل يتناول الأفكار والسلوك، وهذا النوع من المقاومة بدوره قريب جداً من مفهوم النهضة الذي سيرد لاحقاً[٢].

وعلى هذا الأساس يكون موضوع مقاومة المحتل هو المقصود، مع ملاحظة مفهوم التغيير في النوع الثاني، حيث يظهر لنا الحالات التي تستخدم فيها المقاومة، كأسلوب في مواجهة العدو، وللتغيير في

---

(١) راجع المنجد في اللغة، ط٢٥، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م، ص ٦٦٣. وابن منظور، لسان العرب، ط ١، بيروت، دار احياء التراث، ١٩٨١م، ج ١، ص ٣٧٦.

(٢) راجع: الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

المجتمع ليكون مجتمعاً مقاوماً حضارياً ينطلق من رؤية أيديولوجية وفلسفية للمفاهيم التي يقوم عليها.

ومن هنا كانت كلمة «مقاومة» متداولة في الحروب، وبالأخص عندما يكون هناك قوة كبرى، وفي مقابلها قوة أصغر منها حجماً، حيث يطلق على هذه القوة الصغرى أنها مقاومة إيحاءً عرفياً بأن الذي يقاوم هو الأضعف من حيث الإمكانات، وقد يكون أحياناً عكس ذلك، لذا أطلق مفهوم المقاومة على حرب العصابات ضد جيش دولة ما، عندما يغزو دولة أخرى أو يعتدي على شعب ما. وهكذا يصنف الّذين يواجهون ويقاتلون جيشاً غزا بلادهم مقاومين، وللمقاومة أشكال منها: العسكرية، والسياسية والإعلامية وغيرها وقد تكون مجتمعة، تعتبر المقاومة من أساليب الصراع التي تدفع العدو إلى التراجع والهزيمة.

أما كلمة النهضة في اللغة، وبحسب «لسان العرب»: فهي من نهض، أي غيَّر المكان الذي كان فيه إلى مكان آخر، والنهضة تعني القيام، فإذا حاول شخص أن ينهض أو يستنهض شخصاً آخر، يكون بهذا الفعل قد أقامه من مكانه أو حاول أن يقيمه فقام. ويلاحظ أن كلمة استنهاض تأتي أحياناً من مشتقات كلمة مقاومة على أساس: ناهضه أي قاومه. وتأتي كذلك من مفهوم الطاقة والقوة، فإذا أنهضه بالشيء يعني قوّاه على النهوض به، أي أمده بالقوة والطاقة ليقوم[1].

وهكذا، فالنهضة بمفهومها الاصطلاحي تكون في القيام والتغيير

---

(١) الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، مرجع مذكور، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

والصراع والإمداد بالقوة، لكي تصل بالإنسان إلى صلاحه الذي يؤدي إلى إصلاح مجتمعه بكل أبعاده الفكرية والدينية، وميادينه السياسية والفلسفية والاجتماعية.

ففي عصر الإمام الحسين عليه السلام كان المجتمع متردياً بكل أبعاده متجهاً إلى عبادة الشخص، فعمل الإمام عليه السلام على بيان الأسس في إصلاح المجتمع بكل ميادينه، بنهضته التي قام بها آنذاك والتي أصبحت قدوة إلى قيام الساعة لكل من يريد أن ينهض ويصلح مجتمعه.

ومن هنا جاءت المقاومة الإسلامية في لبنان لتحمل لواء اليقظة في الأمة العربية والإسلامية، على أساس القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية. هذه هي الحركة الجديدة التي بدأت أوآخر القرن العشرين، ولا تزال مستمرة رغم ما تواجهه من صعوبات وتحديات أبرزها:

١ ـ الاحتلال الذي حلّ بالأمّة العربية والإسلامية بدءاً من فلسطين، ومروراً بلبنان الذي جاء الاحتلال الإسرائيلي واضعاً يده على جزء كبير منه بعد احتلاله لفلسطين.

٢ ـ مخطط المجازر التي قام بها الصهاينة في فلسطين ولبنان.

٣ ـ تشويه النظرة إلى الدين الإسلامي بشتى الطرق والأساليب السياسية والإعلامية وغيرها، ملصقين بالمقاومة ضد الاحتلال تهمة الإرهاب.

أمام التحديات الكبيرة أعلاه الموازية لحركة نهضة الأمة، والتي تشكل عائقاً كبيراً أمام الاستنهاض وحركة الأمة نحو الأفضل، كان لا

بد من إيجاد سبل في مختلف الميادين لمواجهة تلك التحديات وما صادفها من معوقات وظروف، وسأحاول في هذا الفصل أن أسلط الضوء على هذه المعوقات والظروف التي تكونت في مواجهة هذه التحديات.

١ ـ الاحتلال:

هناك أنواع كثيرة من الاحتلالات غير العسكرية، تصبح فيها الدولة غير مستقلة، كالإمساك بالقرار السياسي والاجتماعي، أو السيطرة على الثروات الطبيعية في البلد وغيرها من الأمور. أما الاحتلال العسكري فهو نتيجة احتلال دولة معينة لأرض دولة أخرى، وينتج عنه سقوط السلطة الموجودة لتصبح القوة المحتلة هي المسيطرة على إدارة المنطقة، لتضمن سلامة جيوشها وتحفظ مصالحها وتستغلّ ثروات الدولة المُحتَلَّة. وما يتطلبه الاحتلال لضمان السيطرة شيئين هما: العداء، والقوة العسكرية المسلحة، بغية استخدامها في البلد المحتَل.

للاحتلال بمراحله التاريخية عدة مفاهيم، فحتى القرن التاسع عشر كان المحتل يعتبر نفسه مالكاً للأرض التي يحتلها، باستثناء ما كان عليه الإغريق والرومان. وقد لاقت المبادئ الإنسانية التي نادى بها الهولندي «هوغو غوشيوس» في القرن السابع عشر قبولاً تدريجياً. ولقد عرفت الفتوحات العربية مع ظهور الإسلام وبعده مبادئ من هذا القبيل، إلا أن الفتوحات العربية كانت تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية لا الاحتلال. وبعد الحرب الألمانية ـ الفرنسية في العام ألف وثمانمئة وسبعين

ميلادية. تم الاتفاق على العديد من المعاهدات التي تحترم الحد الأدنى من حقوق المناطق المحتلة[١].

ورغم كل ما جرى من تعديل للقوانين الدولية في مسألة الحرب والاحتلال، لا تزال البربرية تتجلّى بوضوح في ما يقوم به الكيان الصهيوني في فلسطين ولبنان. وقبل الحديث عن الاحتلال الصهيوني للبنان، أمهّد بنظرة تاريخية سريعة للاحتلالات التي تعاقبت على هذا البلد منذ القرن الخامس عشر.

عاش لبنان احتلالات كان لها الأثر الكبير في تفتيت مجتمعه وتخلفه، فمنذ العام ألف وخمسمئة وستة عشر ميلادية. كانت الأراضي اللبنانية تحت السيطرة العثمانية، وقد كانت هناك انقسامات عديدة بين الطوائف من المسيحيين والشيعة والسنة والدروز وبعض الأقليات، ولكن الخطر المشترك الذي كان يتهددهم من قبل الاحتلال العثماني كان يجمعهم أحياناً. فمنذ أوائل القرن السابع عشر، حيث كانت الإمارة الشهابية برئاسة فخر الدين تسيطر على جبل لبنان ككل، كانت هناك ظروف متغيرة في المنطقة تؤثر على وضع لبنان داخلياً وخارجياً.

وفي القرن الثامن عشر، أثناء محاولة نابليون احتلال مصر، والصراعات بين الأوروبيين أنفسهم لتقاسم ثروات المنطقة العربية، وقعت حركات تمرد كثيرة، وحصلت حالات رفض كبيرة للسلطة التركية، خصوصاً من قبل الشيعة، في عهد سليم الأول وعهد أحمد باشا.

---

(١) انظر: الموسوعة السياسية، المصدر السابق، ص ٨٢.

حالة الرّفض هذه كانت تؤدي أحياناً إلى فرض معاهدات تهدئة، وأحياناً أخرى إلى منازعات قوية. حيث كان وجهاء جبل عامل وعلماؤه يقومون باجتماعات سرية ترمي إلى مقاومة السلطة العثمانية. وقد أدى هذا الوضع إلى سجن ونفي العديد من القادة[١].

وقد كان لبنان يعبر من إمارة إلى أخرى حتى جاء القرن التاسع عشر الذي لم يخل من المنازعات والاضطهاد والظلم للشعب من قبل المحتلين، حيث كانت تلوح في الأفق بداية نهاية الاحتلال العثماني للبلاد، فوصل الأمر إلى انهيار السلطة العثمانية سنة ألف وتسعمئة وسبع عشرة، وكان الصراع قوياً بين المسيحيين المؤيدين لفرنسا والمسلمين المؤيدين للدولة العربية آنذاك بقيادة الشريف فيصل.

وجاء الانتداب الفرنسي للبنان في العام ألف وتسعمئة وثمانية عشر ميلادية. حيث لجأت السلطة الفرنسية إلى استغلال الخلافات، وبدأت معالم مقاومة تظهر بين صفوف الشعب؛ وخاصة الشيعة منهم في جبل عامل، كرد فعل على احتلال مباشر من قبل الأجانب وهذا الموقف شكل صفعة قوية لفرنسا، خاصة بعد أن كانت تراهن على وقوف هذه الفئة معها؛ نظراً لما عانته من العثمانيين. هذه الخيبة ترجمها الفرنسيون بالتهديد أحياناً، وبمحاولة المحاورة أحياناً أخرى، حتى ظهرت مقاومة شملت الأراضي العاملية، وكان للعلماء فيها دور التوجيه والإرشاد في تسيير المعركة، ورغم وجود عدة أطراف في المقاومة، إلا أنّ التنسيق

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع: فياض، نوال، صفحات من تاريخ جبل عامل في العهد العثماني والفرنسي، ط ١، بيروت، دار الجديد، ١٩٨٢، ص ٨١.

كان قائماً بينهم. ومن أبرز المقاومات آنذاك: «فرقة صادق حمزة» وهو من قرية دبعال في قضاء صور، وكانت تضم عدداً من الرجال يقدّر بمئتين تقريباً، وكان لها تأييد شعبي كبير وأثر إيجابي بين الأهالي، نظراً لأن قائدها كان إنساناً من الطبقة الفقيرة يعاني كما يعاني الشعب الذي يدافع عنه. والفرقة الثانية كانت بقيادة أدهم خنجر الذي ينتمي إلى عائلة درويش؛ وكانت هذه الفرقة أقل عدداً من الأولى، وتضم عشرات المجاهدين.

ومع بروز حالة المقاومة في الحولة والجولان بقيادة محمود الفاعور، أخذت أعمال المقاومة تكبر وتزداد، وازداد التنسيق والعمل السري تحت عنوان واحد وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي. وقد واكبت بعض التصرفات السلبية التي حصلت من قبل بعض أشخاص حركة المقاومة، فاستغلها الفرنسيون وعملوا على تضخيمها وإبرازها لتشويه صورة المقاومة. وقد جندوا أشخاصاً ليقوموا بأعمال السلب والنهب والعنف أو تغاضوا عن تصرفاتهم؛ لتزداد حالة الفوضى والفتنة آنذاك، وطلب الشريف فيصل من زعماء جبل عامل وعلمائه أن يحددوا الموقف من الأوضاع الجارية، فعقدوا مؤتمراً أطلق عليه «مؤتمر الحجير» نسبة إلى الوادي التي عقد فيها[١]. وذلك في شهر نيسان من العام ألف وتسعمئة وعشرين، واتفق في هذا المؤتمر الذي حضره عدد كبير من رجالات المنطقة والعلماء، وعلى رأسهم السيّد عبد الحسين شرف

---

(١) وادي الحجير، يقع شمال شرق بلدة قبريخا في جنوب لبنان.

الدين، وعبد الحسن نور الدين، وكامل الأسعد، والشيخ موسى قبلان، والسيد جواد مرتضى، والشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ضاهر، ومحمد جابر، وكان من الأعيان: آل الزين، والأسعد، والفضل، وغيرهم، وكان أيضاً صادق حمزة، واتفق على وحدة بلاد الشام.

في هذه الفترة، كان هناك صراع داخلي بين المسلمين المؤيدين للوحدة ـ كما ذكرت سابقاً ـ وبين المسيحيين الذين لم يرق لهم ذلك. وفي عام ألف وتسعمئة وعشرين، حاول الفرنسيون الاتصال بقيادات جبل عامل؛ إلا أن هذه الاتصالات لم تفلح فجهزوا حملة عسكرية كبيرة في الثامن عشر من أيار سنة ألف وتسعمئة وعشرين، وزحفوا إلى جبل عامل وسيطروا على المنطقة، في حين كانت قوات فرنسية أخرى تواصل زحفها إلى دمشق حتى أصبحت المنطقتان الشرقية والغربية في قبضتهم، وصدر مرسوم بضم بيروت، والبقاع، وطرابلس، وصيدا، وصور، وملحقاتها إلى متصرفية جبل لبنان، وأعلنت دولة لبنان الكبير[١]، وبرغم ذلك بقيت شرائح تطالب بالوحدة العربية.

ومنذ العام ألف وتسعمئة وواحد وثلاثين كان التوتر قد ازداد بين العرب واليهود في فلسطين، وبقي الانتداب الفرنسي قائماً على لبنان حتى العام ألف وتسعمئة وثلاثة وأربعين لحين إعلان بشارة الخوري أول رئيس للبلاد «من الطائفة المارونية»! ورياض الصلح رئيس حكومة «من الطائفة السنية»! وصبري حمادة رئيساً لمجلس النواب «من الطائفة الشيعية».

---

(١) انظر: الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ط ٣، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٢، ص٢٠٩.

وهكذا انتهت حالة الانتداب الفرنسي، مع بقاء فلسطين ترزح تحت الاحتلال البريطاني الذي كان يعمل على تسليمها إلى اليهود. فعقد الفلسطينيون مؤتمراً لهم في القدس عام ألف وتسعمئة وواحد وثلاثين كان قد دعا إليه أمين الحسيني ليطالب بالعدالة والمساواة والحقوق.

وإذ اعالج مسالة الاحتلال الصهيوني للبنان، فلا بد لي أن أذكر ظروف احتلال الصهاينة لفلسطين، لأن الاحتلال وحركته يشكلان حلقة متواصلة مع بعضها البعض، ولا يمكن لمحلل أن يجّزئها. فاحتلال فلسطين كان حافزاً لأطماع اليهود التوسعية، في احتلالهم لأراضٍ لبنانية. علماً أن الصهيونية حركة يهودية سياسية هدفها جمع شمل اليهود وإقامة دولة لهم في فلسطين وقد أطلقت على نفسها هذا الاسم نسبة إلى جبل صهيون في القدس بمزاعم دينية وتاريخية، فمن أهدافها الأساسية التوسع واحتلال الأراضي والاستيطان.

استغل اليهود انتشارهم في العالم فجمّعوا قواهم في أوروبا والعالم مستغلين النهضة الصناعية والحريات والعداء للسامية، فأمسكوا بالمال مستغلين الربا ومسخرين الإعلام والبنوك وسوى ذلك لتحقيق أهدافهم في إنشاء وطن قومي على أرض فلسطين.

هذه الحالة ولّدت في نفوس الأوروبيين الكراهية والاضطهاد؛ فكان الملك إدوار الأول، أول من حد من صلاحيات اليهود في إنكلترا ووضع قانوناً لهم، وبعد ذلك اقتدى به الملوك والرؤساء في أوروبا.

ففي العام ألف وثلاثمئة وستة طردت فرنسا اليهود، وتبعتها

سكوفيا عام ألف وثلاثمئة وثمانية وأربعين، وهنغاريا عام ألف وثلاثمئة وستين، وبلجيكا عام ألف وثلاثمئة وسبعين، وسلوفاكيا عام ألف وثلاثمئة وثمانين، والنمسا عام ألف وأربعمئة وعشرين، وإسبانيا عام ألف وأربعمئة واثنين وتسعين، ولتوانيا عام ألف وأربعمئة وخمسة وتسعين والبرتغال عام ألف وأربعمئة وثمانية وتسعين، وإيطاليا عام ألف وخمسمئة وأربعين، وبافاريا عام ألف وخمسمئة وواحد وخمسين[١].

جمعهم الاضطهاد من جديد فقام «احاد هاعم»[٢] وألف أول قاموس عبري وأحيا الثقافة اللغوية.

وقد عُرِض على اليهود أن يكون تجمعهم في أوغاندا أو جنوب إفريقيا أو البرازيل أو الأرجنتين أو صحراء أمريكا، فرفضوا واختاروا فلسطين وكان شعارهم: فلسطين وحدها هي آمالنا إنها أرض الميعاد.

وقام هرتزل ووايزمن بالاتصالات بحكومات ألمانيا والدولة العثمانية والحلفاء والدول الأوروبية والأمريكية حتى انتزعوا وعد بلفور المشؤوم، بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وذلك في الثاني من تشرين الثاني سنة ألف وتسعمئة وسبع عشرة.

وأذكر هنا أن الصهيونية هي إحدى بدع اليهود وتلفيقاتهم وهم

---

(١) موسى، فرح، السلام المسلح بين العرب وإسرائيل، ط١ بيروت، دار الوسيلة، ١٩٩٤ م، ص٢٨١ ـ ٢٨٢ وللمزيد راجع: وليام غاي عمار، أحجار على رقعة الشطرنج، دار النقاش ط١، ١٩٧٠، الموسوعة البريطانية المجلد ١٣.

(٢) مفكر يهودي، له نظرية الخاصة في التعامل مع عرب فلسطين، وينتقد السلوك الصهيوني في فلسطين بعد تنفيذ دعوى الأرض الخالية واعتبار فلسطين خربة تنتظر عودة اليهود إليها.

الذين ضربت عليهم الذلّة والمسكنة كما يقول الباري في كتابه العزيز: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1].

بعد مؤتمر فرساي سنة ألف وتسعمئة وتسع عشرة تقاسم الحلفاء تركة الدولة العثمانية. وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا؛ وأصبح «هربرت صموئيل» أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين وكان صهيونياً، فبدأ بنزع الأراضي من الفلسطينيين، وسمح لليهود بالهجرة إليها، كما سمح لهم بشراء السلاح وحمله.

قام الفلسطينيون آنذاك ضد الإرهاب الصهيوني بين عامي ألف وتسعمئة واثنين وعشرين وألف وتسعمئة وتسعة وثلاثين، حيث سقط الكثيرون بين قتيل وجريح برصاص اليهود والبريطانيين. وبدأت احتجاجات شعبية وشكلت لجان، وعقد في القدس اجتماع للقيادات آنذاك ورؤساء الأحزاب، واتخذ قرار باستمرار الإضراب وتشكيل قيادة اللجنة العربية العليا»[2].

لقد عانى الفلسطينيون ما عانوه من جراء ذلك وكانت هناك مقاومة منعاً لحصول النكبة ورفضاً للظلم الواقع بحق هذا الشعب، إلى أن صدر قرار الأمم المتحدة سنة ألف وتسعمئة وسبع وأربعين القاضي بتقسيم

---

(١) سورة البقرة، الآية ٦١.
(٢) ابو غربية، بهجت، مقابلة معه في تلفزيون المنار، برنامج منتصف الطريق، ١٩/ ٥/ ٢٠٠٢.

فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية[١] «بحيث يساوي الكيان الصهيوني حوالى (٥٤٪) من مساحة فلسطين»[٢] وفي التاسع عشر من آذار عام ألف وتسعمئة وأربعين حاول الصهاينة ترحيل الفلسطينيين بشكل قسري تحت شعار «من لا يخرج يقتل». وراحوا يطلقون النار عليهم، حيث خرج ما بين ستين وسبعين ألف لاجئ فلسطيني إلى بلدان مختلفة، وبعدها سلموا قضية اللاجئين إلى لجنة خاصة لم تستطع إرجاع أي لاجئ[٣].

ويذكر في هذا السياق أن اللجنة الخاصة باللاجئين كانت برعاية أمريكية، فصدر القرار الرقم مئه وأربعة وتسعين في الحادي عشر من كانون الأول عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين، الذي يؤسس لتهجير الفلسطينيين بصيغة التخيير بحق العودة[٤]، وذلك بعد إعلان دولة «إسرائيل» في الخامس عشر من أيار سنة ألف وتسعمئة وثمانٍ وأربعين، ولم يكتفِ اليهود باحتلالهم لفلسطين، بل شنوا عدة حروب ضد العرب، فاحتلوا سيناء والجولان ومناطق عربية أخرى خلال السنوات: ألف وتسعمئة وتسع وأربعين، ست وخمسين، سبع وستين وثلاث وسبعين.

كان لا بد من ذكر ما عرضت للوقوف على تاريخ اليهود المذل

---

(١) انظر ملحق رقم ١، ص ٢٣٣ من هذا الكتاب.
(٢) نعيم، قاسم، حزب الله،المنهج، التجربة، المستقبل، مرجع مذكور، ص ٢٢٠.
(٣) ابو غربية، بهجت، مصدر سابق، ويعرف بشيخ المناضلين الفلسطينيين.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، لمراجعة نص القرار العودة الى المصدر.

وغير المشرف، والذي يحمل في طياته الجريمة والقتل والدمار.. إن مثل هكذا عدو لله ورسوله ولعباده يستحق القتال، إذ إنّ هذا العدو لم يتوان يوماً عن إعلان أطماعه التوسعية بأرضنا العربية والإسلامية، ولبنان منها، فكانت عملية الليطاني عام ألفٍ وتسعئمة ثمانية وسبعين والاجتياح عام ألفٍ وتسعمئة واثنين وثمانين.

أ ـ عملية الليطاني «ترس الجليل» عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين:

عندما صدر قرار بتقسيم فلسطين عام ألف وتسعمئة وسبعة وأربعين، كانت منطقة الجليل الأعلى حدود الدولة الفلسطينية، وكانت بذلك عازلاً بين الدولة العبرية ولبنان، إلا أن «إسرائيل» استولت على هذا الجزء فيما بعد، دافعة بذلك حدودها للالتصاق بلبنان، الأمر الذي دفعها إلى أطماع جديدة في توسع جديد[1].

فقد نفذت قوات الاحتلال الإسرائيلي عملية عسكرية باتجاه الأراضي اللبنانية، وذلك بتاريخ الرابع عشر من آذار سنة ألف وتسعمئة وثمان وسبعين، وقد تم اختيار هذا الاسم (ترس الجليل) لزعمهم أن هذه العملية تهدف لحماية المستعمرات، وقد بدأت العملية باجتياح جزء من الجنوب اللبناني وصل إلى حدود نهر الليطاني، وهدف إلى احتلال أراضٍ أخرى غير الأراضي التي تم الاتفاق عليها ضمن اتفاقية سايكس

---

(١) سويد، ياسين، عملية الليطاني، نظرة استراتيجية، ط ٢، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٣، ص ١٩ ـ ٢٠.

بيكو، لإخراج المستعمرات من خطر صواريخ منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك، بالإضافة إلى القضاء على «الفدائيين» وإبعادهم عن الحدود وتدمير منشآتهم كهدف إعلامي.

أما الأهداف الأساسية فقد كانت:

- إيجاد منطقة تمثّل حزاماً أمنياً للدولة المزعومة، وإيجاد عملاء لها في تلك المنطقة كدرع بشري يمتص تلك الهجمات.

- إخلاء هذا الحزام من أي وجود للسلطة اللبنانية.

- محاولة إقامة علاقات وترتيبات أمنية مع لبنان.

ولم تذعن إسرائيل للقرار الدولي الرقم أربعمئة وخمسة وعشرين الذي اتخذ بشأن انسحاب قواتها من لبنان، وحققت أطماعها التي لم تحققها في لجنة الهدنة عام ألف وتسعمئة وتسع وأربعين، فاستولت على قسم من الأراضي والمياه، وحققت جزءاً من أحلام بن غوريون.

وقد لاقى العدو مقاومات متفاوتة من الأحزاب والقوى التي كانت على الساحة آنذاك، مثل القوات المشتركة للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحركة المحرومين، التي كانت تقاوم بالأسلحة البدائية الموجودة، فلم تنجح بصد العدوان، بسبب ضعف إمكاناتها وقلتها، وعدم نضوج الفكر المقاوم في تلك الفترة.

وكان من نتائج عملية الليطاني أنها حققت على الصعيد العسكري احتلالاً لجزء من لبنان يقدر بحوالى ١٠٪ من مساحته، بعد أن انسحبت من بعض المناطق التي كانت قد احتلتها. أما على الصعيد السياسي

والجغرافي فقد مهدت لخطوة احتلال أوسع وأعمق، ومهدت بالتالي لعملية أكبر وأضخم وأكثر خطورة هي عملية «سلامة الجليل» التي نفذتها في العام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين، والتي كادت أن تفرض ترتيبات أمنية بين الكيان الغاصب والدولة اللبنانية بما يسمى «اتفاق السابع عشر من أيار».

ب ـ عمليات الاجتياح الكبير عام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين «تحت اسم سلامة الجليل»:

بعد تطور الأحداث وضياع فكرة حماية المستعمرات، ونتيجة لظروف إقليمية ودولية مهيأة، بدأت إسرائيل بتنفيذ عملية سلامة الجليل في الخامس من شهر حزيران سنة ألف وتسعمئة واثنتين وثمانين، والتي اعتبرت أضخم من سابقتها «ترس الجليل»! وذلك بدعم أمريكي ودولي. وقد تذرعت في عمليتها هذه بالعديد من الأسباب ومنها:

ـ الانتقام لسفيرها الذي قتل في لندن متهمة الفلسطينيين بقتله.

ـ سقوط صواريخ على مستعمراتها الشمالية بحسب زعمها.

وبإمعان النظر إلى الأحداث الواقعة آنذاك يتبين بحسب الوقائع أنه لم يحصل أي اعتداء صاروخي على تلك المستعمرات قبل بدء العملية بفترة كبيرة، كما أن حادثة الاعتداء المزعومة على السفير لا تستدعي عملاً بهذا الحجم. وانطلاقاً من هذا يتبين أن العملية كانت انتقامية وليست دفاعية و«إذا طبقنا التفسير الحصري على ما فعلته إسرائيل وقامت به، فإنه يصنف بلا أدنى شك ضمن الأعمال العدوانية وليس كما

ادعت إسرائيل بأنه دفاع عن النفس؛ كذلك فإن التبرير المبني على الإنتقام لا يبرئ إسرائيل من تهمة ارتكاب عمل عدواني، في التعريف الأمريكي للقانون الدولي»[١].

أما الأهداف الكامنة وراء تلك الهجمة فقد تمثلت بإجبار لبنان على إقامة اتفاقية سلام مع «إسرائيل»، الدولة المحتلة لأراضيه.

وهكذا جرى اتفاق السابع عشر من أيار سنة ألف وتسعمئة وثلاثة وثمانين، وما كان ليفشل لولا جهود أبناء الشعب اللبناني ومقاومته، وقد ظن العدو أنه حقق المرحلة الأولى من مخططاته، وكانت مكلفة جداً للمدنيين اللبنانيين وللعدو على حد سواء، فقد تعرض العدو خلالها للمواجهة من خلال عدة أطراف:

١ ـ القوات السورية الموجودة في لبنان.

٢ ـ عناصر لبنانية متنوعة والجيش اللبناني.

٣ ـ قوات المنظمات الفلسطينية.

وعند بروز ظاهرة المقاومة، التي سأتناول ظروف تأسيسها بالتفصيل، بدأ العدو يتعرض للعمليات وصار يمنى بالخسائر. وهذه العمليات تندرج في إطار عمليات صغيرة جداً، إلى أن تطورت تدريجياً وبشكل تصاعدي، لتصبح عمليات مهمة أجبرت العدو على تنفيذ

---

(١) راجع: سبينوزا لسي، وليام، دفاع ام عدوان، القوانين الامريكية لضبط صادرات السلاح والاجتياح الاسرائيلي للبنان، ط ١، قبرص، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات والنشر المستقلة المحدودة، ١٩٨٣، ص ١٥.

انسحابات متتالية بدأت حين أجلى العدو قواته عن بيروت أولاً، وعن صيدا ومحيطها عام ألف وتسعمئة وخمسة وثمانين ثانياً، حيث احتفظ بما يسمى بالحزام الأمني، ثم انسحب من منطقة جزين في الثالث من حزيران سنة ألف وتسعمئة وتسع وتسعين، وفي الرابع والعشرين من أيار سنة ألفين تابع انسحابه القسري شبه الشامل من باقي المناطق المحتلة في لبنان، باستثناء مزارع شبعا وبعض القرى اللبنانية المحتلة عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين، وكان ذلك بفضل جهود أبناء لبنان ووحدتهم والتفافهم حول مشروع المقاومة.

٢ ـ الإرهاب والعنف:

تداول الناس مصطلح الإرهاب قديماً وحديثاً في المجتمعات التي نشأت فيها ظاهرة الثورات والرفض. وكل جهة تفسر الكلمة بما يناسب تطلعاتها، نسبة إلى الأعمال التي تمارسها، وأصبحت كلمة الإرهاب متداولة منذ اندلاع الثورة الفرنسية التي بدأت عام ألف وسبعمئة وتسعة وثمانين. وقد حاول الكثير من المفكرين والباحثين إيجاد تفسير واحد للإرهاب، فلم يتوصلوا إلى اتفاق في هذا المجال نظراً للأسباب الدافعة إليه.

فالمفهوم الأخلاقي بنظري، هو المقياس في تحديد وجهة الإرهاب عندما يكون في أحد الوجهين: فإما أن يكون الإرهاب من الدولة باتجاه المحكومين، وإما أن يكون من المحكومين باتجاه الدولة، فتدرس الطرق والوسائل التي يستخدمها كل من طرفي النزاع في تحقيق ما يسعى إليه. فالأسباب والطرق والوسائل هي التي تحدد حالة العنف والإرهاب

بشكل واضح، وليس من المقبول أن تبرر الغاية الوسيلة، إذ لو حصل ذلك في المجتمعات لأصبحت هذه المجتمعات تعج بالفوضى والعنف والتخلف. فالحياة البشرية مليئة بالصراعات، لذا يسعى الإنسان دائماً إلى اختيار سبل الحياة بالطريقة التي يراها مناسبة، ليحصل على الحرية التي تكون بنظره غاية الأمر. ورغم أن الحرية والصراع والاختيار من أهم سمات وجود الإنسان، كما ذهب إلى هذا المنحى كارل ياسبرز من ألف وثمانمئة وثمانين حتى ألف وتسعمئة وتسعة وستين[١]، فإن هذه المفردات يجب أن تكون ملائمة للحياة الجماعية الموجودة حول هذا الإنسان، ومنضبطة إلى حد تراعي فيه حرية الآخرين واختياراتهم.

أمام الخلط المتبادل في تحديد مفهوم الإرهاب، كتب الكثيرون عنه خلال السنوات الماضية. وقد اختلفت المفاهيم التي قدمت لظاهرة الإرهاب المحلي أو الدولي، تبعاً لتفاوت منطلقات الباحثين في الموضوع. ولعل الأمر المشترك بين الباحثين، هو أن العمل الإرهابي ضرب من أعمال العنف التي تهدف إلى العبث في أمن المجتمعات، أو الضغط على الدولة من قبل دولة أخرى بغية تحقيق هدف مباشر أو غير مباشر[٢].

وفي كتب اللغة وموسوعات الفلسفة والسياسة تطرق إلى شرح بعض هذه المعاني، فعلى الصعيد اللغوي ذكر في الموسوعة الفلسفية

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص ٢٣٢.
(٢) الحص، سليم، ضمن مقدمة لكتاب الإرهاب الدولي دراسة قانونية نافذة للكاتب محمد عزيز شكري ط١، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٩١، ص٨.

عن لسان العرب: أن كلمة إرهاب من فعل رهب: أي خاف، وأرهبه: أي أخافه وأفزعه، والفعل الرباعي أرهب أي أخاف يفيد أن ثمة فاعلاً يقوم بالفعل، ومفعولاً يكون موضوعاً يحصل عليه أو عنده الفعل، بغض النظر عن كون الفاعل أو المفعول فرداً أو جماعة[١].

وكذا في الموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيالي الذي يذكر أن الإرهاب: هو استخدام العنف بأشكاله المتنوعة، بهدف تحقيق مكتسب ما مثل كسر روح المقاومة وهدم المعنويات، كوسيلة لتحصيل معلومات أو أطماع أخرى. وعلى العموم فإن الإرهاب أو العنف يستخدم لإخضاع الخصم لمشيئة الجهة الإرهابية[٢].

وهناك أيضاً من عرَّف الإرهاب لغوياً مثل: «بليشينكو» كما ذكر في كتاب الإرهاب الدولي لمحمد شكري: «أتت كلمة رهبة من اللغة اللاتينية، وبعد ان ضربت جذورها في لغات المجموعة اللاتينية، انتقلت في ما بعد إلى لغات أوروبية أخرى، وقد أصبحت مشتقاتها: الإرهابي، الإرهاب، الأعمال الإرهابية، الإرهاب المضاد وما إلى ذلك، واسعة الانتشار الآن»[٣].

أمّا مفهوم الإرهاب السياسي فقد ظهر مؤخراً نتيجة للثورة الفرنسية

---

(١) الموسوعة الفلسفية العربية، ط١، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦، ج ١، ص٥١.

(٢) موسوعة السياسة مرجع مذكور، ص١٥٣.

(٣) شكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي دراسة قانونية نافذة، مرجع مذكور، ص٢١، لمراجعة مناقشة تعريفات الإرهاب الذي قدمها شميد، وتعريفات شائعة في الولايات المتحدة الأمريكية، راجع المصدر المذكور ص ١٠٥.

كما ذكرت سابقاً، لكن الدفاع الفلسفي عنه شاع في السنوات الأولى لهذه الثورة.

في الواقع كان المفهوم يطلق على وسيلة سياسية يلجأ إليها الحكام في السلطة السياسية في المجتمع، وكان مفهومها يشمل كذلك الأفراد والمجموعات التي تسعى إلى السلطة، وقد عاصر ذلك الحركات الماضية في العالم كالحركة «الفوضوية» والعدمية الروسية[١].

وهكذا فمن الممكن أن يستعمل العنف من قبل من يريد أن يحقق أهدافه، غير مكترث بالمنتظم الأخلاقي الذي يحدد مفاهيم الحرية، بحسب المقياس السياسي والأخلاقي الذي يقرر قيمة الفعل ونتائجه. بغض النظر عن مفهوم الحرية بذاتها غير مكترث بحكم الواقع، فإذا كانت الحرية المطلقة تتصف كما وصفها هيغل بـ: «هيجان التدمير»! فالحرية المتموقعة ليست كذلك لأنها موجودة بالنسبة للآخرين[٢].

وهكذا عندما يفقد المنتظم السياسي والأخلاقي توازنه، تصبح الأخلاق معطلة والسياسة تقنية بحتة، ويكون الإرهاب بين حريات طليقة «إن هذه الطريقة في طرح مسألة الإرهاب هي في أساس المباحثات... بين المفكرين وعلماء الأخلاق»[٣].

وإن الحركات الثورية التحررية الأساسية في العالم تنظر إلى مسألة

(١) راجع الموسوعة الفلسفية العربية، مرجع مذكور، ص٥١.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

طلب الحرية والدفاع عنها بالكفاح الشعبي المسلح ضد الاحتلال والاستعمار الأجنبي على أساس أنها مشروعة أقرها القانون الدولي.

بعد هذا التقديم لتعريف الإرهاب ومفهومه والاختلافات حوله، يتضح أن كل الجهود قد فشلت في تحديد هذا المفهوم، خاصة بعد شيوع هذا المصطلح كثيراً على ألسنة قادة الولايات المتحدة ضد كثير من الجهات، ومنها المقاومة الإسلامية، إذ تعتبر أفرادها كلهم إرهابّيين. غير أن هؤلاء يقاومون الاحتلال ويُدافعون عن أوطانهم، وفي المقابل تصرف النظر عن الكيان الصهيوني الغاصب، وما يقوم به من أعمال تعسفية، ومجازر بحق الفلسطينيين واللبنانيين، ورغم نواياه المبيتة لفعل ذلك عند أي فرصة سانحة.

ومن وجهة النظر الإسلامية، ومن خلال الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، أجد أن كلمة الرهبة استعملت هنا من أجل إرهاب العدو الذي يتربص بالمسلمين ويقاتلهم بحسب ظاهر الآية؛ حيث يفهم منها أنّ الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بالإعداد مقابل إعداد معين قد يتم من قبل أعداء المسلمين وأعداء الدين، لذا اقتضى الأمر من المسلمين مواجهة ذلك، على أساس أن المجتمعات لا تخلو من أقوام مختلفي الطباع ومتضادي الأفكار، بحيث ينشب الخلاف وتقوم الحروب؛ وأكبر دليل على ذلك ما نشاهده من حروب وفتن وتسلح بالمعدات الحديثة

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

التي تستخدم غالباً في الغضب والثأر. فمن الواجب الفطري على المسلمين أن يعدوا العدة مقابل ذلك، ليحافظوا على القيم الإنسانية التي دعا إليها الدين الإلهي، وليحافظوا على حقوق الناس فرادى كانوا أم مجتمعين، ولعل هذا هو السر في توجيه الخطاب بخصوص هذه الكلمات إلى الناس، وليس إلى شخص النبي محمد ﷺ بالتحديد، كما كان الخطاب موجّهاً إليه قبل هذه الآية وبعدها، ليرى الناس أن الدين الإسلامي يراعي حقوق الفرد والمجتمع، فالمنافع التي تهدد من قبل العدو ليست فقط حكومية، بل هي لكل فرد من أفراد هذه الأمة، لذا تقع مسؤولية الإعداد على الجميع، كتعلم العلوم الحربية والتدريب بمختلف فنونه، وهذا الإعداد بدوره يرهب الأعداء ويخيفهم[١].

ولقد بحثت في القرآن عن كلمة الإرهاب غير التي ذكرت من الدعوة لإرهاب الأعداء بغير هذا المعنى فلم أجد؛ فاستنتجت ـ من خلال بحثي ـ أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ للبشر إرهاب بعضهم البعض، ولم يشأ لهم العنف، بل أراد لهم السلام والخير والمحبة والمعروف، وفي الوقت نفسه لم يرد لهم الذلة فأمرهم بتحصين أنفسهم والدفاع عن الإسلام، بإرهاب الأعداء حين تدعو الحاجة.

إن ظاهرة الإرهاب والعنف تحظى باهتمام كبير من قبل الدول، وقد جرت محاولات عديدة للوقوف على حقيقة الأعمال التي تتسم بالعنف والإرهاب. ففي العام ألف وتسعمئة وسبعة وثلاثين جرت

(١) انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ب ط، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ب ت، ج٩، ص ١١٤ ـ ١١٦.

محاولة أولى لمعالجة ظاهرة الإرهاب من الناحية القانونية، واتفق على إنشاء المحكمة الجنائية الدولية، وقد جرى البحث في هذه الاتفاقية لكبح أعمال الإرهاب الدولي، لكن فقط تلك التي تهدف إلى إيذاء الأشخاص الموجودين في الحكم، ومعالجة موضوع الأضرار المادية العامة والأعمال التي تعرض أرواح الناس للخطر، وقد تعرضت هذه الاتفاقية لنقد من العديد من الدول، خاصة أنها لم تكن معنية بأسباب الإرهاب.

هذا وقد جرت بعد العام ألف وتسعمئة وسبعة وثلاثين حروب شتى، كالحرب العالمية الثانية وجرائمها، ولم يُعاقَب مرتكبوها، وجرى الكثير من اضطهاد الشعوب التي تم إخضاعها دون الاكتراث بحقها في تقرير مصيرها كذلك ما جرى من مذابح في هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وفلسطين وأفغانستان وغيرها، لم يُعتبر إرهاباً. «ولكن حادثة معينة وقعت في أوائل السبعينات نجحت في إثارة انتباه العالم إلى الإرهاب، أعني قتل أحد عشر إسرائيلياً في ميونخ في العام ألف وتسعمئة واثنين وسبعين»[1].

ومنذ ذلك الحين بدأت مسألة الإرهاب تظهر إعلامياً وتشغل الجميع، في حين أنها كانت قبل ذلك تقام بشكل منظم ومن قبل الدول، ولم يحرك أحد ساكناً، وما ذكرت يشهد على ذلك.

وبعد مرور سنوات عديدة أي في العام ألف وتسعمئة وتسعة

(١) شكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي دراسة قانونية نافذة، مرجع مذكور، ص٢٩.

وأربعين، أُقرت اتفاقيات جنيف الأربع، وكانت هناك مادة مشتركة بين الاتفاقيات، ترمي إلى البت بموضوع المنازعات المسلحة الداخلية والعنف ضد الأشخاص وأرواحهم. ولكنّ هذه الاتفاقيات انتهكت في عدة أماكن، مثل لبنان خلال اعتداء إسرائيل عليه منذ العام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين مروراً باجتياح العام ألف وتسعمائة واثنين وثمانين، إلى العمليات الجوية في تموز عام ألف وتسعمئة وثلاثة وتسعين ونيسان ألف وتسعمئة وستة وتسعين، وكذلك في السلفادور ونيكاراغوا.

وبتاريخ الرابع والعشرين من تشرين الأول سنة ألف وتسعمئة وسبعين، اتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة القرار الرقم ألفين وستمئة وعشرين القاضي باحترام سيادة الدول، والذي يشجب التدخل الأجنبي المباشر وغير المباشر في شؤونها، ويكرس مبدأ المساواة، ويدعو إلى عدم القيام بأي عمل تخريبي من قبل دولة ما ضد أي دولة أخرى، والوصول إلى نهاية للاستعمار.

ومنذ ذلك الحين وما قبله كانت الدول ذات الإمكانيات الكبيرة والمصالح الخاصة تعمد إلى تفسير الأعمال العدائية تبعاً لمصالحها، فالأعمال الإجرامية التي تقوم بها في حروبها ضد المدنيين لا تصنف أعمالاً إرهابية، بينما الأعمال المندفعة من منطلق الدفاع عن النفس ضد هذه الدول وطلباً للحرية تصنف في خانة الإرهاب.

وهكذا بدأ الصراع على تحديد هذا المفهوم بين من ينشد الحرية وبين من يعتدي، وبدأت المطالبات والدعوات الملحة من بعض الدول للأمم المتحدة ترمي إلى التفريق بين نضال الشعوب من أجل التحرير

الوطني وبين الإرهاب، وعلى رأس هذه الدول الجمهورية العربية السورية؛ «وقد جاءت الدعوة السورية التي أطلقها الرئيس حافظ الأسد شخصياً سنة ألف وتسعمئة وستّ وثمانين على شكل هجوم مضاد على قوى معينة، لاسيما بريطانيا والولايات المتحدة، تحتفظ بتفسيرها الخاص بها هي عن ماهية الإرهاب، وتلصقه بأي شيء تراه مناسباً، وتستثني منه أشياء أخرى على هواها بما في ذلك ما ترتكبه هذه القوى وحلفاؤها»[١].

وعليه يمكن القول إن الإرهاب ذو شكلين، الشكل الأول: إرهاب وطني يرتكب في داخل الدولة نفسها، ويمكن أن يكون من قبلها باتجاه الشعب، ويمكن أن يكون من قبل الشعب ضدها أو ضد أشخاص آخرين، والشكل الثاني: إرهاب دولي تقوم به دولة ضد دولة أخرى وقد يكون هذا الاعتداء بقرار منفرد من الدولة نفسها، وقد يكون له طابع قانوني تحت مظلة الأمم المتحدة، وهكذا يكون إما مباشراً أو غير مباشر.

وللإرهاب بشكل عام أسباب سياسية ترمي إلى تحقيق هدف معين. وأحياناً يكون لأسباب عادية، كقيام مجرمين بعمل إجرامي بحجة هدف شخصي، أو نتيجة أوضاع نفسية معقدة، أو بسبب إطلاق دعوة معينة، أو بواعث عقائدية وإيديولوجية.

أما على مستوى أنواع الإرهاب فقد يتوزع إلى عدة فئات:

---

(١) شكري، محمد عزيز، الإرهاب الدولي دراسة قانونية ناقدة، مرجع مذكور، ص١٨٩.

ـ إرهاب ضد أشخاص محميين دولياً.

ـ إرهاب ضد أشخاص أبرياء لإبادتهم.

ـ إرهاب ضد أهداف مدنية كالمنازل الخاصة أو أبنية الدولة، أو خطف رهائن وخطف طائرات.

وأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الأعمال الإرهابية مثل: استعمال الولايات المتحدة لأطنان القنابل ضد شعب فيتنام ـ والمجازر التي تقوم بها «إسرائيل» على الشعب الفلسطيني، والغارة الإسرائيلية على بيروت عام ألف وتسعمئة وثمانية وستين والعدوان الذي تقوم به إسرائيل على لبنان منذ عام ألف وتسعمئة وثمانية وستين ولغاية الآن، وكالغارة الإسرائيلية على المفاعل النووي العراقي، والغارة الأمريكية على ليبيا عام ألف وتسعمئة وستة وثمانين.

أما الأسباب التي قد ينشأ عنها إرهاب مضاد، فهي القيام بجرائم حرب والاحتلال والتعذيب وغيرها من الأسباب التي تدفع للجوء إلى الأعمال التي تسمى إرهابية بينما هي في الحقيقة والواقع دفاع عن النفس. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ردة الفعل على هذه الأعمال، تحكمها معتقدات كل فئة تتعرض للأسباب المذكورة وكيفية تعاطيها مع من يقوم تجاهها بمثل هذه الأفعال التي تعتبرها غير قانونية إذا تعرضت لها.

وفي مجال تسليط الضوء على الإرهاب الذي مارسه ويمارسه اليهود تجاه الأمة الإسلامية في فلسطين ولبنان، أجد أن اليهود باشروا

عمليات قتل وإبادة وتشريد للفلسطينيين واللبنانيين استمرت لسنوات طويلة حتى تمكنوا من احتلال فلسطين، وقد أجمع قادة إسرائيل على العداء للعرب. وعبّروا بوقاحة ووضوح عن هذا التوجه.

فقد نقل عن بن غوريون قوله: «ستنشأ في المستقبل ظروف، وعلينا أن نستغل هذه الظروف لتوسيع حدود الدولة. وإذا لم تنشأ هذه الظروف تلقائياً فعلينا أن نصنعها بأنفسنا»(١). بحيث برر لنفسه ولليهود احتلال الأرض وطرد ساكنيها حيث لا مكان في دولته للعرب. وفي مجال تحديد الهدف يقول بن غوريون: «إن الهدف الأسمى لدولة إسرائيل هو تجميع الشتات»(٢).

وبخصوص تثبيت الدولة يقول: «إن رغبتنا الوحيدة هي خلق الظروف الدولية التي ستقوي وجودنا وأمننا القومي»(٣).

ونقل عن غولدا مائير سنة ألف وتسعمئة وواحد وسبعين قولها: «إن الحدود الدولية لإسرائيل تتحدد حيث يتوطن اليهود»(٤).

بهذا المنطق العنصري يتسم قادة الصهاينة، منذ نشوء ما يسمى بدولة إسرائيل إلى الآن، بحيث يعتبر بعض الأجانب نظرية الحدود الآمنه لإسرائيل نظرية حرب عصابات، حيث يقول مندوب الصين في

---

(١) شحاتة، ابراهيم، الحدود الآمنة والمعترف بها، ط٢، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥، ص١١.

(٢) خالد علي، فلاح، الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨/١٩٤٩ وتأسيس إسرائيل، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢، ص٣١١.

(٣) شحاتة، ابراهيم، الحدود الآمنة والمعترف بها، مصدر سابق، ص١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١.

الأمم المتحدة في خطابه أمام الجمعية العامة، في الثامن من كانون الأول عام ألف وتسعمئة وواحد وسبعين: «إن نظرية إسرائيل عن الحدود الآمنة هي منطلق رجال العصابات وذريعة نموذجية للتوسع»(١).

وهنا أستشهد بقول للإمام الخميني ﷺ: «ابتليت الحركة الإسلامية في أول أمرها باليهود، حينما بدأوا نشاطهم المضاد بالتشويه لسمعة الإسلام، والوقيعة فيه والافتراء، واستمر ذلك إلى يومنا هذا»(٢).

وفي سياق المواقف ضد هذا التسلط والظلم يقول الدكتور حسن الضيقة في كتابه «اليهود في العصور القديمة» نقلاً عن مجلة الغدير في عددها الثالث والعشرين: «ليس اليهود أول من استوطن فلسطين وليسوا شعبها، وليست وطنهم. فقد شكلت هذه البلاد قديماً بشعوب عديدة تنطوي تحت اسم الكنعانية، ورد ذكرها في التوراة، وقد حاربها يوشع عند قدومه إلى أرض فلسطين، ولم يستطع إخضاعها كلياً، فقد بقيت الحروب مستعرة بينها وبين هذا الشعب المحتل كدليل على عدم تقبلها له ورفضها لوجوده.. واليهود شعب طارئ على جزء صغير من بلاد كنعان، بل لم يستطع الوصول إلى البحر فمسرح إمداداته ينحسر في الشعاب والأودية والجبال».

ومن خلال استعراضي مخطط المجازر التي قام بها اليهود منذ احتلالهم لفلسطين حتى الآن فقط، يتبين أنها تنوعت بين مجازر بحق

---

(١) شحاتة، ابراهيم، الحدود الآمنة والمعترف بها، مرجع مذكور، ص ١١.
(٢) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، ب ط، بيروت، دار الطليعة ١٩٧٩، ص ٧.

البشرية وأخرى تسببت بأضرار مادية بحق الطبيعة وبحق ممتلكات المدنيين. حيث كانت هذه المجازر تشكل سابقة لا مثيل لها، خاصة إذا تم استعراض تفصيلي لها، وإذا أردت بيان المجازر بحسب ذكر التاريخ لها أستطيع أن أوثق التالي:

١ ـ مجازر من العام ألف وتسعمئة وسبعة وثلاثين ولغاية العام ألفين واثنين، وقد بلغت تسعاً وثمانين مجزرة سقط ضحيتها أربعة آلاف وتسعمئة وتسعة شهداء وألفان وخمسمئة وتسعون جريحاً، وهذه المجازر تشمل مجزرتي صبرا وشاتيلا في لبنان، حيث سقط فيهما ثلاثمئة وسبعة وخمسون شهيداً.

٢ ـ مجازر تمت بحق الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى عام ألف وتسعمئة وسبعة وثمانين وما بعدها، حيث نفذت قوات الاحتلال مئتين وخمس وأربعين مجزرة راح ضحيتها سبعمئة وتسعة وعشرون شهيداً وألف ومائتان واثنان وستون جريحاً.

٣ ـ مجازر بحق الانتفاضة الثانية حتى نيسان ألفين واثنين، حيث ارتكب الصهاينة مئة وإحدى وتسعين مجزرة سقط فيها خمسمئة وسبعون شهيداً.

بالإضافة إلى تهديم منازل وقلع أشجار وتخريب محاصيل زراعية، إذ بلغ عدد المنازل التي دمرها الصهاينة حوالى أحد عشر ألف وسبعمئة واثنين وستين منزلاً، واقتلعوا ستة آلاف وثلاثمئة وإحدى وخمسين

شجرة، وهدموا ثلاثين مسجداً واثني عشر كنيسة وخربوا خمسمئة من الآبار وبرك المياه[١].

وما زالت قواتهم تقوم منذ العام ألفين واثنين ولغاية الآن بالكثير من المجازر، بحقّ الشعب الفلسطيني، وخير دليل على ما أقول ما جرى في اقتحام مخيم جنين وغيره.

وبنظرة متفحصة للمجازر، يظهر الإصرار الصهيوني على إبادة الشعب الفلسطيني، من خلال إرهابه وتخويفه بالقتل والتشريد، أو محاولة كسر روح الصمود عنده بشتى الأساليب «هدم منازل، دور عبادة، تشريد، مجازر..» وأرى البشاعة والإرهاب المتمثل بتلك الجرائم يتعاظمان، ولا من رادعٍ لهذا الإرهاب الصهيونيّ.

وفي حقبة تاريخية من الزمن كان اليهود يقسمون أعمالهم الإرهابية بين فلسطين ولبنان، حيث كان للبنان نصيب كبير من مخططهم الإرهابي الذي أرادوا من خلاله ضرب روح القوة عند العرب والمسلمين، وإبقاءهم بعيدين عن روح النهضة التي أرادها الإسلام لهم، والتي بعثتها المقاومة من جديد فحاولوا استيعاب الوضع اللبناني بفرض اتفاقات مذلةٍ تارة، وتوسيع احتلالهم تارة أخرى، وبضرب هذا الشعب، ليتخلى عن مبدئه الأساسي: عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب.

ورغم كل ذلك لم يصلوا إلى هدفهم، وقد قاموا بالعديد من

---

(١) انظر: التفاصيل في نشرة المقاومة، الصراع العربي الصهيوني تاريخ في المجازر (١٩٣٧ ـ ٢٠٠٢) عدد خاص ٧٦، العام السابع ٢٠٠٢م.

الأعمال الإرهابية الموازية للجرائم التي كانوا يرتكبونها في فلسطين. وما زالوا مستمرين في محاولة إرهاب الشعب اللبناني وتخويفه للإذعان لرغباتهم.

ففي عملية الليطاني عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين ميلادي، ارتكب العدو مجازر كبرى باستخدامه قذائف حارقة وانشطارية في قلب الأحياء السكنية وخارجها، وكان من أبرز المجازر مجزرة العباسية التي ذهب ضحيتها ما يقارب المئة شهيد إضافة إلى عدد من الجرحى، ومجزرة الخيام التي ذهب ضحيتها حوالى ستين شهيداً وبحسب مصادر الحكومة اللبنانية قدر عدد الضحايا حينها بحوالى ألف ومئة وستين شهيداً، إضافة إلى عدد من الجرحى، وبحسب إحصاءات هيئة الإغاثة الدولية فإنه تمّ نزوح حوالى مئتي ألف شخص من القرى، وتضرر حوالى ثمانين في المئة من سكان القرى الجنوبية، بحيث دمرت بعض القرى تدميراً كاملاً «مثل بلدة الخيام».

أما عملية الاجتياح الكبير وما جرى فيه من إرهاب، فأورد التالي: تم القضاء على البنية الاقتصادية اللبنانية وتدمير مؤسسات عامة وممتلكات مدنية كبرى وسقوط عدد كبير من الشهداء، إضافة إلى حوالى ثلاثين ألف جريح ومعاق، على أثر الإصابات التي تعرضوا لها من جراء استعمال العدو لقذائف ممنوعة دولياً «نابالم، الحارقة، الانشطارية».

وفي تموز عام ألف وتسعمئة وثلاثة وتسعين في الاعتداء الجوي الكبير الذي دام أسبوعاً بقصف المدنيين اللبنانيين، بحجة تصفية الحساب مع المقاومة، فقد تضرر من جراء ذلك الكثير من المؤسسات

والمنشآت الحيوية «محطات كهرباء، ماء، وقود، شبكة المواصلات، جسور، مزروعات، مدارس، منازل، مصانع، مستشفيات ومحال تجارية».

فقد تم تدمير حوالى عشرة آلاف منزل بشكل كامل وعشرين ألف منزل بشكل جزئي، وتهجير حوالى ثلاثمئة ألف مواطن إلى خارج قراهم باتجاه بيروت والبقاع، وحوالى مئة وعشرين قرية كانت نسبة التهجير فيها ثمانين في المئة، واستشهد حوالى مئة وسبعين شخصاً من الأطفال والنساء والشيوخ، وجرح حوالى الخمسمئة شخص.

وقد أعاد العدو عدوانه وصبّ غضبه على لبنان باعتداء جوي أكبر وأضخم من سابقه، ليعبر عن غضبه وحقده وإرهابه فارتكب المزيد من المجازر أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ مجزرة قانا، وكانت الأبرز وضحاياها مئة وسبعة شهداء ومئة وخمسة وأربعون جريحاً من النساء والأطفال والشيوخ.

٢ ـ مجزرة المنصوري وضحاياها أربعة شهداء من الأطفال والنساء.

٣ ـ مجزرة النبطية وضحاياها ثلاثة عشر شهيداً وجريحاً من النساء والأطفال والشيوخ.

٤ ـ مجزرة سحمر وضحاياها تسعة شهداء وعدد من الجرحى، ومجزرة الجميجمة ـ ثلاثة شهداء كلهم أطفال ونساء. بالإضافة إلى أربعمئة ألف نازح من الجنوب والبقاع الغربي إلى مناطق آمنة في لبنان، وقد وقعت أضرار مادية كبيرة جداً في المنشآت الحيوية والمدنية.

كل هذا، ولا يزال الصهاينة مستمرين في إرهابهم ضد الشعب اللبناني في محاولة لتخويفه بحيث يرضخ لرغباتهم، ولكن دون جدوى.

وبعد أن تمّ استعراض مخطط المجازر والإرهاب التي قام بها الصهاينة في فلسطين ولبنان، يظهر حجم الإجرام الذي يتعمده الصهاينة وقادتهم بحق الإنسانية، مخالفين بذلك كل الأعراف والقوانين الدولية التي تم ذكرها، من القوانين الداعية إلى احترام حقوق البشر وعدم الاعتداء عليهم أو قتلهم.

ويتضح للجميع أن الإرهاب الذي كثر الحديث عنه خلال هذه السنوات يتمثل بحسب الأدلة الواضحة والمفاهيم، والقيم كلها والعلوم الإنسانية، الثقافية منها والسياسية والفلسفية والاجتماعية، وهذا الإرهاب يتمثل باليهود وحلفائهم، حيث يتعمدون فعل الإجرام والعنف؛ لكي يتم القضاء على روح الاستنهاض عند الأمة هذه الروح النابعة من الفكر الذي يحمله أبناؤها.

وحيث إن النكبات والاحتلالات والجرائم الّتي تحل بأي شعب من الشعوب وأي أمة من الأمم، لا بد من أن تؤثّر سلباً في نهضتها، وتقدمها، ويسعى الصهاينة وحلفاؤهم ـ بعد دراسات قاموا بها عن نتائج أعمال العنف، وإنزال الخسائر بالشعوب ـ للقضاء على روح النهضة في هذه الأمة، حيث تحتاج الأمة إلى وقت كبير لتعويض هذه الخسائر، وللخروج من الأزمات التي تسببها، وبهذا تكون الفرصة سانحة أمام اليهود ليفكروا ويخططوا ويتقدموا، على حساب الوقت الذي تهدره الأمة في إعادة لملمة وضعها النفسي والمادي في مواجهتهم.

ثانياً: عوامل نشأة المقاومة في لبنان

يتضح من خلال المقارنة بين الصراعات التي عاشها لبنان والاحتلالات التي مرت عليه في العصور الماضية، وبين واقعه المعاصر، أن هناك ظاهرة تلازم الواقع اللبناني تتمثل بالرفض لشتى أنواع الاضطهاد والاحتلال، يبدو ذلك واضحاً من خلال حالات التمرد والمقاومة التي كانت تحصل إبان الاحتلالين العثماني والفرنسي، والتي حصلت في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. هذه الظاهرة منشؤها نابع من عدة خلفيات، خاصة وأن لبنان يتمتع بميزة تكاد تكون نادرة، ذلك أن شعبه يتألف من فئات ومذاهب متعددة ومختلفة الأهواء والآراء، إن من حيث العقيدة والدين، أو من حيث القومية والوطنية. ومهما تكن الخلفيات، فالنتيجة التي تحصلها المقاومة تعود على الجميع بالمنفعة سيما وأنهم يعيشون في وطن واحد.

وعليه فإن مصلحة أي مقاومة هي أن يكون هناك إجماع على هذا العمل من شتى الفئات الموجودة وإلا فسيكون هناك خلل ما. ولبنان هذا الذي تعرض لأبشع أنواع الإجرام الإسرائيلي، وعانى الكثير من الإرهاب والقتل والدمار من قبل الصهاينة، وقد شهد الشعب اللبناني عنصرية هذا العدو ونواياه العدوانية التي لم يتوانَ قادة الصهاينة عن الإفصاح عنها ضد العرب والمسلمين، ولمسوا الأذى الكبير الذي لحق بهم وبالأمة الإسلامية في فلسطين ولبنان، خاصة في الجنوب والبقاع وبيروت، شعروا أن وجودهم مهدد بالخطر والسقوط أمام اليهود ومخططاتهم التوسعية. كل هذا كان من الدوافع الكبرى التي جعلتهم

يستبسلون في الدّفاع عن وجودهم ووحدتهم حول المقاومة، وأيقظ فيهم عامل الدفاع عن النفس والوجود في مقابل هذه الهجمة الصهيونية الوحشية.

وإذا استقرأنا وضع اللبنانيين قبل الاحتلال الإسرائيلي وخلاله،يظهر أن لبنان لم تمّر عليه حالة استقرار تام منذ نهاية الانتداب الفرنسي عام ألف وتسعمئة وثلاثة وأربعين للميلاد وحتى العام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين، حيث كان الصراع يأخذ أشكالاً متعددة، إن كان من ناحية عدم الاتفاق على مسألة رئاسة البلاد، أو الامتيازات التي كانت تعطى لطائفة دون أخرى، أو حرمان طائفة من حقوقها التي يجب أن تتمتع بها كباقي الطوائف، أو من ناحية الوجود الفلسطيني على الأرض اللبنانية، وانعكاساته على اللبنانيين والفلسطينيين، حيث اعترضت بعض الفئات على النشاط الفلسطيني في لبنان، وخاصة بعد أن رأى الفلسطينيون أن الحدود اللبنانية الفلسطينية هي نافذة صراعهم الوحيدة مع العدو الصهيوني، بعد عملية التهجير التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، والتي شكلت لهم عامل استنهاض ضد الواقع الذي أوجده الاستعمار البريطاني.

عاش لبنان نتيجة الوجود الفلسطيني على أرضه حالة إرباك وتفكك، وتحول إلى ساحة فوضى، حتى كانت الحرب الأهلية في نيسان عام ألف وتسعمئة وخمسة وسبعين، وظهر بشكل واضح الشرخ بين الفلسطينيين وبعض اللبنانيين، وانقسم اللبنانيون بين مؤيد للعمل الفلسطيني ورافض لهذا العمل بحجج مختلفة، فأيده المسلمون وبعض

المسيحيين ورفضه المسيحيون وبعض المسلمين، وقام هؤلاء وأولئك بتقسيم لبنان إلى مناطق نفوذ يتقاسمونها بينهم، والتهب لبنان بكتل النار وعم القتل والدمار بين أبنائه، وجرت تحالفات كثيرة بين بعض الفئات، لكنها كانت تتبدل تبعاً لمصالح كل فئة.

وسط هذه الظروف كانت إسرائيل تطل بحروبها واعتداءاتها على لبنان بين الفينة والأخرى، حتى توجت اعتداءاتها بالاجتياح الكبير للبنان عام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين، مغتنمة فرصة الاقتتال الداخلي، وانقسام المصالح لتنفيذ مخططاتها، لعلها تصل إلى تحقيق اتفاق سلام مع لبنان، معولة على حالة الرفض للوجود الفلسطيني في لبنان من قبل بعض اللبنانيين، مثيرة النعرات بينهم، ومبرزة السلبيات التي نتجت عن وجود القوات الفلسطينية في لبنان.

وبرغم ما تعرض له اللبنانيون من انقسامات وحروب أججتها الجهات الخارجية أحياناً والنعرات الطائفية أحياناً أخرى، فإن فئة كبيرة منهم لم تسقط في شراك اليهود ومخططاتهم للفصل بين اللبنانيين وبين القضية الفلسطينية من جهة، وبينهم وبين البعض من جهة أخرى، إلا أن ما حصل من حالات تعاطف مع اليهود من قبل بعض الفئات المحدودة، وفي أماكن محددة لم يكن منشؤها سوى الجهل بالأهداف الصهيونية وردة فعل على ممارسات فلسطينية خاطئة بحق بعضهم.

وإذا استعرضت بشكل تحليلي الوضع الذي كان سائداً في لبنان قبل الاجتياح، أستطيع القول: في بداية الستينات، تزايدت حدة الصراع العربي الإسرائيلي، وانقلب ميزان القوى، فظهرت في لبنان انشقاقات

واعتراضات على الواقع القديم، وظهرت عند المسيحيين وتحديداً عند حزب الكتائب اللبنانية حالة اعتراض على التفكير الذي كان سائداً، وعلى طريقة معالجة المشاكل ضمن الحركة السياسية العسكرية، ظهر تيار جديد تحت اسم «القوات اللبنانية»، ونشأت آنذاك حالة جديدة من التعاطي مع القضايا المسيحية الإسلامية وغيرها. في حين كانت تتنازع النفوذ السياسي والجماهيري على الساحة في المناطق ذات الغالبية المسلمة، مجموعة من الأحزاب مثل «الحزب الشيوعي اللبناني» و«الحزب التقدمي الاشتراكي»، و«الحزب القومي السوري»، وغيرها، من تنظيمات سياسية، ولم يكن للطائفة الشيعية آنذاك وجود سياسي أو عسكري مستقل بحسب ما جرت عليه التركيبة اللبنانية، إلى حين مجيء الإمام السيد موسى الصدر إلى لبنان قادماً من إيران[(١)] وسعيه لإيجاد إطار ناظم للطائفة الشيعية، بعد أن رآها تعيش حالة من الحرمان وضياع الحقوق، وبعد أن رأى أن حالات التخلف كثيرة يجب حلها، فانتفض

---

(١) يعود أصل السيد موسى الصدر إلى قرية شحور احدى قرى الجنوب اللبناني، حيث ولد جد عائلته السيد صالح شرف الدين الصدر.
السيد موسى الصدر هو ابن السيد صدر الدين ابن السيد اسماعيل ابن السيد صدر الدين ابن السيد صالح شرف الدين. والسيد الصدر من مواليد عام ألف وتسعمئة وثمانية وعشرين تلقى علومه الدينية في حوزات قم، ودرس الحقوق في جامعة طهران ثم غادر ايران قاصداً النجف الاشرف ليكمل دراسة علومه الدينية على يد أكابر العلماء والمجتهدين، ومارس أيضاً التدريس والتأليف.
زار لبنان لأول مرة في العام ألف وتسعمئة وسبعة وخمسين ثم جاء مرة ثانية في العام ألف وتسعمئة وثمانية وخمسين أثر وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين، وانتقل إلى مدينة صور ليسكن هناك في أوائل العام ألف وتسعمئة وستين ، وقد منحه الرئيس شهاب الجنسية اللبنانية في العام ألف وتسعمئة وثلاثة وستين. للمزيد من التفاصيل انظر: هادي فضل الله، فكر الامام موسى الصدر السياسي والاصلاحي، ط ١، بيروت، دار الهادي، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

على المنطق التقليدي السائد، واستطاع ان يؤسس وجوداً سياسياً وعسكرياً جديداً للطائفة الشيعية هو «أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)».

وهنا لا بد من التعريج على موضوع عمل السيد الصدر لما له من تأثير على واقع الشيعة فيما بعد وحركتهم في مواجهة الصراع مع العدو الإسرائيلي. فقد عرف السيد الصدر بكثرة نشاطاته الاجتماعية، إذ أسس جمعية البر والإحسان في صور لخدمة هذا الهدف، وقد حظي بتأييد جماهيري كبير بعد أن رأت فيه الطائفة الشيعية مخلصاً لها من استضعافها. وقد أكد بنفسه هذا الاستقطاب بقوله: «فمنذ عدت إلى مواطن آبائي (لبنان) وبدأت المبادرة تلو المبادرة على الصعيد العام، شعرت بتجاوب شعبي كامل من أبناء الطائفة، أخذ يتزايد مع وضوح النتائج وتفهم الأبعاد»[١].

قام السيد الصدر ضد الحرمان مطالباً الدولة بتأمين العيش الكريم لهذه الفئة من اللبنانيين كبقية الطوائف الأخرى، حيث بيَّن الصدر أنّه لا توجد في لبنان طائفة لم تنل حقوقها سوى الطائفة الشيعية، وقد أكد للمسؤولين من خلال إحصاءات قدمها لهم مع إثباتات تؤكد استطاعة الشيعة ملء الأماكن الشاغرة في الدولة لما يملكون من كفاءات علمية[٢].

(١) السيد الصدر، منبر ومحراب. عبارة عن كلمات وخطب وندوات للسيد الصدر، ط١، بيروت، دار الارقم، ١٩٨١م/ ١٤٠١هـ، ص: ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٨٧.

حاول الصدر إنهاء التقاتل الداخلي بين الفلسطينيين واللبنانيين، ورفع شعار الدفاع عن الجنوب وحرمة التعامل مع إسرائيل بعد أن نعتها بالشر المطلق. وعمل على جمع رموز الطائفة الشيعية، وتأسيس كيان لها موضحاً أهدافه من وراء ذلك، وهي توحيد الجهود وبناء مجتمع سليم، ورغبة في تركيز الروح الدينية في الطائفة، وتبادل التجارب والتعاون بين الطوائف. وسعياً وراء العدل ورفع الظلم وتدعيماً لوحدة الوطن، كان من الضروري إنشاء مجلس للطائفة الإسلامية الشيعية كما لبقية الطوائف كالدروز والسنة وغيرهم[١].

من هنا أعلن عن تأسيس المجلس في الثامن عشر من أيار عام ألف وتسعمئة وسبع وستين، بموجب قانون وضعه المجلس النيابي تحت رقم اثنين وسبعين على سبعة وستين صدّقه نواب الشيعة باستثناء واحد[٢].

وكان من ضمن مواجهة الصدر للعدوان الإسرائيلي تنفيذ احتجاجات وإضرابات على الاعتداءات، ففي العام ألف وتسعمئة وسبعين نُفّذ إضراب احتجاجاً على غارة إسرائيلية على الجنوب، وقد دعم فكرة مقاومة العدو لدى الناس، وحاول استقطاب العناصر الشيعية التي كانت المنظمات الموجودة تتنافس عليها، خاصة الأحزاب الوطنية التي سعت كثيراً للانغماس في الواقع الشيعي.

(١) السيد الصدر، منبر ومحراب، مرجع مذكور، ص٩٠.
(٢) نورثون، أ، ر، أمل والشيعة، ترجمة غسان الحاج عبدالله ط١، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٨م /١٤٠٨هـ، ص ٨٨.

يقول وليد الخالدي بهذا الصدد «إن أبرز انعكاس لظاهرة الشيعة هو الاختراق العميق للمنظمات السياسية الجذرية، وخصوصاً الماركسية للمناطق الشيعية. كما انعكست أيضاً في تزايد نضالية السيد موسى الصدر القائد الشيعي ضد النظام»(١).

في السابع عشر من آذار سنة ألف وتسعمئة وأربع وسبعين وفي مهرجان أقيم في مدينة بعلبك أعلن الصدر عن إنشاء حركة المحرومين «أمل» لتشكل التنظيم السياسي والعسكري للشيعة في لبنان(٢).

وهكذا استطاع أن يبني للشيعة تنظيماً للدفاع عن حقوقهم وأرضهم ضد أي اعتداء صهيوني، وقد شاركت بالفعل مجموعات من المحرومين في مواجهة عملية الليطاني عام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين، رغم الإمكانات الضعيفة الموجودة، وذلك بمشاركة القوى الأخرى التي بدورها كانت تملك إمكانات ضعيفة أيضاً. لكن النفس الثوري الذي بثّه الصدر في نفوس أبناء تلك المنطقة، مكّن الجنوبيين من الصمود قليلاً، رغم عدم تبلور فكرة المقاومة كما أرادها وأراد للمجتمع أن يحتضنها، ليكون مجتمعاً مقاوماً إلى جانب مقاومة عسكرية.

واختطف السيد الصدر إثر زيارة قام بها إلى ليبيا في الخامس والعشرين من آب عام ألف وتسعمئة وثمانيةٍ وسبعين في ظروف غامضة؛ وما زالت قضيته تتداول حتى يومنا هذا. وكان لغيابه الأثر الكبير في

---

(١) نورتون، أ، ر، **أمل والشيعة**، مرجع مذكور، ص٧٠.

(٢) كان ذلك إثر انفجار لغم في معسكر تدريب كانت تقيم فيه أمل دورة عسكرية في منطقة عين البنية في البقاع.

صفوف اللبنانيين عموماً والشيعة خصوصاً، والأنصار والأتباع بشكل أخص. كما كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران في الحادي عشر من شباط سنة ألف وتسعمائة وتسع وسبعين، أي بعد عدة أشهر من اختطاف الصدر أثره في الساحة اللبنانية، حيث كان لهذين الحدثين أثر كبير في نفوس الشيعة، ولّد عندهم إحساساً بالاستفراد بعد غياب الصدر، وإحساساً بالذات عند انتصار الثورة الإسلامية في إيران، إلا أن الساحة اللبنانية بعد غياب الصدر لم تخلُ من العلماء والمفكرين، الذين استلهموا الثورة الإسلامية الفتية، مستمدين منها المعنويات والعزيمة لإكمال الطريق.

ولم يكن الصدر وحده في الساحة بل كان هناك من يعمل للطائفة الشيعية ولكن بطريقة مختلفة وبحسب نظرتهم للأمور والأحداث. وكان السيد الصدر مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد محمد حسين فضل الله يشكلون ثلاثياً فاعلاً يعمل لخدمة المشروع الإسلامي بشكل مستقل[(١)].

فكان عدد كبير من المؤمنين يتردد على كل واحد منهم. وكانوا منفتحين على الساحة بشكل عام ليلتقوا مع باقي التيارات الفكرية والسياسية لخدمة الوطن والناس.

فكان الشيخ شمس الدين يهتم بالعمل الثقافي والاجتماعي الذي بدأه من منطقة الدكوانة في بيروت حيث كان يسكن، وترأس الجمعية

---

(١) قاسم، نعيم، حزب الله، المنهج، التجربة، المستقبل، مرجع مذكور، ص١٦.

الخيرية الثقافية التي قامت بأعمال اجتماعية كثيرة، ومنها إنشاء المعهد الفني الإسلامي العالي، وقد تميز الشيخ شمس الدين بنبوغه الفكري، وشارك في كثير من المؤتمرات، وكان له الكثير من المواقف الداعمة للسيد الصدر في مشروعه، إضافة إلى مشاركته في المجلس الشيعي حيث خلف الصدر بعد غيابه، وله نظريات عدة في الفقه والاجتماع وغيرهما كنظرية الديمقراطية العددية وغيرها ، كما أسس المقاومة المدنية الشاملة.

أما السيد فضل الله فقد بدأ نشاطه الديني في منطقة النبعة، وأسّس جمعية أسرة التآخي، وكان نشاطه متميزاً في حركة الدروس اليومية والأسبوعية في المساجد. ثم انتقل إلى منطقة الضاحية الجنوبية ليكمل مسيرته التي بدأها بالدعوة إلى الله، واستمر في عمله وأسس جمعية المبرّات الخيرية، وأصبح رمزاً من رموز العمل الإسلامي في لبنان، وارتبط اسمه بشكل وثيق بحزب الله في فترة نشوء الحزب[1].

وهكذا، وبعد مرحلة تاريخية معينة، كان الشيعة خلالها في طور التأسيس متأثرين بالشخصيات الثلاث التي ذكرت، تبلورت عندهم فكرة الدفاع عن الحقوق في الأمور الداخلية والدفاع عن الأرض في الأمور الخارجية، وشكلت السيرة النبوية الشريفة، ومدرسة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام عند الشيعة ثقافة فكرية وجهادية مستمدة من القرآن والسنة، كما أراد السيد الصدر، وشدد على ذلك في أكثر من مناسبة قبل اختطافه حيث كان يقول: «في الحقيقة كان هناك حاجة إلى

---

(١) قاسم، نعيم، حزب الله، المنهج، التجربة، المستقبل، مرجع مذكور، ص ٢٠.

تضحية عظيمة تهز الضمائر وتحرك المشاعر، فكانت كربلاء وتلك التضحية عليكم ان تختاروا بين صف الطغيان وصف الحسين، وإنني على ثقة أنكم لن تختاروا سوى صف الثورة والاستشهاد، حتى تتحقق العدالة ويُقضى على الطغيان»[١].

والحقيقة هي أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنارت لكل الأحرار في العالم طريق العزة والشرف، هذه الثورة وما مر على الشيعة من مآسٍ ومصائب وتضحيات وتجربة مقاومة، مروراً بالمواقف البطولية خلال الاحتلالين العثماني والفرنسي، أوقدت في نفوس أبناء هذه الفئة حرارة العشق للجهاد في سبيل الله، خاصة بعد بزوغ دولة الإسلام في إيران عام ألف وتسعمئة وتسعة وسبعين.

هذه الأحداث استطاعت أن توقد في هذه الفئة شعلة المقاومة ضد الاحتلال الجديد وشاركتها فيها فئات أخرى مخلصة لهذا الوطن المميز. ومن منطلق عقائدي وتاريخي بدأ الصراع مع العدو الصهيوني، الذي ينكر كُلّ الديانات ويتسلح بالعنصرية ويعيث في الأرض فساداً، هذا الصراع الذي كان قد بدأ مع فئات أخرى من اللبنانيين لها منطلقاتها وأهدافها.

وكان لابد لهذا الخليط من الناس المتعددي العقائد والثقافات من أن تجد فيه من يتعامل مع العدو، ويتخلى عن دينه ووطنه وهذا ما حصل فعلا[٢]، وأن تجد من لا يهتم بموضوع المقاومة حيث لا تعني له

---

(١) نورثون، أ، ر، أمل والشيعة، مرجع مذكور، ص، ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) شكلت إسرائيل لعملائها جيشاً تواجد في المناطق المحتلة تحت اسم جيش لبنان الجنوبي توالى على قيادته العميل سعد حداد ثم أنطوان لحد.

شيئاً، وهؤلاء هم الحياديون، وقد تجد من له نظرته الخاصة لليهود من منطلق حزبي ماركسي الخ. . حيث بعض الفئات تعتبر أن اليهود فئتان الأولى: بروليتاريا، والثانية: برجوازية، ومن الممكن التعامل مع الفئة الأولى للتغلب على الفئة الثانية ومنشأ هذه الفكرة هو الشيوعية الماركسية التي لا تعترف بوجود الأمم ولا مصالحها، بل تؤمن بوجود طبقات ومصالح طبقات[١].

وهكذا تتعدد المصالح والأهداف ولكن القاسم المشترك في النهاية هو قتال هذا العدو وإخراجه من أرضنا.

على هذا الأساس وأمام هذا التنوع، لا بد من التعامل مع مسألة المقاومة بشيء من المرونة تجاه المواطنين، وبالقوة ضد ذلك العدو، وعلى من يريد مقاتلة العدو في ظل هذا المناخ أن يكون منفتحاً على كل قضايا الشعب، بحيث يتعامل مع القضايا المطروحة وأخذ ما يتطابق معه ، ووضع المسائل المتباينة في وضع النقاش والتفاهم، وذلك للوصول إلى الهدف وهو التحرير.

وتشكلت المقاومة ضد الاحتلال من:

١ ـ أحزاب وطنية وقومية وعلمانية وغيرها.

٢ ـ حركات وأحزاب إسلامية.

---

(١) أيوب، س، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ١٩٢٢/١٩٥٨، ط١، بيروت، دار الحرية ١٩٥٩ م، ص٨٧.

٣ ـ المنظمات الفلسطينية قبل انسحابها من بيروت.

٤ ـ منظمات فلسطينية إسلامية شاركت فيما بعد في عمليات المقاومة.

يظهر ذلك من خلال المواجهات التي حصلت في العام ألف وتسعمئة وثمانية وسبعين، حيث كانت القوى والأحزاب آنذاك ضعيفة الإمكانات، وتتعاون مع الوجود الفلسطيني الذي كان بدوره ضعيفاً أيضاً، وكانت حركة المحرومين في طور التأسيس.

وظهر الإصرار على موضوع قتال إسرائيل، وبرزت فكرة المقاومة التي تستطيع أن تواجه فترة أطول إذا ما دعمت بالإمكانات البشرية والمادية، واذا ما تسلحت بعقيدة ثابتة وبالتوكل على الباري عز وجل عملاً بالآية الكريمة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. فكانت بداية إشعاع المقاومة.

وعليه يمكن القول: إن العوامل الداخلية التي فرضت الوحدة والتضامن، والعوامل الخارجية التي فرضت الدفاع عن الأرض والنفس، يمكن من خلالها بلورة مشروع مقاومة ضد أي احتلال. أمام ذلك بدأ الفرقاء في لبنان يبحثون عن السبل والإمكانات للوقوف بوجه الزحف الصهيوني القادم. وبدأت الأحزاب والقوى تجمع إمكاناتها لعلها تقوم بواجب الدفاع عن الأرض، خاصة بعد تزايد سرعة الانسحاب الفلسطيني من المواجهة وعدم مجابهة المنظمات الفلسطينية لهذا العدو القادم في

(١) سورة محمد، الآية ٧.

حزيران عام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين، مخالفة بذلك المبادئ التي كانت تلك المنظمات تنادي بها قبل ذلك.

وأمام هذا الانسحاب، باتت الأحزاب في حالة صدمة وريبة من الذي يحصل. ففي فترة لا تزيد على ثلاثة أشهر، استطاع العدو الإسرائيلي أن يخلي الأرض اللبنانية من أي وجود مقاتل للمقاومة الفلسطينية، حيث تم انسحاب القوات الفلسطينية إلى بلاد متفرقة، فيما بقي الشعب الفلسطيني في المخيمات. حينها رأت الأحزاب والقوى الموجودة أنها ملزمة بالدفاع عن الوطن، وبالتالي عن وجودها، ففكرت بأعمال أكثر جدية في المواجهات. وبدأت بعمليات في بيروت والجبل امتدت إلى الجنوب. ورغم أنها كانت متواضعة لكنها شكلت مع ما قام به الإسلاميون في مواجهات خلدة وأبواب الضاحية الجنوبية نواة وبداية خيرة لانطلاقة المقاومة الحقيقية التي كان إشعاعها قد ظهر كما قلت في السابق.

فقد تأثر تيار كبير من الإسلاميين الشيعة بالثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله، حيث أعطت هذه الثورة زخماً معنوياً مهماً في مواجهة العدو، وأحس الإسلاميون بوجودهم وبإمكانية تحقيق الأهداف الإسلامية الكبرى. وكان هذا الانتصار، بالإضافة إلى جذور جهادية عميقة، حافزاً كبيراً للوقوف بوجه العدو الزاحف حتى أصبح على مشارف بيروت.

كان الإسلاميون آنذاك يتشكلون من: حركة أمل واللجان الإسلامية وحزب الدعوة والمستقلين؛ وقد تأثر هؤلاء بأقطاب الشيعة آنذاك: السيد موسى الصدر والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي

شمس الدين، وبالنشاط العلمائي بشكل عام[١]. فشكلوا مجموعات صغيرة توجهت إلى خلدة لقتال هذا العدو إلى جانب قوى حزبية أخرى. وهذه المرحلة في الحقيقة كانت مرحلة صعبة بالنسبة للإسلاميين الذين واجهوا فجأة ظروفاً صعبة جداً، وتغيرات هامة في المنطقة، وكان عليهم أن يواجهوا ويصمدوا ويفكروا في المستقبل، في محاولة لإيجاد مشروع قوي يدعم توجههم وأهدافهم الكبرى، لمواكبة الخطوات التي حصلت سواء أكانت متوقعة أم غير متوقعة.

وفي هذه المرحلة كان الإسلاميون يقاتلون العدو بردة فعل ومن دون وجود تخطيط مسبق، وأستطيع القول: إنه من خلال العفوية الصادرة من العمق الإيماني بوجوب قتال إسرائيل، كونها تعتبر غاصبة للأرض وعدوة للإنسانية، اندفع الشباب للقتال ومنهم من كان في حركة المحرومين (أمل)، ومنهم من كان في اللجان الإسلامية وغيرها. وبعد حوالى شهر من تسارع الأحداث شُكّل ما يسمى بهيئة الإنقاذ، تألفت من رئيس الجمهورية آنذاك إلياس سركيس، وعضوية كل من رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط ورئيس حركة أمل نبيه بري وقائد القوات اللبنانية آنذاك بشير الجميل. وقد أثر ذلك على الكثير من كوادر حركة أمل وعناصرها لاعتبارات وطنية وشرعية، وأصروا على الاستمرار في المواجهة الذي يؤكده كل من الإمام الخميني (رض) والسيد موسى الصدر[٢].

---

(١) قاسم، نعيم، مرجع مذكور، ص: ٢١.

(٢) فضل الله، حسن، حرب الإرادات صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان ط١، بيروت، دار الهادي ١٩٩٧م /١٤١٨هـ، ص:٦٣.

وقد خرج الكثير من أفراد أمل آنذاك ليقوموا بواجبهم في إطار آخر بحسب رأيهم، وقد شكلوا ما يسمى «بأمل الإسلامية»، برئاسة حسين الموسوي الذي كان نائباً لرئيس حركة أمل. وفي هذه المرحلة نفسها كان النقاش لا يزال دائراً بين باقي الإسلاميين، حول كيفية التحرك ومواكبة تطلبات المرحلة الجديدة، مستفيدين من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث لم يكن لديهم أي تشكيل عسكري مهّيأ لصد العدوان. وقد قوي الاهتمام بضرورة قيام تشكيل إسلامي موحد تجمعه أهداف ثلاثة:

١ ـ الإسلام وهو المنهج.

٢ ـ مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، كخطر على الحاضر والمستقبل.

٣ ـ القيادة الشرعية للولي الفقيه، وهو الذي يرسم الخطوط العريضة للعمل في الأمة[1].

وقد جرت يومذاك نقاشات، وتأسست إثرها لجنة رفعت وثيقة للإمام الخميني (رض) فوافق الإمام عليها، وبدأ العمل والتشكيل من منطقة بعلبك، حيث تقرر عدم الانهزام بحسب الإعلان الذي أطلق من مسجد الإمام علي عليه السلام[2]. وكانت لانطلاقة العمل من المسجد دلالاتها الخاصة عند المسلمين، لما يعنيه المسجد عندهم في الماضي والحاضر والمستقبل، بحيث كان له الدور الأساسي في تهيئة الأمة، منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا.

---

(١) قاسم، نعيم، مرجع سابق، ص: ٢٣.

(٢) نصر الله، حسن، مهرجان النصر والتحرير الثالث، بعلبك ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٣.

وهكذا ظهرت المقاومة الإسلامية بشكل جلي وواضح، بعد الانسحاب القسري للقوة العسكرية الفلسطينية من لبنان. وبينما كانت الأحزاب الوطنية وحركة أمل تقاوم على طريقتها شكل الإسلاميون إطاراً آخر لمقاومة الاحتلال وكانت الانطلاقة الأولى للمقاومة، وخاصة نشاط الكادر المتميز محمد سعد[١] الذي كان ينتمي إلى حركة أمل، وما شكله من نهضة ضد الاحتلال في منطقة صور خصوصاً والجنوب بشكل عام، بالإضافة إلى نشاط الشيخ راغب حرب[٢] في بث ثقافة المقاومة والتحدي في منطقة النبطية خصوصاً، والجنوب بشكل عام، حتى صار الموقف الذي أطلقه بعدم قبول الاحتلال شعاراً يتردد على ألسنة الناس «الموقف سلاح والمصافحة اعتراف». وغيرهما من الأبطال والشهداء، وكان لكل ذلك تأثير كبير في مسيرة استنهاض الأمة، وانطلقت المقاومة الإسلامية بوحي من الآية الكريمة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، وصبرت وصمدت رغم الكثير من الضغوطات الخارجية والداخلية حتى أوصلت لبنان إلى التحرير الذي شهده العالم أجمع في أيار عام ألفين. وأصبحت مفخرة اللبنانيين باعتراف من العالم: العدو قبل الصديق، وشاع أمرها حتى أن رئيس

---

(١) استشهد في حسينية بلدته معركة مع رفيقه خليل جرادي، أثر عملية اغتيال قام بها الصهاينة بواسطة عبوة ناسفة بتاريخ: ٤/٣/١٩٨٥ م.

(٢) استشهد في عملية اغتيال نفذها الصهاينة وعملاؤهم في بلدته جبشيت بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٤م.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد محمد خاتمي أعلن اعتزازه بهذه المقاومة حين زار لبنان[١]. ولا أبالغ إذا قلت: إن هذا العمل البطولي ليس مفخرة للبنانيين فحسب وإنما للعرب والمسلمين كذلك.

فجدير بي وبكل المثقفين أن نقف ونستكشف خلفيات هذه المقاومة وطروحاتها ومشروعها، ضمن رؤية اجتماعية وسياسية وفلسفية، بروح شفافة، لنتعرف إلى إمكانية وصول الأمة إلى نهضة معنوية حقيقية، حين تتمسك بالإسلام وتعاليمه وتطبقه، وتتوكل على الباري عز وجل، بالعزم والإرادة واستجماع عناصر القوة، كما قرر الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله حين قال: إن النصر يأتي بعد تطبيق هذه الأمور[٢]، وكما يذكر الأمين العام السابق لحزب الله الشهيد السيد عباس الموسوي: «إن المقاومة الإسلامية مع انتفاضة فلسطين، تمثل عنوان التحرير واليقظة والاستنهاض للأمة بكاملها لأرض المعركة مع إسرائيل»[٣].

---

(١) الزيارة تمت من ١٢ إلى ١٤/ ٥/ ٢٠٠٣ م.

(٢) مهرجان النصر والتحرير الثالث، بعلبك ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٣م.

(٣) خلال إحدى المناسبات في ١٤/ ٥/ ١٩٩٠، نقلاً عن: نشرة لمركز تنظيم وحفظ ونشر آثار الشهداء في ٢١/ ٥/ ٢٠٠٣م.

الفصل الثاني

المقاومة الإسلامية في لبنان

أولاً: حول المقاومة الإسلامية.

ثانياً: المقاومة والشرعية الدولية.

ثالثاً: المقاومة وأساليب مواجهة العدو المحتل.

أولاً: حول المقاومة الإسلامية

استُحضِرت فكرة المقاومة منذ أن نشأ صراع بين الحق والباطل، ومنذ أن نشأ الظلم، إذ من الطبيعي أن يقاوم المظلوم ظالمه. وتمظهرت هذه الفكرة بأساليب متنوعة في مختلف نواحي الحياة والثنائيات الموجودة، الشر والخير، القوة والضعف، العدل والظلم، وما إلى ذلك من هذه الثنائيات المتضادة التي توحي بوجود صراع حقيقي في هذا الوجود.

ومن هنا كانت فكرة مقاومة الشر، ومقاومة الظلم والتسلّط، وأخذ الصراع أشكالا شتى، حتى وصلت الأمور إلى المقاومة العسكرية المسلحة، وهناك الكثير من الأمم في العالم قاومت من اعتدى عليها، وفي التاريخ أمثلة كثيرة شاهدة على ذلك. فعلى سبيل المثال لا الحصر تجربة فيتنام في الدفاع عن أراضيها، عندما احتل الأمريكيون هذا البلد، وتجربة فرنسا عندما احتلتها النازية، وكثير مثل هذه الوقائع في التاريخ شاهدة على المقاومة المسلحة ضد العدو الذي يعتدي على الأرض والعرض.

أمّا لبنان الّذي تعرّض لاحتلالات عدّة، تمّ ذكرها سابقاً، فبرزت فيه مقاومات شتى، لكلٍّ منها هدف معين، وفي سنة ألف وتسعمئة

واثنين وثمانين ميلادية، ومنذ حدوث الاجتياح الكبير، ظهرت المقاومة بشكل أوسع وفي سياق أكبر، وأخذت الصورة تتبلور وتتضح، وظهر مع بدايات الاحتلال خط متميز في المقاومة أعطى نموذجاً حياً وصادقاً، عن المقاومة وكيفية قتال إسرائيل، أطلق على نفسه اسم: المقاومة الإسلامية، لأن فكر وروح هذا الخطّ هو الإسلام، وكان ملكاً للمستضعفين في العالم، وهو من مسؤولياتهم على حدّ رأي السيد عباس الموسوي[١].

ولم تكن المقاومة الإسلامية وليدة لحظة الاحتلال الإسرائيلي، إنما كانت وليدة جذور تاريخية حافلة بمقاومة الظلم والاحتلال، كوّنت أرضية صالحة من خلال رجالات حملوا النهج والمنهج من جيل إلى جيل، حتى وصلت إلى مخاض عسير في الساحة اللبنانية، ليتشكّل منه نهج يحمل الإسلام منهجاً، ويجدد الملحمة الحسينية التي كانت منذ مئات السنين، فبدأت النواة الخيّرة بتأسيس المقاومة الإسلامية، شعوراً منها بعدة أمور:

أ ـ الخطر الإسرائيلي المباشر.

ب ـ الفراغ السياسي في هذه الحقبة من تاريخ لبنان.

ج ـ ضياع الأمة وتشتتها.

د ـ تلاشي قوى الصراع المحلية.

---

(١) نقلاً عن نشرة لمركز تنظيم وحفظ آثار الشهداء، مرجع مذكور.

١ ـ النواة:

من المعروف أن لكل حركة جهادية أو أي حركة أخرى نواتها المؤلّفة من الذين يعملون بصمت، ويفجّرون في هذه الحالة الروح التي يجب أن تكون ليشتد عضدها ، وتستطيع الوصول إلى هدفها.

وكما يعتقد أن الأرض لا تخلو من حجة، أعتقد أيضاً من وجهة نظر شخصية، أنّ هذه الحركة الجهادية قد سخر لها الباري عز وجل بشراً، لا تأخذهم في الله لومة لائم، أعاروا الله جماجمهم، وَنظروا إلى الأحداث والأوضاع والظروف نظرة ثاقبة في خطوة لتحديد الهدف وإصابته، وعملوا على إخراج الأمة من غياهب الجهل والظلام، ومن بعض المقولات الخاطئة التي جرتنا إلى سلوك كان يبدو أنه من الصعب التغلب عليه ومن جملة هذه المقولات ـ وهي بنظري من مخلفات الاستعمار ـ إن العين لا تقاوم المخرز، إشارة إلى أن الضعيف لا يستطيع مقاومة القوي، وبالتالي فلا داعي للمطالبة بالحق، ولا داعي للمقاومة في سبيل إظهار الحق ما دمنا ضعفاء. وقد غرس الاستعمار في نفوس أجيالنا هذه الأمور الداعية إلى الخنوع والذل، بحجّة أنّها لا تجلب إلا الندم.

وهذا النمط من التسليم للواقع ومجاراة الآخرين، على حساب المبدأ والعقيدة، هو هدف الفلسفة البرغماتية القائمة على السلوك والفعل وليس على العقل، إذ يعتبر فلاسفتها كـ«وليم جيمس» (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) أن الحقيقة ليست إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة، والمعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا

الفعلية. فالبرغماتية لا تعترف بوجود الماهيّات العقلية، بل بوجود الآثار السلوكية التي تتحقق الفكرة بها، وأن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه، ليتم له التوافق مع البيئة المحيطة به، وإلا فمصيره حتماً إلى الموت[(١)].

فالفلسفة البرغماتية تريد أن تثبت، أن كل القضايا التي لها آثار عملية قضايا حقيقية أو صحيحة، انطلاقاً من المقدمة القائلة: إن كل القضايا الصحيحة أو الحقيقية لها آثار عملية. وهذا قلب غير مشروع للقضية، بنظر المناطقة والفلاسفة، إذ إن كلّ ما نستطيع أن نستنتجه من هذه القضية، هو أن القضية التي ليست لها آثار عملية لا يمكن أن تكون صحيحة أو حقيقية، أي إنها خاطئة. وهذا يجعلنا نستبعد من دائرة القضايا الصحيحة القضايا التي ليست لها آثار عملية.

والاستبعاد منهج سلبي في الكشف عن الحقيقة وليس إيجابياً، لأنه يرشدنا فقط إلى الخطأ ولا يقودنا إلى الحقيقة، ولكنه لا يستطيع أن يحكم بصدق القضية اعتماداً فقط على أن لها آثاراً عملية. وعليه، لا يمكن حصر الحقيقة بالآثار العملية للفكرة، وخاصّةً في القضايا العلمية والأخلاقية والمعنوية، كالقضية التي نحن بصددها، وهي مقاومة الظلم والاحتلال. فالإنسانية تؤمن بأفكار كثيرة لها نتائج غير مباشرة، في حياة الإنسان، وإن الفلسفة ليست بحثاً وراء تحقيق النفع العملي، ولو كانت كذلك لأصبح البحث عن الحقيقة بحثاً ثانوياً، بالقياس إلى البحث عن

---

(١) هويدي، يحيى، مقدمة في الفلسفة العامة، ط٧، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

النفع العلمي، وقد يؤدي هذا إلى هدم الفلسفة نفسها باعتبارها بحثاً إيجابياً عن الحقيقة[١].

وهكذا استجدّت أمور كثيرة كانت كفيلة بالقضاء على المجتمع، قبل نهضة المقاومة.

فجاءت المقاومة التي أخذت على نفسها إيجاد الحلول، لتسير الأمة وفق ما هو مطلوب منها، فتنظّم العلاقة مع الله في ما لها وما عليها، وتتهيّأ للمواجهة مع الأعداء.

لقد أيقن المقاومون المجاهدون أنّ الإنسان خلق عزيزاً، وأنّ الله لا يرضى له الخنوع والذل والهوان؛ وهو الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وتضاعفت المسؤولية على هذه الفئة، وتسارعت الأحداث وتداخلت فيما بينها، فكان لا بد من تنظيم وتخطيط لمواجهة المستقبل وتوعية الأمة.

وأخذ بعض الرجالات يعمل بجد، ليلَ نهار، لمواجهة هذه الاستحقاقات، وتذكير الناس بالقيم والمبادئ التي من أجلها خلق الإنسان، وأنه أراد له العزة والكرامة، وذكّروا الناس بتضحيات الأمة في السابق، وأن التضحيات التي تواجهنا، هي الاستمرار لمسيرة المواجهة التي بدأها الرسول الأكرم ﷺ ضد الكفرة، وتابعها الحسين عليه السلام بدمه، فأضاء لنا الطريق.

---

(١) هويدي، يحيى، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع مذكور، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) سورة المنافقون، الآية ٨.

وتجدّد هذا الخّط بالجهود المبذولة لانتشال الأمة من الإحباط الذي حلّ بها، من جراء الاحتلال، وكانت الجهود حافزاً للكثير من الناس لمقاومة إسرائيل ، حيث تعرفوا عليها وعلى أهدافها، وعرفوا المسار الصحيح الّذي يجب أن تكون عليه الأمة، وتركوا المفاهيم المشوشة التي تقضي على النهضة.

٢ ـ المرتكزات:

تأسست المقاومة الإسلامية، على يد الشباب المؤمن المندفع نحو تحرير الأرض والتمسك بالدين والقيم، وقد كان للتأسيس مرتكزات عدة منها:

أ ـ اعتبار أن الدين هو المنهج والأساس في النهضة.

ب ـ توحيد الأمة تحت قيادة واحدة (ولاية الفقيه) لإدارة شؤونها بشخص الإمام الخميني قدس سره.

ج ـ استقطاب المجاهدين وتدريبهم على سبل القتال، لمواجهة خطر الاحتلال.

أ ـ الدين والمنهج:

إن أي جهة أو أي حالة تختار لنفسها عنواناً يمثلها في التجربة التي ستقوم بها، أو المسيرة التي تتبناها، بحيث يضفي هذا الاسم صبغة على مجمل حركتها وتطلعاتها ونظريتها. من هذا المنطلق كان اختيار اسم حزب الله والمقاومة الإسلامية ليكون الإسلام هو الخط المتبع في مسيرة هذا الحزب وهذه المقاومة، وهو الذي يحكم علاقاتها ومواقفها وفقاً

للشريعة السمحاء، التي وضع خطوطها النبي محمد ﷺ مستمداً ذلك من الوحي الإلهي الذي يتجسّد بالقرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١].

فالإسلام الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على قلب النبي، فيه من العقيدة التي تخاطب العقل، كل الاستدلالات على هذا الوجود، وعلى كل ما كان وما هو كائن. وفيه من الشريعة ما هو شامل وكامل لجميع نواحي الحياة، فكانت انطلاقة المقاومة من هذا المنهج الذي يوضح الأسس والمعايير، للحياة والموت والقتل، والشهادة والانتحار، والنصر والعزة، الخ.. ضمن رؤية واضحة ومفصّلة وهو يحدد العلاقات والمواقف، مع الكافرين والمشركين والظالمين، ويوضح للإنسان الطريقة التي يجب أن يسير عليها في هذه الحياة، ليصل إلى مرضاة الباري ـ عز وجل ـ الذي ارتضى للبشرية هذا الدين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢].

وحين أعلن حزب الله التزامه برسالة الإسلام كمنهج، لأنها رسالة سماوية صالحة لتحقيق العدل والسلام في العالم، وحين عمل مع المستضعفين لرفع الظلم، لم يفرض هذا الإسلام على أحد، بل دعا الجميع إلى الحوار والتعرف على هذا الدين والأخذ بمبادئه، باعتباره الدين الإلهي وانطلاقاً من واجبه أمام الباري عز وجلّ[٣].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية ٣.
(٣) الرسالة المفتوحة لحزب الله، ١٩٨٥م.

لقد شكل الدين الإسلامي المرتكز الأول لحزب الله، الفكر والإيديولوجيا المتمثلة بالعقيدة الإسلامية السمحة ذات البعد الإنساني العام (الشمولي الأممي).

ب ـ القيادة والولاية:

يعتبر مفهوم القيادة في الإسلام من المفاهيم المهمة التي طرحت، إذ تعتبر العمود الفقري للنظام الإسلامي، كالصلاة التي تعتبر عامود الدين وقد اهتمّ الإسلام بهذا المفهوم العملي، ليكون الركيزة الأساس في بناء الدولة الإسلامية، فالقائد يأمر وينهى وطاعته واجبة، وإنّ كلّ الحضارات القائمة تقوم على مبدأ القيادة والرّعاية، إذ لا بد للمجتمع من راع يدير الأمور، بغض النظر عن توجّهات هذا المجتمع أو ذاك، أكان نظاماً إسلامياً أم غير ذلك، كما أن لهذا المنصب تأثيراً على الحياة البشرية بشكل عام.

وعليه لا بد لكلّ حركة جهادّية من أن يكون لها قيادة تخطط وتنظم فتضع المبادئ وترسم الأهداف، لتصل بالأمة إلى الهدف المنشود. وقد اختارت المقاومة الإسلامية قيادة حكيمة رسمت الهدف، وكان القائد الأول لهذه الحركة الإمام الخميني قدس سره الذي كان يرسم الخطوط العريضة ويحدد الأهداف فيطاع. والذي أنقذ الأمة من الجهل والتخلف، وسار بها إلى ميدان العزة والكرامة، حين انتصرت ثورته على الظلم، وأسس دولة إسلامية أعطت زخماً معنوياً للمسلمين عموماً

وللشيعة خصوصاً. من هنا كانت البداية، من رجل الثورة الذي أشعل الشرارة الأولى، وأنار الدرب أمام من يملكون الحس والشعور لأن يثوروا وينتفضوا بوجه الاستكبار والاستعمار والظلم.

وانطلاقاً من نظرية ولاية الفقيه، التي لم تكن جديدة في واقعها، ولكنّها طرحت مؤخراً بعد أن مرَّ عليها الزمن، تلك النظرية كانت متداولة بين الفقهاء ومنذ القدم، فمنهم من يقول بأن الولاية التي يجب أن تعطى للفقيه العادل الجامع للشرائط، هي ولاية محدودة ضمن المعاملات والعبادات العادية، وهي الولاية الخاصة ومنهم من يقول: يجب أن يعطى الفقيه ولاية عامة تشمل حتى الدماء، أي الجهاد والدفاع عن الإسلام. وهناك دراسات عديدة حول الجهاد الابتدائي والدفاعي وصلاحية الفقيه في ذلك.

وعلى أي حال فإن ولاية الفقيه وتاريخها أخذت ثلاثة اتجاهات:

الأول يقول: إن هذه النظرية لم تكن معروفة لدى العلماء الأقدمين، وإن إنتاجها كان على يد العلماء الحديثين.

والاتجاه الثاني يقول: إنها نظرية مطروحة سابقاً، إلا أن المشهور بين العلماء السابقين واللاحقين إنكارها، إلا ما يتعلق بمجالات محددة مثل الخمس والولاية على القُصَّرِ والأيتام.

والثالث يقول: إنها نظرية مطروحة سابقاً، والمشهور بين العلماء السابقين واللاحقين القبول بها، وإنما اختلفوا في دائرة الصلاحيات، إلا

أن ما اتفقوا فيه يكفي لكي يستند الفقيه إليه كي يدير الأمة، في مجالاتها المختلفة: سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وأمنياً[(١)].

وأنا أعتقد أن هذا الاتجاه الثالث هو الصحيح، حيث كانت ولاية الفقيه تغيب أحياناً عن التطبيق وتعود أخرى، نظراً للظروف التي كانت تمّر بها الأمة الإسلامية وعلماؤها الأفاضل.

وبعد أن كان الفقهاء يطبقون ولاية الفقيه بحدودها الخاصة، جاء الإمام الخميني ليطبقها بحدودها العامة، ويرسي أسسها وقواعدها، ضمن نظام يحكمه الإسلام ويقوده الفقيه، فكانت ولا تزال ركيزة الثورة إلى أيامنا هذه.

وعلى هذا الأساس ارتبط حزب الله وقيادته بالولي الفقيه، وكما أشرت سابقاً فإنه تشكل وفد يمثل بعض الاسلاميين وتوجه إلى الإمام الخميني يعرض عليه فكرة تأسيس حزب اسلامي، فوافق عليها، وكان من جوابه للوفد: «المهم هو العمل، فمرحلتكم كربلائية ، لا تنتظروا قطف الثمار في حياتكم»[(٢)].

واهتمت قيادة الحزب بتبيان الحقائق للناس، وبذلت الغالي والنفيس في سبيل تحقيق ذلك، فكانت القدوة الصالحة التي عايشت شعبها وأمتها، بتواضع وصدق وأمانة وبخطوات ثابتة وعزيمة لا تقهر.

---

(١) وهبي، مالك، تاريخ البحث في ولاية الفقيه، انظر: مجلة «بقية الله»! بيروت، ت١/ ٢٠٠٣، عدد١٤٥، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٢) فضل الله، حسن، حرب الإرادات صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان، مرجع مذكور، ص٣٩.

وقد رعى الإمام الخميني المقاومة الإسلامية في لبنان واحتضنها، فكان لها الأب والقائد، والمرشد والملهم. فها هو الإمام يخاطب قيادة حزب الله بقوله: «أنا آمل أن توفقوا، واطمئنوا أنكم موفقون، الجمهورية الإسلامية ستكون إلى جانبكم، وإلى جانب جميع المسلمين وجميع المستضعفين في العالم، وإن شاء الله تنتصروا»[(١)].

وبمقتضى الظروف القائمة كان لا بد لهذه القيادة من أن تنظم مسيرتها، لتستطيع السير في مقابل الأعداء وتحدد الأولويات.

وهكذا عملت جاهدة حتى تكون المقاومة الإسلامية نبراساً يهتدى به في ليل الأمة الحالك.

فقد ضحّت وجاهدت، بتوجيهات من القائد الكبير وخليفته السيد علي الخامنئي دام ظله، لأن مبدأ الولاية لا ينحصر بشخص، بل هو خط مرسوم حتى ظهور الحجة المنتظر ﷺ وعليه فإنّ هذا المبدأ هو سر نجاح المقاومة ومكمن قوتها، وهكذا أرست القيادة المبادئ، فأصبح الطريق نيراً، بفضل دماء الشهداء وعرق المجاهدين المخلصين، ووحدة القيادة التي يترتب عليها وحدة الهدف ووحدة المصير، وهذه الوحدة هي سر النجاح وسر الانتصار.

وعلى أي حال فإن هذا بحث طويل جداً، ولا مجال هنا للتوسع فيه، ولكن لا بد من ذكر جزء منه لأهميته، في مسيرة المقاومة وانتصاراتها وعزتها وقوتها، واثرها في استنهاض الأمة. ولذا سأستعرض

(١) فضل الله، حسن، حرب الإرادات صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان، مرجع مذكور، ص٤٣.

بعض الخطوات المفيدة المترتبة على وجود قيادة للمقاومة الإسلامية، ومنها:

١ ـ وضوح الهدف. وبالتالي يسير الجميع على هدى ونور، وتدرك الأمة أنها منطلقة نحو هدف واضح.

٢ ـ تحديد الأسلوب في القتال. فبعد تزايد الاجتهادات في الماضي، بجواز قتال إسرائيل وعدمه، وبعد ولوج كثير من الأفكار المدسوسة، حول عدم جدوى قتال إسرائيل، فقد حددّت المقاومة طريقها وأسلوبها، وبات معروفاً للجميع، أنّ السلاح وحده هو الأسلوب المباشر الناجح في مواجهة العدو، انطلاقاً من قول السيد موسى الصدر: «السلاح زينة الرجال» مستنداً إلى مغزاه المجازي في مقاومة الظلم بالوسائل المناسبة.

٣ ـ تحديد الأولويات. حيث أخذت المقاومة على عاتقها قتال إسرائيل «الغدة السرطانية»! ووجهت الأمة نحو ذلك الهدف.

٤ ـ توحيد الجهود والإمكانات. فقد نظمت المقاومة، أمورها ووجهت الجهد نحو قتال إسرائيل، وقامت بالكثير من المشاريع لدعم هذا التوجه، ومن أبرزها هيئة دعم المقاومة الإسلامية التي مثلت منبعاً يغذي المقاومة الإسلامية، والتي وثق بها الناس، لما لمسوه من تفاني رجالات المقاومة، وإخلاصهم واستبسالهم في قتال العدو، وتضحياتهم في سبيل عزة هذه الأمة وكرامتها.

فهذا السيد عباس الموسوي ضحّى بنفسه وزوجته وولده، لأنه آمن

بأنّ هذه القضية أكبر من مستوى البشر، كما عبّر هو في خطبته الأخيرة، قبيل استشهاده في بلدة جبشيت، بتاريخ السادس عشر من شباط سنة ألف وتسعمئة واثنين وتسعين، وكما كان يعبر في أكثر من مناسبة، أن حفظ المقاومة يكون في تقديم الدم في سبيل الله[١].

وهذا السيد حسن نصر الله، لم يدرب ابنه هادي ليكون أميناً عاماً في المستقبل، بل لكي يكون جندياً في صفوف أبناء المقاومة الإسلامية، لأنه يؤمن فعلاً بأن هذا الخط وهذا الدم أكبر من كل القضايا..

٥ ـ بث روح الثورة والجهاد في الأمة جمعاء. حيث أصبحت هذه الأمة على درجة عالية من الفهم الجهادي، وأصبحت على قدر من الوعي المطلوب في معرفة أهداف العدو، ومخططاته.

وأخيراً. فهذا الذي تمّ ذكره في هذا المجال هو غيض من فيض، من بركات وجود القيادة في المقاومة الإسلامية، وتأثيراتها في استنهاض المجتمع.

ج ـ الاستقطاب والإعداد:

انطلاقاً من الآية المباركة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٢]، وجّه الإمام الخميني قدس سره الحرس الثوريّ الإيراني،

---

(١) أنا أُحَرم على نفسي أن أبقى في إطار الكلام أو المنابر، أقول يجب أن تحفظ المقاومة، لأن المقاومة لا تحفظ في الكلام والمنابر المقامة، تحفظ عندما يتقدم إنساننا بدمه في سبيل الله، وعندما نُقدم أرواحنا وجماجمنا في سبيل الله، آنذاك تحفظ المقاومة، وتحفظ الحالة الجهادية، وتحفظ قيم المقاومة الاسلامية. السيد عباس الموسوي، نقلاً عن نشرة لمركز تنظيم وحفظ آثار الشهداء، مرجع مذكور.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

وأعطاهم الأوامر بضرورة تدريب شباب لبنان ، ليقوموا بواجب الدفاع عن بلدهم ، وهكذا كان، فكانت الانطلاقة من مسجد الإمام علي عليه السلام في بعلبك وكما أعلن السيد حسن نصر الله، كان هذا المسجد ملاذاً للذين يتوافدون إليه ليشاركوا في مسيرة المقاومة ضد إسرائيل: «وقد أعدت لوائح الدورة الأولى للمتطوعين الذين بلغ عددهم مئه وثمانين متطوعاً كان في طليعتهم السيد عباس الموسوي»[(١)].

هكذا كانت انطلاقة التدريب والاستقطاب، وأخذت هذه الحالة تشتد وتكبر وتستقطب الأشخاص الذين يتخذون القرآن والدين منهجاً لحياتهم، ليكونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[(٢)].

إنهم رجال أوفياء، صادقون مع ربهم ودينهم والناس، أوفياء بالعهود، ينتظرون لقاء ربهم بشغف وشوق أشد من شوق الطفل لأمه، ثابتون على الخط مهما غلت التضحيات، ولم يبدّلوا ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٣)]. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[(٤)].

يجاهدون في سبيل الله في كافة الحالات الجهادية الصعبة

---

(١) فضل الله، حسن، حرب الإرادات صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان، مرجع مذكور، ص١٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٣) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.
(٤) سورة الحج، الآية ٣٩.

والأليمة، يستبشرون بنور ربهم وسبله، محسنين وكراماً فالله معهم وهو مؤيدهم وناصرهم.

ومن خلال ملامح الجهاد في القرآن الكريم، يتضح كيف أن الباري ـ عز وجل ـ وصف المجاهدين بأروع الأوصاف وأكملها، وأنار أمامهم الطريق، وأعلى من قيمة الجهاد وأهميته، إذ اعتبره الأساس الذي يرفع شأن الأمة ومستواها.

وكان أبناء المقاومة الإسلامية يسترشدون بقول الله ودعوة الرسول ليحوزوا على صفات المجاهدين، ويشهد على ذلك الشيخ الكبير والطفل الصغير، وتضحياتهم وتراب جبل عامل والبقاع الغربي. أما عشقهم للباري ـ عز وجل ـ ، فمصداقه دماء الشهداء وأجساد الاستشهاديين وتعبدهم وجهادهم، وتضحياتهم، وعزيمتهم في مقابل العدو. إنها فعلاً تفوق الخيال، وسأذكر هنا بعض الأمور التي تدل على جزء من خصائص المقاومين الذين كانوا في تصرفاتهم قدوة للآخرين ومدعاة للثقة والاحترام، حيث انعكس ذلك على نصرتهم والتفاف الجماهير حولهم.

أ ـ شخصية المقاوم:

فمن الناحية المسلكية، تحلى مجاهدو المقاومة الإسلامية بالصفات الحميدة، والالتزام بالدين، بحيث ترى المجاهد منهم يثابر على العبادات والواجبات، ويواظب على الأدعية التي تقربه من الباري عز وجل، وإلى ما هنالك من النواحي المسلكية الحميدة. أما من الناحية

الحياتية، فإنه مقتدٍ بمولاه أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث يقول: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل..»(١).

فهو في عمل دائم ومستمر لا ينقطع عن عبادة الله، وهو في شوق دائم للقائه، فلا الجهاد يمنعه من الواجبات الأخرى، ولا الواجبات هذه تمنعه عن الجهاد، فهو يأخذ من كل منهما بمقدار. وقد ارتضى لنفسه عيشة متواضعة بعيدة عن التزلف والترف، وارتضى لنفسه مجافاة الدنيا والابتعاد عن مغرياتها، فهو يأخذ منها ما يرضي الله، وأما ما يسخطه فيتركه خلفه، ويسعى لأن يطلّق الدنيا أسوة بإمامه ومولاه أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث يقول: يا دنيا غرّي غيري.... إلى آخر الحديث، وسمته في هذه الدنيا العفة والعزة.

ب ـ وضوح الهدف:

فقد عرف المقاوم طريقه، وجعل الهدف نصب عينيه واضحاً وضوح الشمس، ألا وهو قتال إسرائيل وتحرير الأرض. وراح يعمل بجد وجهد لتحقيق هذا الهدف... ومن يتضح الهدف أمامه لا يضيع هنا ولا يتوه هناك.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الناس عندما يرون هذا الحجم من الإخلاص لقضيتهم، وهذا النمط من السلوك وهذه الروحية في العيش، فإنهم يتحفزون بقوة لينهضوا من سباتهم الطويل فيوقظ فيهم الضمير،

(١) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ب ط، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ج٧، ص ٩.

وتنجلي لهم الصورة. فالمقاوم العامل بصمت، يدل عليه عمله ليصبح من خلال شخصيته وسلوكه وهدفه، مشعلاً في طريق النهضة الكبرى.

وهكذا من خلال هذه الطريقة في الإعداد والاستقطاب، استطاعت المقاومة أن تبني جيلاً قوياً صابراً متحملاً للصعاب، شديداً في إيمانه، مقاتلاً العدو كل يوم، وعلى مدى عشرين عاماً، لقنه دروسا لن تزول أبداً من المخيلة.

٣ ـ دوافع المقاومة:

أ ـ الدفاع عن النفس:

يبدو أن الحق فطري ويتحلى به أي إنسان في الدفاع عن نفسه، أثناء تعرضه للخطر أو للاعتداء، ومهما يكن حجم هذا الاعتداء، ومن أي جهة كان. تلك غريزة البقاء وفترة الله في خلقه، وإذا كان هذا الاعتداء من أعتى أعداء الله وأشدهم عداوة، حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[1]. فكيف لا يواجه هذا العدو اللئيم وكيف لا يقاتل التزاماً بالأمر الإلهي؟ والله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

ب ـ الدفاع عن الأرض والمقدسات:

لا يمكن لأي عاقل، أو لمن يملك ذرة من شرف أن يقف مكتوف

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

الأيدي أمام احتلال أرضه وسلب ماله، وتدنيس مقدساته، بل عليه أن ينتفض ويثور على هذا الظلم وهذا الاستبداد، ولا بد للذين تحتل أرضهم، ويخرجون من ديارهم بغير حق من أن يقفوا بوجه المحتل ويطردوه ويصرخوا أمام العالم أجمع، ليصل صوتهم إلى كل الغيارى، وإلى كل الشرفاء، ليعي العالم قضيتهم.

وفي هذا تصريح إلهي بالقتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ...﴾[١].

وقد حدد الله الموقف من هؤلاء الأعداء وحذّر من التعامل معهم، ووصف من يقوم بذلك بأنه ظالم كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢].

هذان الأمران: الدفاع عن النفس، والدفاع عن الأرض، كانا الدافعين المباشرين للتصدي للعدو اللئيم، وتحت عنوان الدفاع كان التصدي عبر أسلوبين: الأول مباشر، وهو المقاومة المسلحة لإخراج العدو من الأراضي المحتلة. والثاني غير مباشر، وهو تبيان أساليب العدو للناس، عبر تعريفهم بنواياه وخلفياته والوقوف بوجه مطامعه، وإبراز تلك المطامع، بما فيها قضم لأراضٍ وسرقة للمياه، والطمع في

---

(١) سورة الحج، الآيتان ٣٩ و٤٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٩.

الثروات بشكل عام، وكان لا بد من إيصال صوت المقاومة إلى العالم، عبر القنوات الإعلامية والاجتماعية والسياسية.

ثانياً: المقاومة والشرعية الدولية

المقاومة التي يمارسها المجاهدون ضد المحتل ليست خبط عشواء أو فعلاً يقومون به بدافع من رغباتهم في القتل والقتال. إنها حق فطري يولد مع الإنسان، إذ له الحق في أن يتمتع بضرورات الحياة، وأهمها الحرية والاستقلال، ويواجه كل من يقف مانعاً لهذه الفطرة الإلهية لأنه يهدد المصير والحياة، وهذا الحق الفطري أمر عقلي أيضاً اعتقد به البشر واتفقوا عليه، لكي لا تسود الكون شريعة الغاب، فصار حقاً وعقداً اجتماعياً، لذا كانت الشرائع السماوية والقوانين الإلهية والوضعية داعية إلى رفض الظلم والتسلط والاستعباد، وداعية إلى العدل واحترام حقوق الآخرين من خلال منظومة إلهية تعطي حق الحياة والعيش الكريم، لهذا المخلوق الذي سماه الباري عز وجل الإنسان، وأعطاه الإذن بقتال من ظلمه من خلال الآية الكريمة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] وقد وعد الباري عز وجل من يقتل في سبيل تطبيق أوامره بالجنة وبالحياة الأبدية، من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

وإذا حاول أحدنا استقراء القوانين الإلهيّة بهذا الصّدد، من خلال

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

القرآن الكريم وغيره من الرسالات السماوية، يجد أنها قوانين لا تتغير بتغيير الزمان والمكان، بل هي صالحة لِكل مكان وزمان، بعكس القوانين الوضعية التي تتغير وتتبدل نسبة إلى الظروف الزمانية والمكانية، وذلك لعجز الإنسان عن معرفة كل ما يدور وسيدور في هذا الكون، ليستطيع وضع قوانين ثابتة ودائمة له، مع ملاحظة أنّ هذه القوانين لم ولن تفي بأغراض وحاجات المجتمع الإنساني وحل النزاعات القائمة، لأن الإنسان في حركة تطور دائم.

وعلى أي حال سأعرض بعضاً من تلك القوانين والدساتير الوضعية، عبر المؤسسات الدولية التي تدّعو لحماية حقوق الإنسان ومشروعية الدفاع عن نفسه ووطنه، وذلك منذ أن بدأ الفكر الإنساني في وضع تلك القوانين ولأثبت من خلال ذلك أن المقاومة والدفاع عن النفس حق مشروع في تلك الدساتير التي يدعون أنها وضعت لتنظم حياة البشر في العصر الحديث.

١ ـ المنظمات الدولية

هنا سأوضح بعضاً من الظروف التي نشأت فيها بعض المنظمات الدولية، وسنرى جميعاً كيف أن فعل المقاومة ضد الظلم والاستبداد فعل مشروع. وعليه أقول:

إنّ قوانين الدفاع ومقاومة الأعداء وجدت منذ زمن طويل، فقوانين «حمورابي» نصت على محاربة الظلم، وكذلك مجموعة قوانين جوسبان والماغناكارتا (الشرعية الدولية) التي صدرت في بريطانيا سنة ألف ومئتين

وخمس عشرة ميلادية، وتلك التي تؤكّد حق مقاومة العدوان في دستور الولايات المتحدة الأميركية سنة ألف وسبعمئة وسبع وثمانين[١].

وفي طليعة الوثائق والاتفاقيات التي تكرس حق المقاومة ومشروعيتها تأتي أولاً: اتفاقيات مؤتمر لاهاي سنة ألف وثمانمئة وتسع وثمانين، وألف وتسعمئة وسبع ميلادية، وثانياً: ميثاق الأمم المتحدة الداعي إلى تحريم الحرب والتهديد باستخدام القوة، وذلك في الفقرة الرابعة من المادة الثانية[٢].

أ ـ عصبة الأمم:

ففي سنة ألف وتسعمئة وأربع عشرة، وعند تأزّم الأوضاع العالمية التي كانت على وشك أن تهدد بكارثة، قامت جمعيات إنسانية عدة تدعو إلى السلام والأمن ، ومنها الجمعيات الفردية كالجمعية الديمقراطية في بريطانيا، وجمعية مكافحة الحرب في هولندا، وذلك في مؤتمر لاهاي سنة ألف وتسعمئة وخمس عشرة ، وجمعية دعم السلام في أمريكا في العام نفسه.

كما كانت هناك عدة أعمال حكومية من قبل الدول الكبرى ، ففي عام ألف وتسعمئة وستّ عشر، تمت موافقة أمريكا على تشكيل عصبة الأمم، التي كان من أهدافها استتباب الأمن، وتنمية التعاون بينها.

ومن الغريب أنه لم تنضم الدول الكبرى كأمريكا وروسيا والصين

---

(١) الغزال، إسماعيل، نقلاً عن: صحيفة العهد في ١٩/٤/١٩٩٩ م.

(٢) ديب، جورج، نقلاً عن: صحيفة اللواء، في ١١/١٢/٢٠٠١ م.

لهذه العصبة التي اتخذت الطابع الأوروبي، وربما كان ذلك من أهم أسباب فشلها فضلاً عن التردّد في اتخاذ المواقف الحاسمة في الحروب، وكذلك عجزها عن إيجاد قوة تدعمها. وهكذا أثبتت عصبة الأمم فشلها في الميدان السياسي، وكان آخر اجتماع لها في نيسان عام ألف وتسعمئة وستة وأربعين، وألغيت في تموز من العام التّالي.

ب ـ هيئة الأمم:

في خريف عام ألف وتسعمئة وثلاثين، كانت أوروبا مسرحاً للحرب العالمية الثانية التي خلّفت ملايين القتلى والجرحى والمشوهين. تلك الحرب كانت فرصة لدراسة سبب فشل عصبة الأمم، وإعداد تنظيم جديد أقوى من سابقه، وبنهاية الحرب اجتمعت إحدى وخمسون دولة، وأسست هيئة الأمم. وكان الأعضاء الأصليون في هذه المجموعة هم مجموعة الدول التي اشتركت في مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في سان فرنسيسكو، وقد أنشئت للأمم المتحدة هيئات شكلت فروعاً لها، ومن هذه الهيئات: الجمعية العامة ، مجلس الأمن، مجلس اقتصادي واجتماعي، مجلس وصاية، محكمة عدل دولية، وأمانة عامة[١].

تتألف الجمعية العامة من أعضاء الدول المنتسبة كافة، ولا يحق لكل دولة أكثر من خمسة مندوبين يجتمعون في دورة سنوية.

أما مجلس الأمن الدولي فقد شكل من خلال المادة (٢٣) حيث تألف من أحد عشر عضواً[٢] من الأمم المتحدة، خمسة أعضاء منهم

---

(١) مراد، عبد الفتاح، الاتفاقيات الدولية الكبرى، ط١، مصر، ب.د، ب.ت، ص ٢٠.
(٢) وأذكر بأن مجلس الأمن اليوم يتألف من ١٥ عضواً.

دائمون وهم الصين، فرنسا، بريطانيا، اتحاد الجمهوريات السوفياتية والولايات الأميركية المتحدة، والأعضاء الآخرون غير دائمين، وقد تمّ انتخاب الجميع من قبل الجمعية العامة، على أن يكون لكل دولة شخص يمثلها[١]، وكانت قاعدة الفيتو التي نص عليها مجلس الأمن من أكبر مساوئه.

وقد تألّفت محكمة العدل الدولية، وهي الأداة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة، من خمسة عشر قاضياً ينتخبون لتسع سنوات، ومقرها الرئيسي في لاهاي بهولندا. ويرأس الهيئة موظف هو الأمين العام الّذي ينتخب لمدة خمس سنوات.

وكان من أهم أهداف هيئة الأمم: حفظ السلام والأمن الدوليين، إنماء العلاقات الودية بين الأمم واحترام حقوق الشعوب، تحقيق التعاون الدولي. وأهم صلاحياتها: مناقشة أي أمر يدخل في نطاق عملها، وتحدد الخطوط العامة للسلم والأمن الدّوليين[٢].

وهكذا نرى السعي لتحقيق العدالة الاجتماعية ومنع الظلم، ولكن هل نجحت هيئة الأمم في إنصاف الشعوب؟

٢ ـ شرعية المقاومة

بعد هذا العرض الموجز للقانون الإلهي وبعض القوانين الوضعية التي تؤكد حق الدفاع عن النفس والأرض، أوضح التالي:

---

(١) مراد، عبد الفتاح، الاتفاقيات الدولية الكبرى، مرجع مذكور، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

أ ـ أعطى القانون الدولي الحق للناس بتقرير مصيرهم، وممارسة حقهم في المقاومة بشتى الوسائل حين تستعمل الدولة القمع ضدهم.

ب ـ بعد الاحتلالين الفاشي والنازي في الحرب العالمية الثانية، أصبح قانون هيئة الأمم أكثر وضوحاً، فقد أجاز المقاومة المسلحة، كحق مشروع. غير أن تصنيف المقاومين يخرجهم من دائرة المدنيّين المحميين، وإن المحتل محكوم بموجبات القانون الإنساني الدولي (اتفاقيات جنيف التي أوجبت على المحتل حماية المدنيين الواقعين تحت احتلاله) فإذا تخلّف المحتل عن ذلك، فللمدنيين الحق في أن يثوروا ويستعملوا مختلف أنواع المقاومة[١].

وفي التاريخ شواهد على اعتراف قادة الدول الكبرى بحق المقاومة، ففي كانون الثاني سنة ألف وتسعمئة واثنتين وأربعين صرح وزير الخارجية الأميركية مسانداً جهود المقاومة في ألبانيا ضد الاحتلال الإيطالي، وقال: «إذا كانت مختلف الفلسفات القانونية تكرسّ حقّ الشعب في أن ينتفض ضد حكومته، فالمنطق يقود من باب أولى إلى الاعتراف بحقّه في الثورة على قوّة غريبة تحتل أرضه»[٢].

وعندما وقع الكثير من البلدان الأوروبية تحت نير الاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية، اعترفت حكومات الدول الحليفة بشرعّية المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الألماني، وكذلك اعترفت

(١) مراد، عبد الفتاح، الاتفاقيات الدولية الكبرى، مرجع مذكور، ص٤٣٣ وما بعدها.
(٢) ديب، جورج، صحيفة اللواء، مرجع مذكور.

حكومة الولايات المتحدة الأميركية وغيرها بحركة المقاومة الفرنسية المسلّحة، بتاريخ السابع والعشرين من آب عام ألف وتسعمئة وأربعة وأربعين[١].

وهنا أقول إن جميع القرارات الدولية من القرار الرقم: أربعمئة وثلاثة وأربعين، الصادر عام ألف وتسعمئة وسبعة وستين عن الجمعية العمومية، بخصوص الأراضي المحتلة في فلسطين ولبنان وممارسات إسرائيل، يدعو ويؤكد وجوب تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة، وتندد بالسياسة الإسرائيلية حيال هذه الاتفاقيات، لذا أضحى من حق الناس الذين يتعرضون للاحتلال أن يدافعوا عن أرضهم وممتلكاتهم، بشتى أنواع المقاومة.

ج ـ لقد اعترف القانون الدولي بالمقاومة المشروعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر:

١ ـ إن الاحتلال القائم بنتيجة الحرب لا يشكل ذريعة لضم الأراضي إلى الدولة المحتلة، وإن المقاومة الوطنية للاحتلال غير ممنوعة في القانون الدولي.

٢ ـ إن اتفاق جنيف عام ألف وتسعمئة وتسعة وأربعين اشترط على المحتل توفير أمور كثيرة للمدنيين، مع حفظ حقهم الكامل بالمقاومة.

٣ ـ حق الناس باختيار مصيرهم بشكل مستقل وحر، واختيار النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وقد صدرت قاعدتان:

---

(١) حسين، غازي، نقلاً عن: صحيفة الشرق، في ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٢م.

أولاهما هي: إذا ثار الناس وطردوا المحتل مُنع من العودة، وإذا احتل مرة أخرى، فإنه يمنع من معاقبة السكان الذين قاوموه.

وثانيتهما: هي إن كل دولة ملزمة قانوناً بالامتناع عن أي عمل قمعي يحرم الناس من حقوقهم، وعليها السماح لهم بتلقّي المساعدات الخارجية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل، في فلسطين ولبنان، مصنفة إلى الآن في القانون الدولي بأنها أراض محتلة لا يجوز الاحتفاظ بها، وعليه أصبحت المقاومة شرعية على قاعدة أن الاحتلال غير مشروع والمقاومة ضده مشروعة.

د ـ لا بد من الفصل بين المقاومة والإرهاب الّذي تحدثت عنه سابقا، فالمقاومة ضد الظلم لرفعه ولرفع الاحتلال هي غير الأعمال الغوغائية لطرد الناس من أرضهم والاعتداء عليهم وافتعال المجازر لإخافتهم.

ومما يثير الدهشة والتعجب أن قادة الدول الكبرى التي تساند المقاومة ضد الاحتلال، لا يعترفون بحق الشعوب العربية برفع الظلم عن نفسها، لا بل يعتبرونها إرهابية لا لشيء سوى لأن هذه الشعوب لا ترضى بالظلم والاستعباد ولا تخضع لوصاية الولايات المتحدة والدول الكبرى الأخرى، وعليه فقد أطلقت أمريكا وبعض الدول الأخرى هذا المصطلح في أواخر الستينات وما بعدها على الفلسطينيين، وعلى بعض

الدول العربية، ومنها سوريا وليبيا، ثم على إيران ثم على الشيعة ككل، على أساس أن كل عنف ضد أميركا وإسرائيل ومصالحهما يسمى إرهاباً بنظر أميركا، وفي المقابل فإنهم يسمون كل عنف يخدم مصالح أميركا وحلفائها عملاً عسكرياً.

وأخيراً.. لا بد لكل عاقل ومتدبر ومفكر من أن تكون الصورة واضحة لديه، وإلا فهو غير منطقي وغير موضوعي وغير حكيم، لأن القانون الدولي كما القانون الإلهي، لا يساوي بين المعتدي والمعتدى عليه، وهو يعترف بالمقاتلين من أجل الحرية ويعتبرهم شرعيين لأنهم يدافعون دفاعاً مشروعاً، ويسعى بالتدخل لمساعدتهم، لأن الأعمال التي يقومون بها هي أعمال مشروعة، تحرر الأرض والإنسان[١].

ثالثاً: المقاومة وأساليب مواجهة العدو المحتل

كنت قد أشرت سابقاً إلى أن المقاومة اتخذت أسلوبين في الدفاع: الأول مباشر، والثاني غير مباشر. وسأحاول أن أسلّط الضوء على هذين الأسلوبين، لعلي أصل إلى معرفة طرق عمل المقاومة الإسلامية في قتال العدو، لتصل بالأمة إلى النصر والعزة، وتنفض عنها غبار السبات الطويل الذي سيطر على هذه الأمة، جراء الاحتلالات والإرهاب الذّي مورس عليها من جهة، وتضييع الحقائق وانهزام المعنويات من جهة أخرى.

---

(١) غزال، إسماعيل، صحيفة العهد، مرجع مذكور.

١ ـ الأسلوب المباشر:

عملت المقاومة الإسلامية على أن تكون المواجهة مع العدو الصهيوني، مواجهة عسكرية، تقاتله فيها وجهاً لوجه، مستخدمة السلاح الذي استخدمه العدو عندما احتل هذه الأرض. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحرب ليست غاية في العقيدة الإسلامية، ولكنها قد تقع، ويضطر المسلمون للدفاع عن بلادهم وعن أنفسهم، على حد رأي الدكتور أحمد الوائلي[١] لأن القتال في الإسلام لم يشرعه الباري عز وجل لمجرد القتال، وإنما فرضه لأهداف كبرى، كالدفاع عن بيضة الإسلام ونشر الدعوة الإسلامية، ولأن النفس الانسانية السوية بطبيعتها تكره القتال. يقول الباري عز وجل:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٢].

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[٣].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٤].

---

(١) ضمن احدى محاضراته عن الجهاد، نقلاً عن تلفزيون المنار بتاريخ ١٧/٠٧/٢٠٠٣م، بذكرى رحيله.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

ففي المفهوم القرآني للقتال تعبير عن المشقة والتعب والتعرض للأذى، والإنسان بطبيعته يكره هذه الأمور بغض النظر عن المبدأ والعقيدة، فالله سبحانه وتعالى يعرف ما تخفي الأنفس والصدور، وهو أعلم بالغيب، وهو الذي يقدر مصالح البشرية وأمورها، أما نحن بني البشر فلا نعرف الخلفيات والمصالح العليا الكامنة وراء قتال أعداء الأمة، ولكننا نحاول أن نسلط الضوء على بعض أهدافه وخلفياته.

نبّه الباري سبحانه إلى أن الأمر الذي قد تكرهون، والواجب الذي يجب القيام به للدفاع عن أنفسكم، هو خير لكم، ولكنكم لا تعلمون هذا الخير، وبالمقابل، قد نحب أشياء نراها مفيدة وقد تكون غير ذلك. وفي هذا إشارة إلى الخلفيات العظيمة التي لا نعرفها.

وبالعودة إلى قتال العدو الصهيوني، فإن هذه المسألة فيها أمر إلهي من الناحية المبدئية، بغض النظر عن حب أو بغض الناس للقتال. صحيح أن القتال فيه تعب وجهد مستمران، وقد يكره بنو البشر ذلك؛ ولكن عندما يتوضح الهدف وتنجلي الرؤية ويكون ذلك قربة الى الله تعالى تزول كل تلك المتاعب، ويقتنع هؤلاء البشر بالتكليف الإلهي ويصبحون من عشاقه. وهذا الأمر نجده لدى أبناء المقاومة الإسلامية، حيث سعوا جاهدين لرضى الله سبحانه وتعالى، وتوجهوا لقتال هذا العدو الشرس، رغم كل المصاعب والمتاعب، لا لشيء، الا لله وحده الذي أمر فأطاعوا، وساروا على هذا الطريق، وتوجهوا إلى القتال لأجل عدة أهداف أبرزها مرضاة الباري عز وجل ولقاؤه، وهذا الأمر هو الذي يتخوف منه العدو ولكنه لم يصل إلى معرفة أسراره، كما أشار السيد

نصرالله في إحدى خطبه: «إن هذا المعنى من القتال والعشق الإلهي، من قبل أبناء المقاومة الإسلامية، لا يستطيع العدو معرفته لأنه لغة القلب..»[١].

إن هذا العشق الإلهي حيّر عقول الصهاينة، فعلى ألسنة مسؤولين منهم، وبعد العمليات الاستشهادية التي كانت تحصل، كنا نسمع جميعاً من على شاشات التلفزة، ونقرأ في الصحف تقارير وتصاريح لقادة العدو يعترفون فيها بالعجز عن فعل أي شيء، أمام إنسان يقتحم عليهم باختياره وهو يعرف أنه مقتول.

إنها لغة لا يفهمها إلا من تعلق قلبه بالذات المقدسة، وأصبح على مستوى عالٍ من التوجه نحو الباري عز وجل. إنّ أبناء المقاومة الإسلامية يمتازون بهذه الصفة التي حيرت عقول الأعداء، وأعطت للأمة زخماً وعزماً ومعنويات، ومن تجلياتها أذكر:

أ ـ تنمية الروح الجهادية عند الأمة:

لاشك في أنّ للأمة الإسلامية تاريخاً حافلاً بالجهاد والتضحية، وعندما يكون هدف المقاومة تنمية روح الجهاد عند الأمة، فذلك يعني إيقاظ الحس الثوري عندها، ودفعه ليتحرك في سوح الجهاد بنوعيه: جهاد النفس وجهاد العدو. فالأول يحصن الأمة على مستوى الأفراد بما يعكسه على الجماعة. والثاني يحصن الأمة جمعاء أمام العدو الذي يتربص بها الشرور. وفي كلا الحالين، أي جهاد النفس وجهاد العدو،

---

(١) نصرالله، حسن، من خطبة ألقاها بذكرى اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد، قصر الأونيسكو، بيروت، بتاريخ ٢٥/٧/١٩٩٩م.

تنبعث في الأمة روح جديدة قوية محصنة، تستطيع من خلالها الوقوف بوجه أعدائها، وتستطيع أن ترسم مسارها، انطلاقاً من الماضي ومروراً بالحاضر، ووصولاً إلى المستقبل، لتحقق لنفسها واقعاً حراً عزيزاً قوياً، مبنياً على القوة المستمدة من رب العالمين، الذي خصّهم بالعزة.

إن المقاومة الإسلامية في لبنان عامل قوي في بث هذه الروح الثورية في الأمة من جديد، وبالتالي لها التأثير الأكبر في وصول هذه الأمة نحو النضج الثوري والجهادي، وفهم واقع الجهاد الطويل مع العدو الصهيوني.

فمن منطلق الآية القرآنية: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. عملت المقاومة الإسلامية لاستنهاض الأمة، في كل تلك المجالات التي تركز عليها الآية المباركة السابقة: في مجال الجهاد بالأموال، ما ينمي الحركة الاقتصادية للمسلمين ويمد المقاومة بالمال والسلاح، وفي مجال الجهاد بالأنفس في سبيل الله وإعلاء كلمته، ولقد حرصت هذه المقاومة على أن تكون في طليعة المواجهة ليلحق بها أبناء الأمة الشرفاء وهكذا كان.

ب - إيجاد مستوى من الكفاءة العسكرية للدفاع عن النفس ودحر العدو:

وهذا الأمر مكمل لتنمية الروح الجهادية، بحيث إن هذه الأمة المندفعة نحو الجهاد، بفعل المقاومة، لا بد لها من عامل يساعدها على الاستمرار،

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

وهذا الذي أخذته المقاومة الإسلامية هدفاً في هذا المجال، بحيث سعت جاهدة، من خلال فعل الجهاد الثوري، إلى أن يكون للأمة ولأفرادها كفاءة عالية في القتال، ومعرفة أساليبه وتكتيكاته، وذلك لسببين:

الأول: الدفاع عن النفس.

والثاني: دحر العدو. وهذا يستلزم الخطة والتنظيم الدقيق للوصول إلى الهدف.

ومن الواضح أن المقاومة الإسلامية ـ وبحسب ما نشاهده ويشاهده العالم أجمع ـ عملت في مجالات متعددة، للحصول على الكفاءة المطلوبة للأفراد، وبالتالي للمجتمع والأمة، ومن أبرز تلك المجالات أذكر: مجالي التدريب والتعرف على تكنولوجيا العدو، وذلك من منطلق الحث على إعداد العدة امتثالاً لأمر الله تعالى في الآية المباركة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

كما أن المقاومة الإسلامية سعت جاهدة لإعداد العدة لمواجهة العدو، من حيث شمولية التدريب على السلاح وفنون استعماله، وجعلت ذلك من مرتكزات المقاومة، ليستعمل هذا الفن في اقتحام مواقع العدو، ومباغتته وإنزال الخسائر به. وعملت على معرفة أساليب العدو وتكتيكاته الجديدة، وما يستعمله من تكنولوجيا في الجبهة، لتعد العدة لمواجهته.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ج ـ إيجاد عامل قوة عند الأمة:

وعندما أتكلم عن عامل القوة، يلزم معرفة أن المقاومة وفرت الروح الجهادية للأمة على مستوى الكفاءة المطلوبة، لتصل إلى الهدف الأسمى وهو عزة الأمة وعنفوانها. وهذا ما يتضح من خلال تمسك الأمّة بالمقاومة الإسلامية، وافتخارها بإنجازاتها، وبالتالي فهي لسان حال الناس والناطقة باسمهم وتمثلهم. وعامل القوة عند المقاومة انطلق من الحث على الجهاد، الذي هو كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء وديث بالصَّغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأزيل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف»[١].

وعندما يؤكد أمير المؤمنين علي عليه السلام أن ترك الجهاد يؤدي إلى الذل والبلاء، فمن المؤكد أن القيام بهذه الفريضة يعطي العزة والقوة والسداد للبصيرة في الدين والدنيا.

ومن هنا فإن «جهاد مجاهدي حزب الله حجة على علماء المسلمين في العالم»! كما قال الإمام الخميني (رض)، وذلك لأجل هذه المنعة والعزة التي تتحقق للأمة من خلال الجهاد.

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب(ع)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبدو، ب ط، بيروت، دار المعرفة، ج١، ص٦٧ ـ ٦٨.

د ـ تطور أداء المقاومة وإنشاء السرايا اللبنانية:

إن أداء المقاومة الإسلامية الدقيق في مواجهة العدو ناتج عن خبرة وعمل وتدريب مستمر. والمقاومة لم تكتف بذلك، باعتراف الجميع، بل طورت أداءها حتى عجز الصهاينة عن التغلب عليها باعتراف العدو نفسه، ذلك أننا نسمع مسؤولي العدو بين الحين والآخر، يطلقون تصريحاتهم حول كيفية تطور تكنولوجيا المقاومة، وخاصة على صعيد سلاح العبوات الناسفة التي استطاعت أن تتغلب على تكنولوجيا العدو. فإنهم كانوا كلما صمموا دروعاً وأجهزة حماية لآلياتهم، كانت المقاومة تصنع بالمقابل ما يدمر ذلك، وقد عجز العدو عن المواجهة، وحاول أن يكرس وضعاً جديداً هو الغارة مقابل العبوة، للضغط على المقاومة، التي بقيت مستمرة في أدائها المتميز ونجحت في عملها. وكلنا شهد كيف كان المقاومون يصلون إلى الأعداء، ويشتتون جمعهم، ويقتلونهم في صياصيهم، وما يؤكد ذلك الكثير من عمليات المقاومة.

ففي الدبشة[1]، احتلت المقاومة الإسلامية الموقع الصهيوني ودمرت دشمه، وفي سجد[2] احتلت الموقع مرات عدة إضافة إلى الكثير من العمليات النوعية. وكلنا شاهد ـ في الفترة الأخيرة، قبيل الانسحاب

(١) الدبشة هي تلة من بين التلال الشرقية المشرفة على مدينة النبطية في الجنوب اللبناني، أقام عليها الصهاينة موقعاً لهم، احتله المقاومون في ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٤.

(٢) سجد هي بلدة صغيرة في منطقة جزين في الجنوب اللبناني قريبة من بلدتي عرمتى والريحان، أقام فيها الصهاينة لعملائهم موقعاً داخل مقام النبي سجد في تلك البلدة، واحتله المقاومون عدة مرات بتاريخ: ٦/٧ و١٨/ ٩/ ١٩٨٦م و٢٢/ ٧/ ١٩٩٣م و١٢/ ٥/ و٢٦/ ١٠/ ١٩٩٧م و٢٨/ ٢/ و٢٧/ ٤/ ١٩٩٩م.

المذل عام ألفين ـ على شاشة تلفاز المنار، كيف دخل مجاهد واحد من المقاومة الإسلامية إلى قلب موقع سجد متسللاً وخرج منه، واعترف الصهاينة بأنه تعارك مع أحد أفراد الحرس وخرج سالماً. وكان ذلك في التاسع من آب عام ألف وتسعمئة وثمانية وتسعين، ألا يدل كل ذلك على تطور الأداء والإبداع؟!

إنّ هذا الأمر يعكس الروح الثورية لهؤلاء المقاومين، وينعكس على الأمة فخراً وعزاً وشموخاً وقوة، وهذه الأعمال من قبل المقاومة الإسلامية لاقت إعجاب الكثيرين داخل الوطن وخارجه. فهذا الباحث في شؤون الصراع العربي ـ الإسرائيلي خالد عابد يعلق على تطور أداء المقاومة، بعد عملية أنصاريّة الفاشلة للعدو الصهيوني بقوله: «إن هذه المقاومة عبر أدائها في أنصارية، وفي غير واقعة، أثبتت أنها استطاعت أن تطور أداءها، وأن تأخذ زمام المبادرة بيدها، وأن تفعل تكتيكات عملها المسلح بطريقة كانت دائماً تتغلب فيها على ما يفعله الاحتلال في هذه الميادين»[١].

وهذه مجلة «فلسطين الثورة» نقلت، عن الحدث نفسه في الخامس عشر من تشرين الأول عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين، عن نتائج عملية أنصارية: «أنها أصابت مفهوم الـ (سوبر مان) لهذا الجيش، مما جعل الجمهور الإسرائيلي يستفيق من طمأنينته الآمنة، ويخرج من

---

(١) شرارة، ناصر، حرب الساعات الثلاث، انصارية العصف المأكول، ط١، بيروت، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ١٩٩٩م، ص ١٤٥.

أسطورة أنه ينام وراء جدار صلب من جيش الصفوة القادر على اجتراح المعجزات الأمنية»[١].

هذا وقد وضعت المقاومة قواعد جديدة في صراعها مع العدو، تمثّلت باستعمال سلاح الكاتيوشا كمصدر مهم لحماية المدنيين، حيث أصبح هذا السلاح مصدراً لاهتزاز الكيان الصهيوني، كلما اعتدى على مدنيي لبنان.

أما على صعيد الداخل، فقد لاقت المقاومة الترحيب والتأييد من مختلف القوى الرسمية والحزبية، وقد بدا ذلك واضحاً في مبادرة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود[٢]، حيث أرسل وفداً بقيادة رئيس حرس القصر الجمهوري إلى الأمانة العامة لحزب الله، ليلتقي بحضور الأمين العام السيد نصر الله المجموعة التي هاجمت موقع بيت ياحون، ودخلته وأسرت أحد جنوده وغنمت ملالة صهيونية، بتاريخ الخامس عشر من أيار سنة ألف وتسعمئة وتسع وتسعين ميلادية. وقد قدم الوفد درعاً للأمين العام مهنئاً، وكذلك قدم إلى قائد المجموعة مسدساً حربياً، كناية عن هدية رمزية.

وفي خطوة بارزة على صعيد تطور المقاومة ودورها في الاستنهاض، كان إطلاق مشروع السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، ومما لا شك فيه هو أن هذا المشروع ـ الذي لمس

---

(١) شرارة، ناصر، حرب الساعات الثلاث، انصارية العصف المأكول، مرجع مذكور، ص١٤١.
(٢) قائد الجيش اللبناني السابق.

اللبنانيون بعض نتائجه، من خلال عامل الوحدة بين أبناء الوطن الواحد لقتال العدو المشترك ـ جاء بعد أن تحرك الشعب اللبناني مندفعاً في تأييد المقاومة، والكل شاهد تلك الوفود الرسمية والحشود الشعبية التي غصت بها باحة شورى حزب الله، معزية بنجل الأمين العام (السيد الشهيد هادي نصرالله) بعيد استشهاده مع اثنين من رفاقه في الجبل الرفيع ضد الصهاينة، وقد أطلق المبادرة حينها السيد نصرالله، لكثرة إلحاح الشباب اللبناني عليه، برغبتهم في الانتساب إلى المقاومة.

فقد رأت المقاومة أنّ من واجبها الشرعي أن تستقطب هؤلاء الشباب المندفعين، من كل الطوائف التي تعيش في لبنان، لمقاومة الاحتلال لتسير بهم نحو العمل المقاوم، وتدفع بالأمة كل الأمة لقتال إسرائيل. إن هذا المشروع استحوذ على إعجاب الكثيرين وتأييدهم، بما له من مفاعيل كثيرة على مستوى الأمة أذكر منها:

١ ـ إشراك الجميع بالمقاومة المسلحة، وهذا يندرج ضمن الخطة التي اعتمدتها المقاومة لتطبيق أهدافها.

٢ ـ تفعيل الطاقات الشابة واستخدامها في قتال العدو..

٣ ـ توجيه صفعة قوية للعدو، حيث هدف هو إلى الفصل بين الشعب والمقاومة، فكان ذلك وبالاً عليه.

٤ ـ التأثير الإيجابي في الأمة ككل، بحيث أعطت معنوية عالية لكل الشعب اللبناني والأمة العربية.

أما على مستوى سير العمليات العسكرية البحتة، فقد استحوذت المقاومة الإسلامية على الكم النوعي والعددي من بين المقاومات

الموجودة في لبنان، وأصبحت رأس الحربة في قتال العدو الصهيوني، إذ قامت المقاومة الإسلامية حتى العام ألفين واثنين ميلادية، بثمانية آلاف ومئتين وثلاث وتسعين عملية، توزعت بين الهجومات على المواقع واحتلالها، والكمائن المسلحة والعبوات الناسفة، وأسر الجنود والعمليات الاستشهادية[١] حتى أصبحت تلك العمليات مصدر قلق وخوف للجنود الصهاينة، وبات قادة العدو يبحثون عن مخرج من الأزمة التي سببتها لهم المقاومة، وأصبحوا ينادون بالانسحابات، ويحددون لها المواعيد، لكي يحافظوا على سمعة الجيش «الأسطورة»! معترفين بالهزيمة وبفشل تورطهم العسكري في لبنان، بلسان رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك شاؤول موفاز الذي قال: «إن حزب الله هو القوة الرائدة في المواجهة ضدنا، وليس هناك أي جيش في العالم لديه القدرة على تحقيق إنجازات في المواجهة ضد حزب الله»[٢].

وبقيت المقاومة الإسلامية تنزل بهذا العدو الضربات تلو الضربات، حتى أنزلت به الهزيمة وأجبرته على الفرار من لبنان على مرأى العالم.

٢ ـ الأسلوب غير المباشر

عملت المقاومة الإسلامية في الخطّ الموازي للعملِ العسكري في مواجهة العدو، على تكريس نهج المقاومة في الأوساط السياسية

---

(١) راجع ملحق رقم٢ ص ٢٣٤ من هذا الكتاب حول عدد العمليات الجهادية السنوية من قِبل المقاومة الإسلامية.

(٢) صحيفة السفير في ١٧/٦/١٩٩٩ م.

والإعلامية، ليكون ذلك أسلوباً في قتال العدو، تثبت من خلاله حقها في الدفاع عن الوطن، وصون المقاومين في مقابل الهجمة السياسية الشرسة على المقاومة، التي هدفت إلى عزل المقاومين عن المجتمع ووصفهم بالإرهابيّين، فدخلت المقاومة المعترك السياسي لتكون حاضرة فيه، حيث دأب العدو دائماً على تزييف الحقائق، لاستقطاب الجهات الدولية لكسب أكبر عدد ممكن من الآراء التي تدعم الكيان الصهيوني في هجمته على المقاومة، وكذلك خاضت المقاومة حرباً إعلامية كبيرة ضد العدو، لتبيان الحقائق والأبعاد التي يرمي من خلالها العدو إلى تضليل الأمة واسترخائها.

أ ـ المقاومة والعمل السياسي:

قبل أن أتكلّم عن الموضوع السياسي، ودور المقاومة الإسلامية في استنهاض الأمة ومواجهة العدو، أود الإشارة إلى بعض المسائل:

١ ـ إن المقاومة الإسلامية المتمثلة بحزب الله في لبنان هي حركة جهادية تهدف إلى تحرير الأرض من العدو.

٢ ـ إن هذه المقاومة تسعى لأن تكون الأمة قوية قادرة على الصمود بوجه أعدائها المتربصين بها.

٣ ـ إنها دخلت المعترك السياسي، من باب إيصال صوت المقاومة إلى الصروح السياسية لكفالة المقاومين ودعم العمل العسكري، وتوفير الاحتضان السياسي للمقاومة من قبل الدولة والشعب[1].

---

(١) انظر: البرنامج الانتخابي لحزب الله، تموز عام ١٩٩٢م.

يتضح، من خلال ما تقدم، أن المقاومة الإسلامية عبرت عن عملها السياسي بالقول الشائع عن الإمام الحسن عليه السلام: «إن عبادتنا سياسة وسياستنا عبادة».

تماما كما فعل الإمام الخميني قدس سره، بحيث تكون النظرة إلى السياسة من باب الدين وخدمة العباد. فمن هذا المنطلق دخلت المقاومة الإسلامية معترك العمل السياسي، ليكون خدمة لخط المقاومة والشعب المقاوم إذ «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»! ولذا أخذت المقاومة على عاتقها تبني قضايا هذا الشعب المقاوم، وتبني قضايا هذه الأمة المحرومة من أبسط حقوقها التي نصت عليها القوانين، لتكون عبر مجلسها السياسي وبعض الأجهزة الأخرى الصوت المدوي، في مجالات العمل السياسي بشتى أنواعه، ولتقتحم المجتمع والدولة والأحزاب بأسلوب مميز. فقد شهد القاصي والداني، والعدو والصديق، أنّ المقاومة تبنت قضايا هذا الشعب، بصدق وأمانة وتضحية، بما تستطيع وبما لديها من إمكانات بالحكمة في الطرح، وتنوع الأساليب، واختيار الأوقات المناسبة في العمل، لتقف بوجه العدو وغطرسته في هذا المجال، فتوزع عملها على عدة مجالات:

١ ـ مع الدولة، وذلك من خلال نوابها.

٢ ـ مع الأحزاب والقوى، وذلك عبر مجلسها السياسي.

٣ ـ مع دول المنطقة وغيرها، عبر مسؤوليها المختصين لذلك.

وبهذا تحركت قضية المقاومة، في الداخل والخارج، بالمجالات المذكورة على النحو التالي:

١ ـ مع الدولة:

استنفرت ثلة من الذين حملوا القضية إلى معترك الحياة السياسية في المجلس النيابي، فدخلوا من خلال الانتخابات التي جرت في لبنان إلى المجلس النيابي، حاملين شعار قائدهم وسيدهم الشهيد السيد عباس الموسوي: «سنخدمكم بأشفار عيوننا، والوصية الأساس هي حفظ المقاومة الإسلامية» وتجمع هؤلاء النواب تحت اسم كتلة الوفاء للمقاومة، في ظروف كان لبنان يواجه فيها استحقاقاً تاريخياً، يتصل بمحاولات رسم الصورة المستقبلية للوضع السياسي العام في البلاد، حيث لم تكن قد جرت انتخابات نيابية منذ عشرين عاماً[١].. فسعوا جاهدين إلى:

١ ـ إيصال مطالب الناس إلى المجلس النيابي.

٢ ـ المشاركة الفعالة، عبر لجان المجلس، في صياغة المشاريع والقوانين المطروحة.

٣ ـ وضع قواعد جديدة في العمل السياسي في لبنان: بحيث بينوا الطريقة السياسية التي بدأ بها البلد منذ القدم، وقدموا نظريتهم في الطريق السليم لإدارة شؤون البلاد، والتي تتلخص في عدة نقاط منها: العدل الاجتماعي، وإلغاء الطائفية السياسية، وتبني المقاومة رسمياً، حيث عزة لبنان في مقاومته، وتحسين الأنظمة والقوانين المرعية الإجراء، في السياسة والإعلام والإدارة الوظيفية والإنماء المتوازن،

---

(١) انظر: البرنامج الانتخابي لحزب الله، تموز عام ١٩٩٢م.

وإيجاد فرص عمل للعاطلين منه وتعزيز التعليم، وتأمين العيش الكريم[١].

وقد استخدم هؤلاء النواب مناهج مهمة في سعيهم لإيصال هذه القواعد إلى التطبيق.

٢ ـ على صعيد الأحزاب والقوى:

جهدت المقاومة الإسلامية في التعامل مع الجميع، على قاعدة القرب والبعد من العدو الصهيوني، فتقربت من الجميع، باستثناء المتعاملين مع إسرائيل، ولم تأل جهداً عبر لجانها المختصة في التواصل مع جميع الأحزاب اللبنانية لتوحيد الجهود، والدعوة إلى المقاومة وتبني خيارها، والمشاركة الفعالة فيها. وقد تمثل ذلك بعدة لقاءات واجتماعات عمل وتنسيق ومؤتمرات لدعم المقاومة شاركت فيها معظم الفعاليات.

ففي التاسع من نيسان عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ميلادية، عقدت المقاومة الإسلامية، بحضور أمينها العام السيد نصرالله، مؤتمر الأحزاب لدعم المقاومة الذي شاركت فيه الفعاليات: السياسية ـ الاقتصادية ـ الطلابية ـ والعمالية، وذلك لتوحيد الجهود في دعم المقاومة، ولتقديم الدليل على أن المقاومة هي من الشعب ومن كل هذه الفعاليات، بحيث كان من أهداف المؤتمر الذي دام ثلاثة أيام على التوالي: تكريس الوحدة حول خيار المقاومة، وتشكيل هيئة وطنية لدعم المقاومة وتعزيز الصمود الشعبي، والانطلاق نحو العالم العربي.

---

(١) انظر: البرنامج الانتخابي لحزب الله، تموز عام ١٩٩٢م.

كما عقدت مؤتمرات أخرى في الخارج لأجل المقاومة، ففي مصر شكلت هيئة لدعم المقاومة الإسلامية، وأقيمت عدة مؤتمرات تتبنى خيار المقاومة لقتال العدو.

وعلى صعيد مواقف تأييد الأحزاب والقوى، فقد أثنت معظم الفعاليات على المقاومة، وأيدتها وشجبت الاحتلال، وخاصة بعد عدوان أنصاريّة (الواقعة بين مدينتي صيدا وصور): أذكر منها الحزب الشيوعي اللبناني، وتجمع اللجان والروابط الشعبية، رئيس المنتدى القومي العربي والحزب الديمقراطي الشعبي، حزب الاتحاد وعميد الإذاعة والإعلام في الحزب السوري القومي الاجتماعي، اللقاء البيروتي الطارئ، ورئيس جمعية الأرز الرياضية الثقافية.

أما علماء الدين الذين أشادوا بالمقاومة وصمودها إلى جانب الجيش اللبناني فأذكر منهم: رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد رشيد قباني مفتي الجمهورية، الشيخ حسام قراقيرة رئيس جمعية المشاريع الخيرية والشيخ سعيد شعبان رحمه الله.

٣ ـ في المجال الدولي:

انطلاقاً من نظرتها الثاقبة إلى أهمية الوحدة على الصعيد الإقليمي، ليتحقق الانتصار على العدو، بنت المقاومة علاقات متينة وواضحة مع العديد من الدول وبخاصة مع إيران وسوريا اللّتين تمثّلان أهمية في المجال الإقليمي. وعليه فإن هاتين الدولتين تتعاملان مع المقاومة على

أنها رأس الحربة لقتال العدو الغاصب. كما يبدو من مواقف مسؤولي الدولتين، فإن الكثير من مواقفهم تتبنى خيار المقاومة وتدعمها سياسياً على الصعيدين الإقليمي والدولي، للوقوف بوجه العدو الصهيوني[١].

وعليه أرى أن المقاومة الإسلامية كرست المبادئ التالية في العمل السياسي:

أ ـ شمولية العداء لإسرائيل، على مستوى المجتمع اللبناني خاصّة والأمة عموماً، فطوقت بذلك إسرائيل التي تسعى دائماً إلى إيجاد الشرخ بين المقاومة وأمتها.

ب ـ استراتيجية العمل المقاوم، حيث أصبح هذا الدفاع عن المقاومة ودفع الظلم عنها في رأس أولويات الأمة.

ج ـ التبني الإقليمي والدولي لها، فقد استنهضت بعض الدول للقيام ولو بمعارضة سياسية لأعمال الكيان الصهيوني الوحشية ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني.

ولقد أعطت المقاومة الإسلامية النموذج الأمثل في مواجهة العدو، مع الالتفاف الشعبي حولها وتبني الشعب لها، مما دفع بالأمة إلى الأمام

(١) بعد مضي يوم على عملية أنصارية الفاشلة التي قامت بها قوات الاحتلال تلقى وزير الخارجية السوري فاروق الشرع اتصالاً هاتفياً من وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي تركز حول التطورات الإقليمية خاصة اثر انتهاك إسرائيل لتفاهم نيسان العائد لسنة ألف وتسعمئة وست وتسعين ميلادي في جنوب لبنان. ورداً على الولايات المتحدة الأمريكية التي تدعو الى تفكيك حزب الله، وفي محاضرة لوزير الخارجية السورية فاروق الشرع قال: إن حزب الله مسألة لبنانية مارس دوره ضد الاحتلال قولاً وعملاً، وماذا يعني تفكيكه؟ يعني فتح النافذة للكيان الصهيوني للاحتلال مره اخرى وما يستتبع ذلك من إيقاظ للفتن الطائفية. نقلاً عن تلفزيون المنار في ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٣ م.

على جميع المستويات، خاصة العمل السياسي الذي لا يقل أهمية عن المجالات الأخرى في تحديد نهج الأمة وخطها، مما يزيد من قوة المواجهة العسكرية وصلابتها ضد العدو.

ب ـ المقاومة والعمل الإعلامي:

ولا بد من التطرق إلى دور الإعلام في مسيرة الشعوب، وكيفية تأثر العالم العربي به، لمعرفة دور المقاومة الإعلامي في مجال استنهاض الأمة ومواجهة العدو.

١ ـ دور الإعلام في مسيرة الشعوب:

مما لا شك فيه أن الإعلام يلعب دوراً مهماً، في مسيرة الشعوب وحركتها وتطورها نحو الأفضل، فهو يفتح آفاقاً جديدة للإنسان على مستوى العلم والمعرفة، من ناحية اطلاعه على ثقافات الشعوب في أرجاء المعمورة، وإلقاء الضوء على اكتشافاتهم وتطورهم وعاداتهم وما إلى ذلك، لكي يستفيد من تجربة الآخرين من جهة، ويطوِّر تجربته من جهة أخرى.

فالإعلام الهادف هو الذي يحوِّل الإنسان من فرد لا طاقة له ولا قوة، إلى فرد فاعل عامل يسعى لإصلاح مجتمعه وتطويره. ومن هنا، فإن مقتضيات العمل الإعلامي تفرض بشكل أساسي الأمور التالية:

أ ـ توفر أجواء مهيئة لعمل مميز، وذلك بتحقيق جو موحد بين وسائل الإعلام في الأمة بحيث يكون الهدف واحداً تقريباً.

ب ـ توفر وسائل تقنية تواكب العصر الحديث.

ج ـ توفر برامج هادفة وبناءة تهدف إلى تحصين المجتمع، عبر معالجة آفات التلفاز بدعم القدرات الإعلامية، وإنشاء مراكز أبحاث إعلامية ومراقبة البرامج التي تبثها قنوات التلفزة، وإلغاء ما هو مخالف منها لثقافة المجتمع[١].

إذ يلاحظ التطور الحاصل على المستوى الإعلامي في العالم فبعد أن كان الإعلام مقتصراً على بعض الوسائل البدائية، أصبح الآن أوسع بكثير، وإذا أردت أن أتحدث عن المجالات الإعلامية وميادينها لذكرت المطبوعات والإعلام المرئي والمسموع والحاسوب الآلي:

أ ـ المطبوعات:

العالم كله يعتمد على وسائل الإعلام المقروءة كقوة نافذة توصل الأهداف الإعلامية إلى الناس بشتى أنواعها، فمن الجريدة إلى الكتاب إلى البحوث بمختلف مجالاتها الّتي تصل بالإنسان إلى فهم الواقع والى تزويده بفكر جديد وتطور أفكاره السابقة. ولا أحد ينكر أهمية المطبوعات في هذا المجال ودورها في التنمية الفكرية للأجيال.

ب ـ الإعلام المرئي والمسموع (وكالات أنباء عالمية، محلية، تلفزة):

في هذا المجال، حدِّث ولا حرج حول المسائل المتنوعة التي تُبَث إلى الشعوب، بمختلف انتماءاتها وتوجهاتها، لا سيما لما لهذه

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل الى الفلسفة، مرجع مذكور، ص ٢٧٩.

الوسائل من تأثير في نفس المشاهد المستمع وقلبه وفكره، إن من الناحية السلبية أو الإيجابية، فكلاهما يدخلان إلى عقل الإنسان وفكره «فالقنوات التلفزيونية الوافدة الى مجتمع ما، لا بدّ من أن تحدث تأثيرات في ذلك المجتمع، وخاصة على صعيدي السلوك والثقافة»[١].

ج ـ الحاسوب الآلي:

بداية ظهر الحاسوب الإلكتروني، كوسيلة لمعالجة البيانات المختلفة، ومع تطور الإعلام استعمل هذا الحاسوب كوسيلة إعلامية، حيث إن نظام الإنترنت (الشبكة العالمية) الذي أدخل عليه، أتاح للمشترك في هذا النظام أن يحصل على أي خبر، أو معلومة أو حادثة، أو موضوع يريده. وعليه أصبح التواصل بين الشعوب أعم وأسهل وأهم، وهذا مما لا شك فيه، تطور بارز في حياة الشعوب، ويدل على الأهمية الكبرى لقدرة الإعلام المعاصر على تحقيق أهدافه. إذ بات بإمكان مستخدم الحاسوب الآلي المشترك أن يتحدث بواسطة هذا الحاسوب مع من يريد، حتى إنّه يستطيع أن يشاهد محادثه.

من هنا، ومن خلال النقاط التي ذكرت، تتضح الأهمية البالغة للإعلام وللدور المهم الذي يلعبه في حياة الشعوب وتطورها، ومن خلال ذلك أود الدخول إلى واقع أمتنا ومجتمعنا لرصد بعض الآفات والإيجابيات، في محاولة لإلقاء الضوء على المسار الإعلامي للمقاومة الإسلامية، واستكشاف دورها الإعلامي في استنهاض الأمة ومواجهة العدو.

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل الى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٧٦.

٣ ـ الإعلام العربي واللبناني:

الإعلام على صعيد أمتنا العربية والإسلامية ـ بسبب التنوع الموجود فيها ـ خاضع حالياً، وبشكل نسبي، للسلطات الحاكمة مع بعض الاستثناءات. والمنهج الإعلامي لهذه الدول مختلف إلى حد بعيد، بشكل يسبب الكثير من السلبيات التي تنعكس على الأمة ضياعاً، علماً أنّ هناك بعض الوسائل الإعلامية الهادفة التي قد يستفاد منها، وانطلاقاً من كل هذا، فإن الإعلام العربي يلزمه الأمران التاليان:

أ ـ توحيد المنهجية في طرح السياسات الإعلامية، وتحديد أهدافها.

ب ـ التزود بوسائل حديثة ومتطورة، وذلك لكي يستطيع هذا الإعلام أن يواكب العصر من جهة، وأن يقف بوجه أعداء الأمة من جهة أخرى، لأنهم لا يفوّتون فرصة في بث الفرقة والخلاف في هذه الأمة.

أما على مستوى الإعلام اللبناني: فإنني أجد أنّ لهذا الإعلام اتجاهات شتى وأهدافاً متعددة. فهو غير منسجم، وأهداف مؤسساته مختلفة ومتنوعة، ولكنها بالتأكيد لا تهدف إلى إيجاد مجتمع قوي ومتماسك، خاصة بعد الظروف التي عانى منها لبنان وما زال.

ورغم أن المفترض في الإعلام اللبناني الرسمي والخاص أن يوجه جهوده لإيجاد مجتمع مقاوم وحضاري، نجد أن جهده يتركز على الأمور التالية:

أ ـ التلهي بالأمور السطحية، وترك الأمور المهمة[١].

ب ـ بث برامج تهدف إلى نشر الفكر الغربي بين المشاهدين، لتشويه القيم الفكرية والعقائدية والعادات الصالحة الأصيلة والمكتسبة عند أبناء شعبنا اللبناني، كالبرامج التي تهدف إلى تفكيك الأسرة، وانحراف الشباب، وزرع بذور الفتن، وغير ذلك من الأمور المفسدة للمجتمع.

ج ـ التركيز على الدعايات التي تبرز المرأة كمصدر إغراء للرجال، وهذا إن هدف إلى شيء فإنه يهدف، بطريقة أو بأخرى، إلى انحلال المجتمع والتخلي عن المبادئ. وهذه الأمور باتت معروفة.

د ـ التركيز على أفلام العنف، وهذا ما له آثاره السلبية الكبيرة في النفس الإنسانية.

هـ ـ خلو وسائل الإعلام ـ إلا ما ندر ـ من البرامج الهادفة التي تتحدث عن الاحتلال الإسرائيلي وجرائمه، وفي حال أراد البعض أن يتحدث عن المقاومة فإن حديثه يأتي في سياق خبر خجول في نشرة الأخبار.

أمام هذا الواقع الإعلامي اللبناني المتردّي، أجد أنه لا بد لهذا الإعلام من أن ينتهج منهجاً مختلفاً، منهجاً يستطيع بموجبه أن يتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، في توصيل المجتمع إلى مبتغاه ورقيّه، لذا

---

(١) كالبرامج التالية: عبدو وعبدو، S.L.CH وسوبر ستار، وغيرها.

لا بد من التوجيه الدقيق للبرامج التلفازية والإذاعية، وتوحيد جهود الصحافة وغيرها، لتكون كلّها صفاً واحداً، لإيصال المجتمع إلى الأهدف المنشودة. وهنا كان لوسائل إعلام المقاومة الإسلامية دور فعال ونشيط في هذا المجال، فأضحت سنداً للأمة في نهضتها.

٤ ـ إعلام المقاومة الإسلامية ودوره في نهضة الأمة ومواجهة العدو:

أ ـ في سبيل نهضة الأمة:

كان لا بد لإعلام المقاومة الإسلامية من تحديد المسار الذي يؤمّن النهوض بالمجتمع نحو رقيّه وتحضّره، هذا الإعلام المقاوم ـ المتمثل بثلاث وسائل: جريدة الانتقاد (العهد) التي تأسست عام ألف وتسعمئة وخمسة وثمانين ميلادية وإذاعة النور التي تأسست في أيار سنة ألف وتسعمئة وثمان وثمانين ميلادية، وتلفاز المنار الذي تأسس عام ألف وتسعمئة وتسعين ميلادية ـ دأب هذا الإعلام على:

١ ـ التعريف بالثقافة والقيم والمفاهيم النابعة من الرسالات السماوية، والدعوة إلى الحفاظ على أصالة الأمة وتراثها الحضاري.

٢ ـ تعزيز الانتماء الوطني والارتباط بالقضايا المصيرية الكبرى، وفي طليعتها مواجهة المشروع الاستعماري الصهيوني.

٣ ـ استنهاض طاقات الأمة، وتوجيه قدراتها نحو دعم مشروع المقاومة، لاستعادة مقدساتها وتحرير الأرض المحتلة.

٤ ـ بناء جيل واع، والاهتمام بقضايا الشباب ومشاكله، وتحصينه بالفكر والثقافة لمواجهة التحديات.

٥ ـ الاهتمام بقضايا الشعوب المحقة والعادلة.

٦ ـ الالتزام بإعلام موضوعّي متّزن ومنفتح، وصناعة رأي عام فاعل.

٧ ـ المساهمة في تنمية المجتمع في مختلف المجالات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، البيئية، الصحية، والعلمية.

وقد تفاعل الشعب اللبناني ووسائل الإعلام اللبنانية ومندوبو الإعلام، الرسمي والخاص، ووكالات الصحافة مع هذه الوسائل الإعلامية، وتوسّع التعاون فيما بينها حتى شمل شتى المجالات، وحتى أصبحت وسائل إعلام المقاومة من الوسائل الإعلامية المتألقة في هذا الوطن، وقد أثبتت فاعليتها في هذا المجال. وكشاهد على تقارب وسائل الإعلام اللبنانية والعربية والناس مع إعلام المقاومة، أذكر على سبيل المثال لا الحصر: تفاعل جميع وسائل الإعلام مع المقاومة، إبّان التصدي للاعتداءات الصهيونية في تموز عام ثلاثة وتسعين، ونيسان عام ستة وتسعين، واستقبال وسائل إعلام المقاومة لعدة وفود إعلامية، في إطار زيارات رسمية. كزيارة نقيب الصحافة محمد البعلبكي لمقر الأمانة العامة، حيث التقى نائب الأمين العام لحزب الله، بتاريخ الثاني من آذار عام ألف وتسعمئة وتسعة وتسعين ميلادية، وقال آنذاك: «جئنا نمثّل الصحافة اللبنانية التي تمثل الشريحة الكبرى من اللبنانيين، لنقف إلى جانب المقاومة»! وتفاعل الناس مع هذا الإعلام ميدانياً، الأمر الذي برز من خلال اللقاءات والمقابلات التي أجريت وأخذ فيها رأي الناس، بالإضافة إلى المقابلات التي حصلت مع أهالي منطقة جزين بجميع

طوائفهم، بُعيد الانسحاب الصهيوني من المنطقة، يوم الأحد في السادس من حزيران عام ألف وتسعمئة وتسعة وتسعين ميلادية، حيث أشادوا بالمقاومة وبأمينها العام، وكذلك حصل بُعيد الانسحاب الأخير عام ألفين.

والتفاعل الخارجي مع المقاومة: ويظهر هذا الأمر من خلال ندوات لجنة دعم المقاومة الإسلامية التي تحصل في مصر، ومن خلال الندوات التي تحصل في لبنان حول المقاومة وأثرها في استنهاض الشعوب. ومشاركة تلفاز المنار وإذاعة النور في المؤتمرات الإسلامية لوسائل الإعلام العربي المرئي والمسموع في مصر وتونس مشاركة فعالة أبرزا من خلالها دور المقاومة الإسلامية في لبنان وحازا إعجاب اللجان المشرفة على تلك المؤتمرات وحصلا على العديد من الجوائز الذهبية والفضية والبرونزية وشهادات التقدير والإبداع.

ب ـ في مواجهة العدو:

في البدء تجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين ما تملكه وسائل إعلام المقاومة، وما يملكه العدو من إمكانات تقنية، ولكّن الفارق يضيق ويختفي، في حال كان الهدف واضحاً والإعلام موجهاً؛ حيث إنه لا بدّ له في هذه الحال، من أن يحقق مبتغاه ويصل إلى المطلوب.

ومما لاشك فيه أن واقع أمتنا العربية والإسلامية مخترق، بشتى الوسائل وفي مختلف المجالات الثقافية والفكرية والإعلامية وغيرها، من قبل الاستكبار العالمي، حيث يتبين تأثيره في المسائل التالية:

١ ـ تشويه الفكر الذي تتبناه هذه الأمة، وبث أفكار تساعد هذا الاستكبار في الدخول إلى واقع أمتنا.

٢ ـ انحلال مجتمعاتنا، من خلال التوجيه الإعلامي لهذا الاستكبار، والذي يركز على شهوات الناس وتفعيلها بالشكل الخاطئ.

٣ ـ زرع اليأس في نفس الإنسان العربي، مسلماً كان أو غير مسلم، وإيهامه بأنه لا يستطيع النهوض. وإيصال فكرة أنّ المجتمع الغربي هو الذي يصنع الحضارات.

٤ ـ تلميع صورة اليهود في العالم من خلال تسليط الضوء على: تضخيم الأعمال التي حققها اليهود والجيش الإسرائيلي، قيام دولة إسرائيل، قوة الاقتصاد الإسرائيلي، ممارسة الحياة الديمقراطية، هزائم العرب، بهدف تقوية نفوس اليهود وتيئيس العرب. والتركيز على ضرورة تجمع اليهود في فلسطين. فعلى سبيل المثال، تمّ الاحتفال بوصول الرجل اليهودي الرّقم مليون إلى فلسطين، في السابع من أيار عام ألفين، وقد كان في استقباله باراك رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك. وإبراز ما يدعونه من حضارة عبرية والتركيز على الاضطهاد الأبدي والعداء للعرب. ونشر الفكر الصهيوني في العالم، عبر الجامعات وخاصة الأميركية وتنمية اللوبي الصهيوني فيها، للتسلط على معظم مفاصل الدولة المؤثرة (مراكز الإعلام والأبحاث، والدراسات، . . الخ) وتسخيرها لخدمة الصهيونية.

أمام ما ورد، يتضح حجم المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق

إعلام المقاومة الإسلامية، في الوقوف في وجه هكذا مخططات معادية، وتفنيدها وشرحها للأمة؛ هذه المخططات التي تريد إسرائيل من خلالها النيل من هذه الأمة وحضاراتها وثقافتها ونهضتها.

فقد عملت وسائل إعلام المقاومة الإسلامية جاهدة على:

١ ـ تحصين الأمة من الأفكار المدسوسة عن الإسلام.

٢ ـ جعل الوسائل الإعلامية الفضائية والأرضية أقنية هادفة وفاعلة، ببث روح العزيمة والقوة في نفوس أبناء الأمة.

٣ ـ زعزعة ثقة الشعب اليهودي بقياداته السياسية العسكرية من خلال الهزيمة في لبنان.

٤ ـ التركيز على هشاشة الجندي الصهيوني، وثبات مجاهدي المقاومة الإسلامية في الميدان.

وهكذا دأبت وسائل إعلام المقاومة في السعي لتحقيق هذه الأمور. فوضعت برامج شتى ومتنوعة تشمل جميع نواحي الحياة وخصصت عدة برامج لفضح ممارسات العدو، وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر: برنامج «المرصاد» الشهير الذي نال جائزة تقديرية في مهرجان القاهرة الدولي، وبرنامج «سم وعسل» ومسلسل «الشتات» الذي هزّ قادة كيان العدو بأجمعه، والبرامج السياسية المتنوعة، فضلاً عن البرامج الأخرى التي هدفت وتهدف إلى إلقاء الضوء على أهداف ومخططات العدو، والى تكريس نهج المقاومة وأهدافها والعمل بالأهداف الإعلامية المنشودة للوصول إلى أمة مستنهضة في هذا المجال.

وقد كان لفضائية المنار أثر كبير في استنهاض الأمة جمعاء، حيث وصل صوت المقاومة الحقيقي إلى كل فئات الأمة وأفرادها أينما كانوا ليتعرفوا على حقيقة العداء للصهاينة وحقيقة أعمالهم الإرهابية وما ألحقوه من ظلم بالشعبين الفلسطيني واللبناني.

فقد حظيت هذه الفضائية بتأييد عربي وأجنبي لما لها من مصداقية في نقل الخبر وصحته، وهكذا كان لوسائل إعلام المقاومة الإسلامية الدور الفعال في استنهاض الأمة ومواجهة العدو جنباً إلى جنب مع المواجهة العسكرية والسياسية.

الفصل الثالث

فلسفة المقاومة الإسلامية

أولاً: مفهوم الاستشهاد

١ ـ الاستشهاد في المفهوم الفقهي

٢ ـ الاستشهاد في الخطاب الفلسفي

ثانياً: الموت اختياراً أو انتحاراً، مفارقة وتباين.

أولاً: مفهوم الاستشهاد

قبل الحديث عن الاستشهاد ومفهومه، لا بد لي من أن أعرج على مفهوم الشهادة، لكي أوضح الفرق بين الشهادة والاستشهاد. إذ كثيراً ما يذكر هذان المفهومان مندمجين بعضهما بالبعض رغم الفروقات بينهما، حيث إن للشهادة والاستشهاد في الإسلام مكانة كبيرة، لما لهما من أثر إيجابي في تقويم الأمة، وتصويب مسارها ضمن الخط الإلهي.

فالشهادة في مفهومها الإسلامي العام، تطلق على من يدلي بشهادته أمام القاضي في المحكمة، حيث يسمى الشاهد، كما يذكر الباري عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[(١)] ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[(٢)].

وتطلق كلمة شهيد على الشاهد الحاضر في الحق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

ويقال للنبي شهيد: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[(٤)].

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٣) سورة النور، الآية ٢.

(٤) سورة النحل، الآية ٨٩.

وتأتي كلمة شهيد بمعنى الملائكة: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[١].

وتأتي كلمة شهيد بمعنى الشريك: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢].

ومنها ما يأتي بمعنى الشهيد في سبيل الله كما يقول عز وجل: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[٣].

إذاً معنى الشهيد يأتي من ضمن مفهوم الشهادة الواسع في دلالته.

هذا عن مفهوم الشهادة؛ أما الاستشهاد فهو بدوره يطلق على من يقتل في سبيل الله، كما يطلق على الغريق والمطعون. بحسب ما روي عن رسول الله ﷺ، حيث قال في إحدى مجالسه مع أصحابه لعبد الله ابن رواحةَ من الشهيد من أمتي؟ فقالوا أليس هو الذي يقتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر، فقال رسول الله ﷺ: إن شهداء أمتي إذاً لقليل! الشهيد الذي ذكرتم والطعين، والمبطون، وصاحب الهدم والغرق، والمرأة تموت بجمع. فقالوا: وكيف تموت جمعاً يا رسول الله؟ فقال: يعترض عليها ولدها في بطنها[٤].

فهؤلاء جميعاً شهداء ولكن تتفاوت درجاتهم، بحسب النظرة الفقهية إلى الشهيد في الدنيا والآخرة، فجميع هؤلاء الشهداء ما عدا الشهيد في سبيل الله يكفنون ويغسلون وينالون جزاء الشهيد في الآخرة، وجزاؤه أنه عند ربه يرزق ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٩.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٣.
(٣) سورة النساء، الآية ٦٩.
(٤) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مرجع مذكور، ج٥، ص ١٩٧.

﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾(١) إلا أن ميزة الشهيد في سبيل الله في الدنيا هي أنه لا يغسل ولا يكفن، وينال الجزاء الأوفى في الآخرة، بشرط أن تكون نيته خالصة لله وحده، وهذا ما يؤكده البغدادي في كتابه: «إن الشريعة الإسلامية المقدسة تعتبر النية أساساً للعمل في حياة الإنسان المسلم، في جميع أقواله وأفعاله، صغيرها وكبيرها، وآيات الجهاد والاستشهاد تذكر بأنها في سبيل الله دائماً من دون استثناء»(٢).

إذاً الاستشهاد في سبيل الله هو تضحية بالنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وعدم الركون للظالمين، وللدفاع عن الأرض والنفس والعرض، حيث يسقط الشهيد في سبيل ذلك مضرجاً بدمه. والشهادة تعطي العزة والرفعة للمؤمنين، وتسلّحهم بالإرادة القوية لكي يتحملوا الصعوبات القادمة من جراء الجهاد في سبيل الله. وأستطيع القول: إن الشهادة أعم من الاستشهاد في هذا المعنى.

وسأتناول مفهوم الاستشهاد في الميزان الفقهي والخطاب الفلسفي، مبيناً الفرق بينه وبين الانتحار.

١ ـ الاستشهاد في المفهوم الفقهي.

أ ـ الاستشهاد لغة واصطلاحاً:

لغةً: يعبر الكسائي في لسان العرب عن الاستشهاد بقوله: أشهد الرجل إذا استشهد في سبيل الله، فهو مشهد، بفتح الهاء. وفي

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٢) البغدادي، قاسم مكي، الشهاده تأصيل لا استئصال، ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٣، ص١٦٠.

الحديث: المبطون شهيد، والغريق شهيد. قال: الشهيد في الأصل من قتل مجاهداً في سبيل الله، ثم اتسع فيه، فأطلق على من سماه النبي ﷺ في المبطون والغرق والحرق وصاحب الهدم، وغيرهم، وسمي شهيداً لأن ملائكته تشهد له بالجنة. وقيل: لأنه حي لم يمت، كأنه شاهد أي حاضر. وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهد. وقيل: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل. وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل. وقيل غير ذلك. فهو فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول على اختلاف التأويل. وأصل الشهادة: الإخبار بما شاهده[١].

وقيل في الشهيد: المقتول في سبيل الله، والجمع شهداء[٢].

والشهادة عالم الأكوان الظاهرة، يقابله عالم الغيب[٣].

أما اصطلاحاً: فيتضح المعنى من خلال آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الشهادة في سبيل الله، وتحدد بعض العناوين التي يفهم منها معنى الشهيد، حيث يقول الباري عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾[٤].

ويقول أيضاً: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾[٥].

---

(١) لسان العرب، مرجع مذكور، ج٧، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٠.
(٣) المنجد في اللغة، مرجع مذكور، ص٤٠٦.
(٤) سورة الحديد، الآية ١٩.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

ويقول كذلك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١].

وفي رأي الطباطبائي: فإن هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله ملحقون بالصديقين والشهداء منزلون منزلتهم عند الله، أي بحكم منه لهم أجرهم ونورهم. والمراد بالصديقين هم الذين سرى الصدق في قولهم وفعلهم فيفعلون ما يقولون، ويقولون ما يفعلون. الشهداء هم شهداء الأعمال يوم القيامة، وربما قيل، والكلام للطباطبائي: إن قوله: والشهداء، ليس عطفاً على قوله: الصديقون، بل استئناف. والشهداء مبتدأ خبره عند الله، وخبره الآخر لهم أجرهم ونورهم، فقد قيل: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون، وقد تمّ الكلام ثم استؤنف. وقيل: الشهداء، عند ربهم، والمراد بالشهداء: المقتولون في سبيل الله[٢].

أما مسألة النهي عن وصف المقتولين في سبيل الله بالأموات، فيرجع المسألة إلى أنه لا يجب أن نعتقد فيهم الفناء، كما يفيد لفظ الموت عندنا ومقابلته مع الحياة، وكما يعني هذا القول من قبل حواسنا التي لا تنال ذلك ولا تشعر به. وإن إطلاق هذا القول على المؤمنين، مع أن أكثرهم عالمون ببقاء حياة الانسان بعد الموت، إنما هو لإيقاظهم. وبالالتفات إليه يرتفع الحرج والاضطراب والقلق إذا أصابتهم مصيبة القتل[٣].

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.
(٢) الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج١٩، ص١٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٧.

ويحتمل ان يكون التنبيه لعدم احتساب الذين يقتلون في سبيل الله أمواتاً وأنهم عند ربهم يرزقون، تتمة للخطاب في قوله: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١] والمراد بالموت: بطلان الشعور والفعل. ولذا ذكرهما في قوله: بل أحياء.. حيث ذكر الارتزاق وهو فعل، والفرح والاستبشار ومعهما شعور[٢].

ولقد استطلعت بعضاً من الأحاديث النبوية وسيرة الأئمة عليهم السلام، فوجدت أن الشهادة أشرف وسيلة للقاء الله، وأنها فوق كل بر ومن ينالها يكون شفيعاً لأمته، كما الأنبياء والعلماء، وهذا ما يؤكده الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: «أشرف الموت قتل الشهادة»[٣].

وقال: «فوق كل بر بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه بر»[٤].

وقال أيضاً: «ثلاثة يشفعون إلى الله يوم القيامة، فيشفّعهم: الأنبياء والعلماء والشهداء»[٥].

وأجد في أقوال الإمام علي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام ما يثلج صدور المؤمنين، حين يسمعون مفهوم الشهادة ومنزلة الشهداء وأجرهم عند الله، حيث اعتبر الأئمة عليهم السلام أن الشهيد أفضل الناس بعد الأوصياء، وأن الشهادة سعادة وأنها أكرم الموت، ومن خلالها يفوز

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٦٨.

(٢) الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج٤، ص٦٠.

(٣) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، مرجع مذكور، ج٥، ص١٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٥) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م، ج٣، ص١٥.

الإنسان برضى الله سبحانه وتعالى. فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أفضل الناس بعد الأوصياء الشهداء»[١].

وقال عندما رزقه الله الشهادة في المحراب: «فزت ورب الكعبة»[٢].

ويروى عن الإمام الحسين عليه السلام خلال مسيره إلى كربلاء أنه قال: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته»[٤].

وهكذا أرى أن للشهادة في الإسلام درجة عظيمة وكبيرة جداً، لما أجده من تمجيد وتشجيع لها من قبل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده عليهم السلام. وكثيرة هي الأحاديث في هذا الشأن لا يتسع المجال لذكرها هنا. فالشهادة توصل الإنسان إلى أسمى درجة يمكن أن يصلها في مسيرته التكاملية نحو تحقيق الأهداف الإسلامية السَّامية، ولتحقيق القيم الإنسانية الواقعية[٥]، فهي وسيلة تربوية ناجحة وسريعة لتربية النفس الإنسانية من أجل سموّها نحو الباري عز وجل. فالإنسان الشهيد هو الذي يعشق الله ويعطي أعز ما يملك من أجل الوصول إلى معشوقه

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مرجع مذكور، ج٢٣، ص٢٧٤.
(٢) المصدر السابق، ج٥، ص١٩١.
(٣) المصدر نفسه ص١٩٤.
(٤) المصدر نفسه ص١٩٢.
(٥) مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، ط١، ترجمة بقية الله الأعظم، بيروت، الدار الإسلامية، ٢٠٠٠م، ص١٠.

ومحبوبه، وهذا الإنسان لا يمكن أن يكون في نفسه شيء من متعلقات الدنيا الفانية، حيث لم يعد يسمع إلا نداء الشهداء السابقين وإن هذه الروح التي فضلت طريق الجهاد والتضحية للوصول إلى الباري، لا يمكن أن تهزم أبداً.

إن الشهيد رأى أن مسألة تقديم الموت على الحياة هي الطريق السريع للوصول إلى مبتغاه وإلى تحرير النفس من شرورها، وتحرير الأوطان من مغتصبيها، وإن مسألة تقديم الحياة على الموت، كما هو مفضل في أغلب الظروف، وبحسب طبيعة النفس الإنسانية وتغلب المادة على الروح عند الكثير من الناس، هذه المسألة لا يمكن أن تستقيم دائماً وبأي شكل أو ثمن، وإلا فكيف تتحرّر الأوطان؟[١] وإذا بقي الفرد منّا يتمنى أن يتصل بالباري عز وجل بالشهادة، ومن دون أن يحرك ساكناً للوصول إلى ذلك، فإنه لن يصل، ولو بقي مدى الدهر يتمنى أن يزول عنه الاحتلال من دون أن يعترضه بالوسائل المتاحة والمتوفرة، ويقاومه ويبذل الغالي والنفيس في سبيل إزاحة هذا الاحتلال، فإنه لا يمكن للمحتل أن يرتدع.

إذاً، فالشهيد هو من يقتل في سبيل الله، وهو من ينصر الحق، ويجاهد خصمه كي لا يضيع هذا الحق، ويبذل كل ما بوسعه في مقاتلة أهل البغي، وهو الذي يضحي بنفسه في سبيل المبادئ الإسلامية والوصول إلى معشوقه.

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ٢٦٠.

ب ـ الآراء الفقهية حول الاستشهاد:

الاستشهاد حالة تتولد عندما يُقدِم الإنسان على الفعل الجهادي ضد العدو، لأجل إزالة ظلم أو احتلال، أو لرفع ذل ومهانة. والحالة الجهادية يجب أن تكون مدروسة ومنظّمة لكي تؤتي أُكلها. فالجهاد بنظر الإسلام سبيل إلى مرضاة الله، الذي لم يرتضِ الظُّلم والذُّل للإنسان، لذا فالإنسان عندما يقدم على الجهاد بشتى أنواعه، وخاصة القتال في سبيل الله، عليه أن يدرك أنه متجه نحو طريق قد يوصله إلى الاستشهاد، وهو لا يعرف ان كان الله سيوفقه إلى لقائه أم لا؛ وعليه لا بد من تهيئة للنفس وضبطها على الطريق المستقيم، وإعداد العدة في كل الأحوال والظروف، لكي يكون هذا الإنسان بمستوى من الوعي والمسؤولية، لتحمل الصعاب والمتاعب في سبيل نصرة الحق وإزهاق الباطل، حتى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته.

ويرى البوطي أن مصدر مشروعية الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية هو حراسة دار الإسلام والذّود عن مجتمعه، وذلك بصدّ المعتدين والقضاء على الأخطار الوافدة من قبلهم، وهذا يتم بالجهاد القتالي، ولا يتم بجهاد الدعوة والتبليغ.

وأكثر من ذلك فإن المقاومة المشروعة لا تكون محصورة ضد واقع العدوان فحسب، بل تكون أيضاً ضد القصد ذاته وما يصحبه من تدابير متنوعة، حسب ما يراه خليفة المسلمين[١].

---

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟وكيف نمارسه؟ ط١، دمشق، دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١١٠.

وهذا يتفق مع مذهب الحنفي والمالكي والحنبلي على أن علّة الجهاد القتالي هي الحرابة[١].

ويختلف مع المذهب الشافعي في أن العلة هي الكفر، وهو مذهب ابن حزم ايضاً[٢].

وهكذا أجد أن الشهادة في نظر الشرع المقدس هي حالة ايجابية وليست سلبية أو ذوقية ومزاجية أو يأساً من الحياة الدنيوية.

إن الشهادة والاستشهاد في سبيل الله سلاح قوي استعمله المسلمون الأوائل لنصرة دين الله عز وجل، وما زال يستعمل في هذا المجال إلى يومنا هذا. وما شهدته أرض لبنان من قتال لليهود على أيدي أبناء المقاومة الإسلامية، وما تشهده فلسطين اليوم هو خير دليل على ان الاستشهاد سيف ذو حدين، يعطي للأمة زخماً وعزماً من جهة، ويلقن العدوّ دروساً في الهزيمة من جهة أخرى.

إن الاستشهاد سلاح استنهاضي في الدرجة الأولى، بحيث يحرك، قدرات الأمة ويضيء على مبادئها وقيمها، ولا يمكن ان تنتصر الأمة وتحرر أوطانها إلا بنهضة قوية يكون الدم الانساني وقوداً لها.

فالشهادة بحسب رأي البغدادي تحتاج إلى خمس مقدمات رئيسية هي: شخصية مخلصة، نقاء جوهر، سلامة نية، وجوانب متعددة لتربية الشهيد، كالقدرة القتالية والأعمال الخيرية والأدعية وغيرها من

(١) الحرابة هي: ظهور القصد العدواني من خلال أدلة واضحة.
(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟وكيف نمارسه؟ مرجع مذكور، ص٩٤.

المستحبات ومقومات الشخصية المؤمنة بالله، وأخيراً توفيق من الله عز وجل[١] وعلى هذا فإن الشهادة قوة حضارية يتسلح بها الإسلام، وتعطيه قوة دفع خاصة عندما تكون في ظروف موضوعية ومناسبة تتطلّب تقديم النفس.

فالإنسان لم يخلق في هذه الدنيا لتكون حياته محدودة بمدة معينة يموت بعدها فدائياً بطلاً وتنتهي الأمور إلى الفناء، وإنما خلق ليبقى حياً خالداً، وما الحياة الدنيا إلا قنطرة يعبر من خلالها الإنسان إلى دار الخلود. فإما أن تكون جحيماً أو تكون نعيماً. فعن رسول الله محمد ﷺ أنه قال: «خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار»[٢].

فهذه النقلة النوعية من دار إلى دار تكون أروع وأجمل، عندما يتوّجها الإنسان بالشهادة في سبيل الله، الشهادة التي خطها المسلمون الأوائل بدمائهم، وتأثرت بثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عندما واجه الظلم والكفر بأروع مشاهد البطولة والفداء التي كان يسطرها المجاهدون معه حتى أضحت تلك الثورة مثالاً يحتذى، حيث تعتبر الشهادة في عصرنا الحاضر امتداداً لشهادة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن بأساليب جديدة، وفن جديد استعمله المسلمون للدفاع عن أنفسهم وأوطانهم، وتبنّاه الفقهاء وأئمة المسلمين على امتداد الأمة، حتى باتت الأساليب المتطورة في الدفاع عن الإسلام جائزة وواجبة في أحيانٍ كثيرة.

---

(١) البغدادي قاسم مكي، الشهادة تأصيل لا استئصال، مرجع مذكور، ج١، ص٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٠.

إن أي شعب يُعتدى عليه لا بد له من المواجهة لدفع الاعتداء عنه، فإن لم يفعل يعتبر بنظر العرف والقانون والشرع مقصرّاً. وكل حركة جهادية تسعى لقتال العدو بالوسائل المتاحة، وكل العمليات الاستشهادية تعتبر سلاحاً فتاكاً تلحق الهزيمة بالعدو، وقد استعملت المقاومة الإسلامية في لبنان هذا السلاح ضد اليهود بغطاء شرعي من الإمام الخميني قدس سره.

وقد أجمع الفقهاء على وجوب قتال العدو من حيث المبدأ، واعتبروا الإنسان الذي يقتل عند قيامه بقتال العدو شهيداً، إلا أنه حصل خلاف حول مسألة «العمليات الاستشهادية»! مرد ذلك عدم وجود تصريح مباشر يبين هذه المشروعية أو عدمها، وإلا ما كان للخلاف أن يقع.

وانقسمت الآراء بين مؤيد وداعم، وبين منتقد ومعارض ومحايد، وجلهم يرجع بمواقفه إلى مصادر التشريع (القرآن، والحديث الشريف) وإن معظم الذين اعترضوا وأدانوا هذا السلوك انطلقوا من حسابات ومواقف أملتها عليهم مواقفهم وعلاقاتهم بالسلطة؛ يقول التكروري في هذا المجال: «إنه قد صدرت فتاوى تحرّم العمليات الاستشهادية، من أشخاص تعينوا في المواقع القيادية والمرجعية بقرارات سياسية لا بالكفاءة، فسقط أصحابها بفتاواهم الباطلة أمام الشعوب المسلمة»[١].

---

(١) تكروري، نواف هايل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، ب ط، دمشق، مكتبة الأسد، ١٩٩٧م، ص١٥.

أما على مستوى العلماء الذين أيدوا هذه العمليات بدون شروط، وبعضهم تحفظ على بعض المسائل، كالنكاية بالعدو وإلحاق الضرر به مقابل نفس المؤمن، فقد دار النقاش حول ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: اعتمد على مضامين النصوص لشرعنة المسألة، فوجد أصحابه بعض الفتاوى التي تسمح للمرء بدخول المعركة والثبات فيها، رغم أنه لا يعلم ما إذا كان سيقتل أو سينجو، واتخذوا التاريخ الإسلامي مثالاً، ككربلاء وتضحية الإمام الحسين عليه السلام، وكتضحية الإمام علي عليه السلام افتداءً بنفسه أثناء نومه في فراش النبي صلى الله عليه وآله كي ينقذه من كيد الأعداء عندما بحثوا عنه محاولين اغتياله، واتخذوا ذلك دليلاً على شرعية الاستشهاد.

الاتجاه الثاني: نظر اصحاب هذا الاتجاه إلى الأهداف المراد تحقيقها، من خلال العمليات المذكورة، وشرّعوا الفعل الاستشهادي.

الاتجاه الثالث: انطلق أصحابه من خلال الآيات والروايات الواردة في الجهاد والقتال في سبيل الله، وشرّعوا العمل الاستشهادي من هذا المنطلق.

وهنا أقول إن الاتجاهين الأول والثاني لا يكفيان لإعطاء المشروعية، إذ إن التشبيه وقوة الهدف لا يكفيان دائماً لإثبات مشروعية ما. وقد رجّح بعض العلماء الاتجاه الثالث واعتبروه الأقوى[1].

---

(١) وهبي، مالك، العمليات الاستشهادية مشروعة وبلا حدود، أم مشروطة بقيود، مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت، الوحدة الإسلامية للإعلام والتوثيق، ت ١، ٢٠٠١، ع صفر، ص٧٢.

وإذا أجريت تفنيداً سريعاً للاتجاهات الثلاثة، أستطيع القول: إنه قد يصل المرء إلى مشروعية العمليات الاستشهادية، وإذا استؤصل وجه المنع يستطاع اثبات المشروعية. ومن وجوه المنع: الإجماع والعقل والنص. واسأل هنا: هل الإجماع والعقل والنص تعارض العمل الاستشهادي؟

وللإجابة على ذلك أقول: إن الإجماع المقصود في هذا المورد هو الإجماع العملي، من خلال ما يظهر من تسالم بين الفقهاء، على أن قتل النفس محرّم، وهنا لم يثبت لدينا إجماع على الإقدام على قتل النفس كيفما كان، كما لم يثبت وجود مثل هذه الشمولية في مرتكزات المسلمين، خاصة وأن الإجماع القولي والعملي هو من الأدلة اللبية التي لا لسان لها، ليتمسك بإطلاقها كما هو معروف في أصول الفقه[١].

وعليه فالإجماع لا يكون دليلاً على إثبات الشمول، إلا إذا كان الشمول نفسه متعلقاً للإجماع. وهذا غير واضح، ولأن العلماء يحرمون الفعل إجمالاً ولا تحديد لدائرة هذا الإجمال، ولأن العمليات الاستشهادية بالنحو الذي تقع فيه لم تكن معهودة من قبل، لاحتياجها إلى امكانيات لم تكن متوفرة. إذاً دليل هذا المنع لا يأتي إلا بنتيجة مجملة وهي غير كافية.

أما مسألة العقل، فكما هو معروف من أن العقل يحكم بالقبح في إحدى حالتين:

---

(١) وهبي، مالك، العمليات الاستشهادية مشروعة وبلا حدود، أم مشروطة بقيود، مجلة الوحدة الإسلامية، مرجع مذكور، ص٧٣.

الأولى: أن يرد منع من الشرع، والثانية: أن لا تكون هناك مصلحة وهدف سيتحقق لأجله بذل النفس. وعلى العكس من ذلك لا يرى العقل أي مشكلة. والشرع أباح وأوجب العمل الاستشهادي، خاصة عندما تكون هناك أهداف كبرى من وراء ذلك، والعقل لا ينظر إلى مسألة الاستشهاد سواء كانت في المعركة أم أقدم الإنسان على قتل نفسه كوسيلة من وسائل القتال، ولو كان عند العقل تمييز في ذلك لكان رفض واقعة كربلاء، وإن عدم رفضه لذلك دليل على أن العقل ينظر إلى مضامين الأمور وليس إلى عناوينها.

أما مسألة رفض المجتمعات العقلائية هذا النمط، فهذا مرفوض لأنه لو كان الرفض على أن هذا النمط يقام به من غير سبب، فذلك مسلم به، أما اذا كان الرفض لهذا النمط مطلقاً ومهما كان هدفه وسببه فذلك من غير دليل. وتوجد بعض المجتمعات العقلائية التي تقّر بالموت الرحيم. واختلف العقلاء في ذلك وردوه إلى الشرع[١].

إذ كيف يعترفون بالموت الرحيم، وأحياناً بالانتحار، ولا يقّرون بالاستشهاد.

أما مسألة النص، فإن الآيات التي تنهى عن قتل النفس بغير حق، وتدعو إلى عدم إلقائها في التهلكة هي آيات لا يقصد من خلالها الاستشهاد أو الموت، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي

---

(١) وهبي، مالك، العمليات الاستشهادية مشروعة وبلا حدود، أم مشروطة بقيود، مجلة الوحدة الإسلامية، مرجع مذكور ص٧٣.

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[١]. والآيـة: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٢]. فالجدال حول قتل النفس بطريقة الاستشهاد، هل هو بحق أو بغير حق؟ لا ينقطع فيه الاستدلال. والحق لا يثبت موضوعه حسب ما هو مصطلح عليه في علم أصول الفقه[٣]. والآية الثانية أريد بها النهي عن كل ما يوجب الهلاك، من إفراط وتفريط، كما أن البخل والإمساك عن إنفاق المال عند القتال يوجب بطلان القوة وذهاب القدرة[٤]. ولا تعتبر التهلكة هنا بمعنى الموت.

أما مسألة الروايات، والتي يتحدث بعضها عن نهي الإنسان عن قتل نفسه متعمداً، فلا شك في انها لا تشير إلى العمل الاستشهادي، وإلا فكيف نفسر عملية إنقاذ النبي محمد ﷺ من قبل الإمام علي عليه السلام. وكيف نفهم الآيات والروايات التي تحبذ الجهاد وقتال الكافرين والظالمين والمعتدين.

من كل ما تقدم يتضح أنّ هناك فرقاً بين من يقدم على الجهاد في سبيل الله، وهو يظن أنه سيستشهد، وقد يقع الاستشهاد وقد لا يقع، وبين من يقدم على عملية استشهادية يكون الاحتمال الأكبر فيها للاستشهاد، إلا إذا اعترضه شيء ما أو لم يوفقه الله لذلك. هذا الفرق يجعلني أفصل في عرضي للآراء الشرعية بين الموضوعين، حيث

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٥.
(٣) وهبي، مالك، المصدر السابق.
(٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور ج٢، ص٦٤.

سأستعرض آراء الأديان في موضوع الشهادة في سبيل الله في المعركة، ثم أورد آراء الفقهاء والعلماء في الإسلام حول العمليات الاستشهادية.

آراء المذاهب الدينية في الاستشهاد:

١ ـ **المذهب الجعفري**[١]: يعتبر أن الشهيد هو من قتل بين يدي الإمام أو نائبه الخاص وغيره ممن قد ينيبه ويلحق به كل من يقتل في حفظ بيضة الإسلام في زمن غيبة الإمام[٢].

٢ ـ **المذهب الشافعي**[٣]: يصرح: أن الشهيد في سبيل الله هو من قتل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر[٤].

٣ ـ **المذهب الحنفي**[٥]: يقول الدكتور عجيل النشمي: إنه قد نص المذهب الحنفي على جواز العمليات، فقد قال الجصاص: لو أن رجلاً حمل على ألف رجل، وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمح بنجاة أو نكاية[٦].

---

(١) ويقال مذهب الشيعة الاثني عشرية وقد نسب المذهب للإمام جعفر الصادق وهو الإمام السادس من ائمة أهل البيت عليهم السلام نسبة إلى أن الإمام أسس أكبر مدرسة فكرية في عصره فتلمذ على يديه كبار العلماء من الشيعة وغيرهم انظر: هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ط٣، بيروت، دار القلم، ١٩٨١م، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) سعدي أبوحبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط٢، سوريا، دار الفكر، ١٤٠٨هـ، ص٢١٤.

(٣) سمي كذلك نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي.

(٤) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ب.ت، ج١، ص٣٣.

(٥) نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي. أحد الأئمة الأربعة عند العامة تتلمذ على يد الإمام الصادق عليه السلام.

(٦) حلاق، عبد الله، على عتبة الحل الإسلامي، مجلة الوحدة الإسلامية، مرجع مذكور، ص٨٤.

والشهيد هو كل مكلف مسلم طاهر قتل ظلماً، ومن قتل مدافعاً عن نفس أو مال، أو في بلد أو في قرية ظلماً[١].

٤ ـ **المذهب المالكي**[٢]: «يعتبر أن الشهيد هو من قتل في قتال الحربيين فقط، ومن قتل ببلد الإسلام من جراء غزو الحربيين المسلمين وهو يقاتل، أو كان نائماً، أو داسته الخيل وسقط عن شاهق وهو يقاتل»[٣].

٥ ـ **المذهب الحنبلي**[٤]: يعتبر أن الشهيد هو الذي يموت في المعركة مع الكفار، رجلاً كان أو امرأة، بالغاً وغير بالغ وسواء قتله الكفار أو عاد عليه سيفه[٥].

٦ ـ **الشهادة في المسيحية**: يرى القديس بوليكارب: ان كل قضية إنسانية لها متعصبوها، الذين يرتضون الموت من أجل انتصارها، لكن ليس بانتصار قضيتهم يفكر الشهداء، بمعنى القضية السياسية أو الفلسفية، بل الذين يتوقون إليه هو أعظم من نزاعات هذا العالم، إنهم يحاربون من أجل ملكوت الله.

فالشهادة في قاموس لاروس تعني: تحمل الموت في سبيل

---

(١) سعدي أبوحبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، مرجع مذكور، ص٢٠٣.

(٢) سمي كذلك نسبة إلى مالك بن أنس، أحد أئمة المذاهب الأربعة عند العامة، وأحد فقهاء المدينة المنورة.

(٣) الدردير، أحمد، الشرح الكبير، ب ط، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ب.ت، ج١، ص٤٢٥.

(٤) سمي كذلك نسبة إلى أحمد بن محمد بن حنبل.

(٥) القاموس الفقهي، لغة واصطلاحاً، ط٢، سورية، دار الفكر، ١٤٠٨ هـ، ص٢٠٤.

العقيدة، والمسيحيون الأوائل يطلقون لفظة شهيد على كل من تحمل العذاب في بدنه مدافعاً عن عقيدته[١].

ولولا بعض التفريعات في النظرة المسيحية إلى الشهيد والشهادة، كنظرتهم إلى أن الشهيد هو الذي يتعذب ليتكلم، وأن الشهادة هي أفضل الطرق للاتحاد بالمسيح، لكانت كما هي منقولة في كتب كبار المسيحيين لا تختلف في شيء مع النظرة الإسلامية[٢].

أما فيما يخص موضوع العمليات الاستشهادية والآراء الفقهية والعلمائية، فأذكر بعض الآراء التي تمثل شرائح الأمة:

يقول السيّد علي الخامنئي، وتأكيداً لما قاله الإمام الخميني: العمل الاستشهادي من أعلى درجات الشهادة والتضحية في سبيل الدين، وأول من صرح بجوازها هو الإمام الخميني قدس سره ولا فرق بين الذكر والأنثى، ويتصوّر الوجوب إذا توقف الدفاع على ذلك.

ويقول الشيخ محمد يزدي: إن معظم العلماء، من الشيعة والسنة، متفقون، وقد أصدروا فتاوى صادق عليها كبار العلماء، بأن العمليات الاستشهادية عمليات محقة، ويسمح بها الإسلام.

وكذلك اعتبر الشيخ أحمد كفتارو: المفتي العام في سوريا أصحاب العمليات الاستشهادية من الشهداء الذين وعدهم الله بالجنة على أن تكون هذه العمليات منضبطة بقواعد الجهاد في الإسلام، ومنها: ان

---

(١) البغدادي، قاسم مكي، الشهادة تأصيل لا استئصال، مرجع مذكور، ج٢، ص١١٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٠.

يكون مقصدها الدفاع عن الأمة الإسلامية، وأن تكون موجّهة ضد الظلمة المحاربين ومن يساندهم من المجتمع الصهيوني، وأن هذا النمط الجهادي الفريد أعظم درس للعالم، عن المظالم التي ترتكب بحق الشعب الفلسطيني المجاهد.

كما ويعتبر الشيخ فتح الله القاضي: ان العمليات الاستشهادية مشروعة، وهي غير الانتحار ومناقضة له، فالانتحار جبن ونكوص، وهذه العمليات هجوم ونكاية بالعدو، ومظهر قوة للمسلمين، ورعب للأعداء. وشتان ما بين الشيء ونقيضه والاستشهاد قمة في الشجاعة[١].

ويعتبر الشيخ البوطي: أن هذه العمليات مشروعة، إذا كان قصد القائم بها النكاية بالأعداء وليس إزهاق روحه (نفس القائم بها) فيجب عليه أن ينوي النكاية بالأعداء لا الموت[٢].

ويعتبر السيد محمد حسين فضل الله: أن العمليات الاستشهادية مشروعة، باعتبارها وجهاً من وجوه الجهاد لإخراج المحتل.

ويرى الشيخ فيصل المولوي: أن هذه العمليات ليست انتحاراً، وليست إلقاء للنفس في التهلكة، وإنما هي من أجل القيام بواجب شرعي هو الجهاد في سبيل الله، ومن أجل النكاية بالعدو.

كذلك رد الفقهاء على القائلين بأن العمل الاستشهادي حرام، فقد

---

(١) مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، تجمع العلماء المسلمين في لبنان، ط١، بيروت، دار الوحدة الإسلامية، ٢٠٠٢م، ص٢٧ ـ ٣٢.

(٢) تكروري، نواف هايل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع مذكور، ص١٠٢.

قال شيخ الأزهر محمد سعيد طنطاوي: إن على القائلين بذلك أن يسألوا عن الدافع إلى هكذا عمليات، ولماذا يضطر شبان لأن يضحوا بأنفسهم.. إن تفجير المسلم نفسه في الأعداء المقاتلين هو دفاع عن النفس، ونوع من الشهادة.

واعتبر الشيخ يوسف القرضاوي: العمليات الاستشهادية من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله[١].

وهنا أستحضر نداء السيّد عبد الحسين شرف الدين قدس سره وهو يشجع العرب والمسلمين على الجهاد والشهادة بقوله: «أيها العرب والمسلمون...لنكن نحن في فلسطين مكان أبي الشهداء من قضيته، ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود.. وموعدنا فلسطين، فيها نموت وعليها نحيا.. والسلام عليكم يوم تموتون شهداء ويوم تبعثون سعداء»[٢].

وأتلمس روعة الشهادة في سبيل الله ودقة مفهومها، عندما أتصفح

---

(١) تكروري، نواف هايل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، مرجع مذكور، ص: ٣٦ـ ٣٩. ومن العلماء الذين أيدوا ودعموا وشرعوا العمليات الاستشهادية أذكر: علي محمد الصوا، أحمد عبد الكريم نجيب، تاج الدين الهلالي، أحمد عبد العزيز الحداد، ناصر مكارم الشيرازي، حسين نوري الهمداني، محمد فاضل النكراني، عبد المالك غلام رسول، نفيع الله عشيروف، عبد الله بن سليمان بن منيع، ناصر علوان، محمد الفاتح الكتابي، وهبي الزحيلي، أحمد علي الإمام، نزار عبد القادر ريان، علي القرة داغي، حامد العلي، نصر فريد واصل، علي إسماعيل، عبد المنعم عاشور، عبد الوهاب الديلمي، محمد رأفت عثمان، محمد إبراهيم الفيومي، محمد رشدي. لمزيد من التفاصيل والاطلاع على الآراء، مراجعة المصدر المذكور.

(٢) فضل الله، هادي، رائد الفكر الإصلاحي السيّد عبد الحسين شرف الدين، ب.ط، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، سنة١٩٨٧م، ص١٦٢.

معانيها ومفرداتها في فكر الإمام الخميني ﷺ، حيث اعتبرها أكبر من أن تصفها الألفاظ، فهؤلاء الشهداء نالوا لذة الأنس في مجاورة الأنبياء العظام، وبلغوا نعمة الله التي هي الرضوان الأكبر، واتصلوا بالمعشوق، فالاستشهاد مفخرة عظيمة لا يمكن لمن أصابته أن يفتن في قبره، بل أكثر من ذلك يتمنى أن يرجع ثم يقتل عشرات المرات، لما يرى من الكرامة، فإنه في ضيافة المقام المقدس الربوبي، في سعادة عظيمة لا يوفق لها إلا الخواص من العباد، وهي هدية من الله تعالى للذي يربي ويدرب نفسه على السلوك المستقيم، وتكون نيته صادقة، ولا يمكن أن توصف هذه الشهادة في الأشعار أو المعاني المادية، فلا حل لهذا اللغز إلا بالعشق، فلولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، يتمنون الانفلات من أغلال الطبيعة ليصلوا إلى فضاء جوار المعشوق، إنهم شهود صدق، وأصحاب ارادة ثابتة سجلوا بدمائهم أسمى مراتب العبودية والانقياد إلى المقام المقدس للحق جلَّ وعلا، وجسّدوا في ميدان الجهاد الأكبر مع النفس، والجهاد الأصغر مع العدو، حقيقة انتصار الدم على السيف، وغلبة إرادة الإنسان على وساوس الشيطان[١].

٢ ـ الاستشهاد في الخطاب الفلسفي:

الموت هو الفكرة الحيوية التي شغلت منذ القدم عقول البشر، من مفكرين وفلاسفة، ملحدين كانوا أم متدينين، وقد أخذت فكرة الموت

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: الشهادة في فكر الإمام الخميني(قده)، مرجع مذكور.

تتبلور وتتضح كلما نضج العقل البشري، مع اعتقاد الجميع بأن كل نفس ستلقى هذا المصير.

اختلف التفكير حول طبيعة الموت وماهيته، ولماذا يموت الإنسان، وماذا بعد الموت، وأضحى هناك شعور بالخوف من الموت عند البعض، فيما ترى البعض يندفعون نحو الموت بطرق مختلفة. فمنهم من يُقدم على قتل نفسه بسبب اليأس من الحياة، أو الفقر أو الفشل وغيرها من الأسباب، فينتحر ويتخلص من حياته بهذه الطريقة. ومنهم من يُقدم على الدفاع عن دينه وعرضه وماله وأرضه، امتثالاً لأمر الله عز وجل، ولا يخاف ما إذا كان سيُقتل جراء ذلك أم لا، وهذا هو فعل الاستشهاد.

وأخذ الفلاسفة عبر التاريخ، يبحثون مسألة الموت كلٌّ بحسب اعتقاده. وقد وجدت أنَّ هناك مسألة حتمية عندهم، هي أنَّ الموت أمر مسلَّم به، وهو سيقع على جميع المخلوقات.

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحتمية، حيث يقول الباري عزوجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾[١].

فهذه الآية تتضمن الوعد للمصدق والوعيد للمكذب، وقد استدل بعضهم بالآية على ثبوت البرزخ، لدلالتها على سبق بعض الإعطاء وان الإعطاء في يوم القيامة هو الإعطاء الكامل[٢].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج٤، ص٨٣.

وحين أستعرض آراء الفلاسفة حول مسألة الموت، ابتداءً من الفلاسفة السابقين على سقراط، مروراً به وبأفلاطون وأرسطو والأبيقورية، والرواقية، والنظرة إلى الموت في العهدين القديم والحديث، ومسألة الموت في الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيغل وشوبينهاور ونيتشه، مروراً بالفلسفة المعاصرة وآراء الفلاسفة الوجوديين، فإنني أرى أن الفلاسفة اهتموا بمسألة الموت كثيراً، وسعوا وراء إجابة حوله، إلا أنهم اختلفوا في النظرة إليه. فمنهم من اعتبره ضرورياً لا بد منه، ومنهم من لم يعنِ له الموت شيئاً، ومنهم من فضله على الحياة، وبعضهم اعتبره عدواً لدوداً للإنسان. إلا أنني أرى أنهم جميعاً يُقرّون بأن الموت سيكون مصير جميع البشر، فالبعض يعتقد بفناء الجسد دون النفس التي يقر بخلودها، ويوجد من يعتقد بفناء الجسد والنفس معاً.

فأخذ كل فيلسوف يفند المسألة، ويضع الحكمة والقواعد من أجل عدم الخوف من الموت ومواجهته، وكان من بين الفلاسفة من هو مؤمن بالله، فدعا الناس إلى أن الموت يأتي بعد الحياة، ليحاسب الإنسان على أفعاله، وينال الجزاء الأخروي.

وتجد بين الفلاسفة كذلك من هو ملحد يسعى لإقناع الناس بعبثية الموت، وأن هذه الدنيا هي الملاذ الوحيد للإنسان، وأن ما ينتظره هو الفناء الابدي.

أمام هذا الواقع الذي تلّمسته، من خلال قراءاتي لأفكار الفلاسفة حول الموت، والانتحار كما يسميه بعضهم أحياناً، سأحاول أن أثبت ما

إذا كان هناك مجال للمقارنة أو المفارقة والتباين، بين الانتحار والاستشهاد في سبيل الله.

الفلاسفة الأوائل كما ذكرت، اهتموا بمسألة الموت، وسعوا وراء إجابة له، حيث يتضح ذلك إذا ما دققنا النظر في الحقيقة الغربية القائلة بأن: أول نص فلسفي أصلي تناول مسألة الفناء للاشياء هو شذرة انكسماندر الشهيرة (٦١٠ ـ ٥٤٧ق.م) حيث جاء في ترجمتها المعترف بها: «ان الاشياء تفنى وتنحل إلى الأصول التي نشأت عنها، وفقاً لما جرى به القضاء».

وربما أثر مشهد الزوال والفناء الذي يلحق بالاشياء في هيرقليطس (٥٣٣ ـ ٤٧٥) أكثر مما أثر في انكسماندر، حيث يبدو اهتمامه بموت البشر واضحاً في كثير من الشذرات التي تعالج الموضوع[1].

أما سقراط فيعتبر الموت نوماً بلا أحلام، أو هجرة الروح إلى عالم آخر، ويؤكد أن خشية الموت لا أساس لها في أي من الحالتين، وأنه في ظل تأثير هذه الخشية فحسب يبدو الموت الشر الاعظم.

وفي هاتين الحالتين سيغدو الموت كسباً بلا نقاش، وأنه مرحلة إلى موضع آخر، وقد طبق سقراط نظريته هذه بعدم الخوف من الموت، وأثبت لأتباعه وغيرهم بأنه لا يهاب الموت، وذلك بعد أن حكم عليه بالإعدام، وكان باستطاعته الهرب. وقد يفسر موقفه هذا بأنه يعتقد بمبدأ

(١) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، عالم المعرفة، ترجمة كامل حسين، الكويت، المجلس الاعلى للثقافة، سنة١٩٨٤، عدد ٧٦، ص٣٨ ـ ٣٩.

الخلود بعد الموت، أو قد يفسر كذلك بالنسبة إلى مرحلة عمره، خاصة وانه كان في السبعين من العمر، حينما صدر عليه حكم الإعدام.

وقد قال في محاورة أفريطون: «إن الإنسان إذا ما وصل إلى مثل سِنّي فإن عليه ألا يجزع من اقتراب الموت»(١).

وأجد أن فكرة سقراط هذه تشير إلى كثير من العلم والمعرفة عند الرجل، ولأن الجهل يعني الموت أحياناً، فان الفيلسوف على عكس الجاهل يعي مسألة الموت وأهميته، لذا هو في حياة دائمة.

ولا أستطيع القول: إن سقراط في موقفه هذا أقدم على الانتحار، لأنه أراد أن يثبت موقفاً اقتنع به، فاستجاب لحكم الاعدام بدون معارضة، ولم يتراجع عن مواقفه.

فيما يعتقد أفلاطون أن الموت هو انعتاق النفس عن الجسم، وبرهن أن الموت عملية لا تؤثر إلا في الجهاز العضوي، وأن النفس لا تموت ، ولكنه لم يثبت أن النفس تواصل الحياة بعد أن يموت الجسد، إلا أنه من الممكن استردادها، ولم يبرهن على ذلك، وإنما استند فقط على الإيمان، وذلك شأن القول بأن: النفس لا تفنى. فما قدمه افلاطون في هذا الموضوع هو الامل في الخلود، وليس اليقين به. واعتبر ان الجسد عائق امام الوصول إلى الحقيقة والمعرفة، بسبب الحواس المادية، وان بلوغ المعرفة الحقة يكون ممكناً فحسب، حينما تتحرر النفس من أغلال سجن الجسم، وهذا هو الموت عند أفلاطون(٢).

---

(١) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص ٥.
(٢) المصدر نفسه. ص:٥٥.

أما أرسطو الذي هو تلميذ لأفلاطون، فقد سعى للإجابة عن مسألة الموت في عالم الطبيعة، واعتبر ان العقل هو ما يميّز الإنسان عن الحيوان، وانه العنصر الالهي، وهو وحده الذي لا يفنى عند الموت.

أما أبيقور، فإنه يعتقد أن النفس هي تلاقٍ عرضيّ بين الذرات غير المرئية التي توجد في الجسم، وأنها تتكون مع الجسد وتفنى بفنائه، ويعتبر أن الخوف من الموت يمكن تخطيه، لأنه لا يقوم على أساس.

فالموت لا يعني لنا شيئاً، لأنه طالما كنا موجودين فإنه غير موجود، وعندما يحل فإننا لا نكون موجودين.

أما الموت عند الرواقيين[١]، فإنهم يعتبرون أن النفس البشرية ذات طبيعة مادية تنشأ مع الجسد، وأنها غير قابلة للفناء تماماً، ولكنها تستوعب من جديد في الروح التي صدرت عنها، وذلك في نهاية العالم.

وقد احتل الموت مرتبة هامة في أفكار العبرانيين القدامى، حيث ورد في الآية الثانية من الإصحاح الثاني عشر لسفر دانيال: «كثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»[٢].

---

(١) الرواقية: مذهب فلسفي في العصور القديمة. أكثر تطوراً من الابيقورية، على الرغم من أن المذهبين قد نشآ في وقت واحد، نقلاً عن الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص٧١.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٨.

وقد وجد في اليهودية فرقة الفريسيين التي تؤمن بالبعث، وفرقة الصديقين التي تنكره[١].

وفي العهد الجديد، تم التغلب على فكرة الخوف من الموت الذي كان يعتبر أعظم الأعداء، على حد رأي القديس بولس، إذ يعتبر أن الأجساد الميتة تبعث من جديد، وقد كان ذلك محل سخرية من الفلاسفة والوثنيين.

هذا ويرجح جلبرت موراي أن القديس بولس يقول ذلك، لأن هذا هو الشكل الوحيد الذي يمكن في إطاره أن يفهم سكان القرى والمدن الصناعية الكثيرة في آسيا الصغرى ـ البالغي الجهل ـ مبدأ الخلود[٢].

وأن اللاهوتيين المسيحيين يعطون معنى ثلاثياً للموت:

فالأول: هو الموت الطبيعي الذي هو نهاية الحياة العضوية.

والثاني هو: الموت الروحي ويعبر عن وضع الإنسانية خارج الإيمان المسيحي.

والثالث الصوفي: وهو المشاركة في الحياة الإلهية التي تجري بالفعل، خلال هذا الوجود الأرضي، على الرغم من الموت الطبيعي؛

---

(١) الفريسيون: فرقة يهودية والكلمة تعني حرفياً (المنعزلون والمنشقون) وهم يؤمنون بالبعث وقيام الاموات وان التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الازل. اما الصديقون هم فرقة أخرى من اليهود، والتسمية نسبة إلى صادوق الكاهن الاعظم في عهد سليمان، وهم ينكرون البعث والحياة الاخرة والحساب، ويرون ان جزاء الإنسان يتم في الدنيا، وحتى التوراة لا يرون انها مقدسة قدسية مطلقة. نقلاً عن الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٢.

والبعث هو مرحلة أخرى في هذا الموت الصوفي الذي هو في الوقت ذاته حياة خالدة[١].

وقد خاض رواد الفلسفة الحديثة ـ أمثال ديكارت وهيغل وشوبنهاور ونيتشه ـ في مسألة الموت، وكان لكل منهم آراؤه. فقد اعتبر ديكارت أن الهدف الذي سعى إليه في حياته هو قهر الموت؛ وأخذ يسعى لإيجاد سبيل لكي لا يخشى الموت، وذلك لاقتناعه بأن النفس تبقى بعد الجسم، وهذا الاعتقاد منشؤه ليس تعاليم الدين، وإنما مرده إلى أسباب طبيعية بالغة الوضوح.

اما هيغل فتصدى لمسألة معاناة الفرد ويأسه إزاء فنائه، فقد كان يعي الموت على نحو مؤلم، ويعتبره القمة التي ينبغي تجاوزها، حيث اعتبر أن الفيلسوف يجب أن يتحلى بالشجاعة إزاء الموت.

فقد كتب هيغل في مقدمة كتابه (ظاهريات الروح): «ليست حياة الروح هي تلك التي تنأى بنفسها عن الموت وتتجنب الدمار، وإنما هي الحياة التي تتحمل الموت وتتقبله في غير جزع»[٢].

وينقل عن هيغل اعتقاده بأن الإنسان ليس فانياً فحسب، بل إنه هو تجسيد للموت، إنه هو موته الخاص. وفي مقابل الموت الطبيعي، يصبح الموت الذي يجسده الإنسان ذاته موتاً عنيفاً واعياً بذاته وتطوعياً، وان موت الإنسان وبالتالي الوجود الإنساني الحق هو بمعنى ما انتحار[٣].

---

(١) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص٩٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٤.

ومن الفلاسفة الذين يرون أن الموت هو العبقرية الحقة الملهمة للفلسفة شوبنهاور، الذي يعتبر أنه بدون الموت لا يمكن للبشر أن يتفلسفوا، ويتساءل: لماذا الخوف من الموت، رغم معرفة الإنسان بأن الحياة عوز وتعاسة؟

ليس الألم النابع من الموت هو الذي يجعلنا نخافه، لأنه ينتمي إلى المرض أو الشيخوخة، وكلاهما ينتميان إلى الحياة. إنَّ ما يجزع منه الإنسان هو نهاية الفرد الذي يُظهر الموت فيها ذاته، ولما كان الفرد هو تموضعٌ خاصٌ لإرادة الحياة ذاتها، فإن طبيعته بأسرها تكافح ضد الموت. إذاً ففي الإرادة يكمن الخوف من الموت، ولكن ليس بالانتحار.

ويعتبر شوبنهاور أن الانتحار لا يفضي إلى أي مكان، لأن إرادة الحياة الهائلة القوية لا تتوقف، إن الانتحار يفني الفرد فحسب لا النوع، وبالتالي فإن الإفناء الإرادي للوجود الظاهر للفرد هو عمل احمق وعابث، ذلك أن الشيء في ذاته يظل دونما تأثر، تماماً كما يظل قوس قزح على حاله، أياً كانت السرعة التي تتغير بها قطرات المطر التي تسانده[١].

أما الفيلسوف الألماني نيتشه، فهو يعتبر أن الحياة معاناة، وأن الرب قد مات، وعليه يصبح كل شيء غير حقيقي وسيستباح. وقد جلب هذا الأمر لنيتشه عذاب اليأس العدمي، وتملكته فكرة الإنسان

---

(١) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص١٨٤.

الأعلى الذي يقهر طبيعته الحيوانية وينظم نفسه، ليستطيع تحمل الحياة وتقبلها بألمها ومعاناتها، ويحياها على نحو مبدع. وهكذا فإن الإنسان الاعلى ليس مثلاً أعلى فحسب، وإنما هو ضرورة، فهو وحده الذي يمكنه تحمل الحقيقة، وإن نظرية الإنسان الأعلى هذه هي الاساس لمبدأ العود الأبدي، فالإنسان الذي قهر ذاته هو وحده الذي يمكن أن يرغب في العود الأبدي لكل ما هو كائن حسب رأي نيتشه، بل إنّ مبدأ العود الأبدي أصبح الزاوية في فلسفته حيث يقول: «كل شيء يمضي، كل شيء يعود، وتدور إلى الأبد عجلة الوجود. كل شيء يموت، كل شيء يتفتح من جديد، وخالداً يمضي زمن الوجود. الأشياء كلها تعود في خلود، ونحن أنفسنا كنا بالفعل مرات لا حصر لها، ومعنا كل الأشياء»[١].

من الواضح أن موقف نيتشه إزاء الموت كان مزدوج الدلالة، فقد بدا الموت له في البداية تحرراً من وجود لا يطاق، وحاول الانتحار ثلاث مرات، حيث كان يعتقد أن كل من يصل إلى الكمال وكل من يبلغ النضج يرغب في الموت، ومن ناحية أخرى بدا له الموت غالباً كعدو. ومن هذا يتضح أن نظرية العود الأبدي كانت عند نيتشه دفاعاً في مواجهة الموت والفناء، وعقد العزم على حب المصير.

وفي الفلسفة الحديثة احتلت فكرة الموت مكانة هامة في الفلسفة الوجودية، التي تعد (فلسفة الحياة) أحد جذورها، وقد أشار كيركيجور

(١) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، مرجع مذكور، ص٢١٦.

(١٨١٣ ـ ١٨٥٥) أن الإنسان يعرف أن كل البشر فانون، وهذه حقيقة مجردة عن نظرية الإنسان بعامة، واما ما يهم على الصعيد الفلسفي فهو ما يتعلق به هو نفسه الفرد المتعين. فالوجودية شعور بأنه يوجد بذاته المفردة الحقيقية المستقلة عن كل الآخرين، ويسعى لإثبات وجوده كحقيقة قائمة بالفعل. فالفردية مبدأ الوجود، إذ إن الموجود الواقعي هو الموجود الفرد[١].

ويفهم الفلاسفة الوجوديون من الوجود الإنساني معنى أوسع نطاقاً من المعنى التقليدي، وهو أن شيئاً ما يوجد ويحمل اسماء مختلفة، فهو الوجود الإنساني عند ياسبرز (١٨٨٣ ـ ١٩٦٩م). وهو الوجود المتعين عند هيدغر (١٨٨٩ ـ ١٩٧٦م). وهو الوجود لذاته عند سارتر (١٩٠٥ ـ ١٩٨٠). وهذان الفيلسوفان ياسبرز وهيدغر يعتبران من الفلاسفة الملحدين بالله. فيبدي ياسبرز اهتماماً كبيراً بالموضوع الإنساني، فيطرح موضوع المواقف التي يجب على النفس ان تتخذها، ويقسم هذه المواقف بين الحدية والمطلقة، فيعتبر أنه باستطاعة الإنسان تغيير بعض المواقف، وأما بعض المواقف الاخرى، كالوقوع في الذنب والاحتضار، فلا يمكن أن تتغير. والموت هو النموذج الامثل لهذه المواقف بلا منازع، ولا يمكن أن يعرف المرء أو يعي أمر موته، وإنما ينبغي عليه، لكي يصبح مدركاً له كموقف مطلق، ان يعايشه باعتباره إخفاقاً مطلقاً[٢].

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٣١.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣٩.

ويعتبر ياسبرز أن موضوع الخوف من الموت يقوم على أساس الخطأ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتغلب على القلق من الموت، بإزاء فكرة اللاوجود. ويعترف ياسبرز أن الحياة الأسمى ترغب في الموت، وتنشده بدلاً من ان تخشاه، ويتحدث عن تعلم الموت فيقول: «فإذا كان التفلسف يعني تعلم كيفية الموت، فإن تعلم كيفية الموت ذاك هو بالفعل شرط الحياة الصالحة، فتعلم الحياة وتعلم كيفية الموت هما شيء واحد»[١].

أما هيدغر فيعتبر أن الموت ينتمي إلى الوجود الإنساني، ويحدد عدد كل شمول ممكن للوجود، وأنه من المستحيل أن يعايش الوجود الإنساني هذا التوقف عن الوجود، أو يتفهمه كشيء تتم معايشته، وأن مسألة موت الاخرين لا يمكن ان تكون بديلاً لتلك المعايشة. فكما أن الوجود الإنساني وجود للفرد نفسه على وجه التخصيص، فكذلك حادث الموت. ومن الممكن أن يموت امرؤ من أجل آخر لكن ما من أحد يمكن أن يحرّر آخر من الموت. إن الموت هو اكثر من سلب الوجود الإنساني، لأنه يتخلل هذا الوجود، لأن الوجود الإنساني يموت في الحقيقة طالما هو موجود، فالموت نمط للوجود يحمله الوجود الإنساني على كاهله، بمجرد أن يكون: «ما إن تدب الحياة في الوجود الإنساني، حتى يبلغ من العمر القدر الكافي للموت»[٢].

فالموت عند هيدغر ظاهرة الحياة بالمعنى الواسع للكلمة، فهو

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

يعتبر أن نفوق الحيوانات نهاية، لكن الموت الإنساني هو نمط للوجود يكون فيه الوجود الإنساني نحو موته، وبين الاثنين يضع هيدغر الزوال، فالوجود الإنساني لا ينتهي ببساطة، والأمر الهام في هذا التفسير الوجودي للموت هو أنه سبق علم الأحياء، وهكذا فإن هيدغر لا يقدم رداً على الموت وانما يدعو الإنسان فحسب إلى تفسير حياته، وإلى ان يحيا على نحو أصيل[١].

أما سارتر، فيتناول الوجود في بحث تهيمن عليه مشكلة العدم، وهو يختلف مع هيدغر، وربما لم يكن هذا الخلاف واضحاً في أي موضع، بقدر وضوحه في تحليل كلٌ منهما لتجربة الموت. فسارتر ينظر إلى آراء هيدغر باعتبارها رد فعل إزاء النظرة المعتادة للموت، باعتباره شيئاً غير إنساني. بمعنى أنه خارج عن الوجود الإنساني، وأنه بها هو كذلك يفلت من التجربة الإنسانية.

إن تشبيه الإنسان بأنه محكوم عليه بالإعدام، ويجهل موعد إعدامه، تشبيه غير صحيح تماماً، فالإنسان يبدو بالأحرى كمحكوم عليه بالاعدام، يعد نفسه بشجاعة للنهاية، ويبذل جهداً كبيراً للقيام بعرض طيب على منصة الإعدام. في الظروف العادية لا يمكن التنبؤ بحلول الموت في موعد محدد، وبالتالي انتظاره، بحيث يوجد فارق كيفي يعتد به بين الموت، من خلال الشيخوخة التي تجعل الحياة أمراً محدوداً، ومقيداً، وبين الموت السابق لأوانه الذي يوحي بأن حياة المرء مشروع فاشل. فالموت إحباطٌ محتملٌ.

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٥١.

ويستنتج سارتر[١] أن الموت ليس أبداً ذلك الذي يمنح معنًى للحياة، وإنما هو على العكس من ذلك، إذ هو الذي يحرم الحياة بالفعل من كل مغزى.

ويعتقد سارتر أن انتظار الموت يُدَمر ذاته، حيث إنه سلب لكل انتظار، ويقول: إن مشروعي نحو موت ما هو أمر يمكن فهمه (الانتحار، الاستشهاد، النزعة البطولية) لكن مشروعي نحو موتي، باعتباره امكانية غير مُحددّة، لعدم تحقيقي للمزيد بين الحضور في العالم ليس قابلاً للفهم، حيث إن هذا المشروع سيكون تدميراً لكل المشروعات، وهكذا فإن الموت لا يمكن أن يكون إمكانياتي الصحيحة، بل إنه لن يكون واحدة من إمكانياتي[٢].

وهنا يضع سارتر الانتحار في مكانة الاستشهاد نفسها، إلا أني أرى فروقات كثيرة بينهما، ولا أستطيع المقارنة بينهما إذ يوجد تباين واضح بين من يُقدِم على عملية الموت، يريد ان يخلص نفسه من هذه الحياة لفشله في مشروع معين أو حبه للموت لمجرد الفناء، أو ليأس الخ.. وبين الإنسان الذي يُقدم على الموت في سبيل الله لإحياء كل الأمة، وفي سبيل إحقاق حق معين ولاعتقاده بأن هناك مصيراً وحياة أُخرى تنتظره تنضج بالحيوية والحياة.

ورغم نظرة سارتر هذه إلى الموت، إلا أنه يعتبر أن الموت

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص ٢٧٩.
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٦٢.

يكشف النقاب عن حرية الإنسان، لا بل يحرر الإنسان بالفعل من عبء الوجود؛ وقد ذهب إلى أن الحرية والصراع والاختيار هي من أهم سمات وجود الإنسان[١].

هذا وتعتبر الفلسفات الوجودية ـ بما فيها تعدد الآراء حول مسائل كثيرة ـ ثورة على المعرفة العقلية، فالوجودية تجربة مختلفة عن التجارب الطبيعية والعقلية وغيرها، بل إنها تجربة يتفاعل الإنسان من خلالها بشكل مباشر مع مجتمعه ومحيطه، فيتخذ مواقف محددة يعيشها بكل كيانه الإنساني، إذ إن هذه الفلسفة اهتمت بواقع الإنسان وتجربته الخاصة، بحيث تبدأ من حقيقة الإنسان الواقعي لإثبات الوجود[٢].

ومن الأفكار التي تمتاز بها الفلسفات الوجودية فكرة أن العدم داخل في نسيج الوجود وأن أي فعل للإنسان يواجهه العدم، لذا فإن حركية الإنسان ونشاطه يستحيلان إلى سكون وثبات، كما تستحيل حياة الإنسان موتاً. وهنا لم تعد الأشياء الموجودة في ذاته قابلة للتطور، إذ باتت الموجودات صماء، لقد صار العدم داخلاً في نسيج الوجود دخولاً يُعيق الأفعال ويجمّدها. والحياة وهم وقلق، فالإنسان كائن الموت، كما وصفه هيدغر، وهو الذي يشعر في كل لحظة بالغثيان، كما ذهب سارتر[٣].

وهكذا اختلفت النظرة إلى الموت عند الفلاسفة نظراً لاختلاف

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٥.

فلسفاتهم، وقد لاحظت أن الفلاسفة قليلاً ما تحدثوا عن الموت الاختياري، وإذا تحدثوا عن ذلك وجدتهم يصفونه بالموت السابق لأوانه، ولا يميزون بين من يقتل نفسه كونه قلقاً من هذه الحياة ومتوتراً، وبين من يقدم على الموت لأجل أهداف كبرى تخص أمته، لاعتقاده بأن حياة بعد الموت موجودة، وقد أعدها الله سبحانه وتعالى بحيث تكون جزاءً للمؤمنين وعقاباً للكافرين.

فالفلاسفة الذين يقارنون الانتحار مع الاستشهاد، ويعتبرونه موتاً سابقاً لأوانه، قد أنكروا على الله سبحانه وتعالى مسألة تقدير الحياة والموت لكل إنسان، وأنها لا تخرج عن إرادته سبحانه.

فيقول الباري عز وجل ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[١]

وهذا هو تدبير أمر الخلق بجميع شؤونه وخصوصياته، فوجود الإنسان المحدود، منذ خلقه إلى آخر لحظة في حياته، هو تدبير من الله عز وجل. فالموت حق مقدر، وليس أمراً يقتضيه ويستلزمه وجود الحي، بل إن الله تعالى قدّر له وجوداً ثم موتاً يعقبه. أما ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمعنى مغلوبين. فيعني أن الله ليس مغلوباً في عروض الموت عن الاسباب المقارنة له ، بأن يقبض على الإنسان الحياة ويريد له الدوام، وتسبقه الأسباب وتغلبه فتبطل بالموت الحياة التي كان يريد دوامها[٢].

(١) سورة الواقعة، الآية ٦٠.

(٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج١٩، ص١٣٢.

وكما ألاحظ الموت أمراً مدبّراً من الله تعالى، إلا أن هناك موتاً يقتحم عليك وموتاً تقتحمه وكلا النوعين بأمر الله عز وجل، ولكن الإنسان يحدد خياره في هذه الدنيا ، فإما أن يكون فاعلاً في المجتمع، ويضحي من أجل الأفراد الآخرين ويستعد للتضحية من أجل الأهداف العليا، ونزولاً عند طاعة الباري عز وجل، كما فعل ويفعل أبناء المقاومة الإسلامية في لبنان الذين يستشهدون دفاعاً عن ذلك. وإما أن يختار التقوقع والانهزام النفسي، فيختار قتل نفسه من دون هدف، فيؤدي ذلك إلى العبث في الحياة والفوضى.

فمواقف الفلاسفة من الموت تكاد تقارن بين عملية الموت الواعي الذي أسميه الشهادة في سبيل الله وبين الانتحار الذي ينتج عنه العبث والقلق. وسأوضح المفارقة الموجودة في كلا النوعين في الصفحات اللاحقة.

ثانياً: الموت اختياراً أو انتحاراً، مفارقة وتباين:

اختلفت النظرة عند الفلاسفة عن الموت، فمنهم من رأى أن الموت فيه الراحة والحرية، وانه خلاص النفس من السجن وتحررها من القفص، لذا فالانتحار بموجبه جائز. وقد وضعوا الانتحار والاستشهاد في خانة واحدة، رغم الفروقات الكثيرة بينهما.

ومن الفلاسفة من رأى أن الموت ينهي الإنسان ويفنيه، وهو متناقض مع الحياة التي هي وجود وبقاء، والتي يفضلها الإنسان بأي شكل. بينما ينظر الإسلام إلى الموت والحياة على أنهما من مخلوقات

الله عز وجل، وقد وضع لكل منهما نظاماً دقيقاً تكون فيه الحياة امتحاناً يجتازه الإنسان، ليصل إلى حياة أخرى ويكون البرزخ فاصلاً بينهما، حيث يقول الباري عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١].

والحياة هي كون الشيء، بحيث يشعر ويريد، والموت عدم ذلك، لكنه على ما يظهر من تعاليم القرآن انتقال من نشأة الحياة إلى نشأة أخرى؛ فلا مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياة، ويصح تعلق الخلق به كالعمى من البصر والظلمة من النور[٢].

ان غاية خلق الموت والحياة من قبل الله عز وجل هي الامتحان، حيث يمتاز به من هو أحسن عملاً من الحياة، ليلقى جزاءه بعد الممات. وهذه الحياة الدنيا خلقها الله تعالى كما خلق الموت، ويصفها بأنها لعب ولهو، كما في الآية المباركة: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[٣].

الباري عز وجل يوضح حقيقة الدنيا بأنها مرحلة زائلة وسراب باطل، لا يجلب للإنسان كمالاً نفسياً ولا خيراً حقيقياً، وهذه الخصال الخمس مترتبة، بحسب سني عمر الإنسان ومراحل حياته، فيبدأ أولاً باللعب وهو طفل أو مراهق، ثم إذا بلغ واشتد عظمه تعلق باللهو، وإذا بلغ أشده استقل بالزينة، من الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل

---

(١) سورة الملك الآية ٢.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج٤، ص٨٣.

(٣) سورة الحديد، الآية ٢٠.

العالية، ثم إذا اكتمل أخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب والأولاد، وأن هذه الدنيا في بهجتها ثم زوالها، كمثل المطر أعجب الحراث النبات الحاصل بسببه، ثم إذا به يتحرك إلى غاية ما يمكنه النمو، ثم تراه مصفر اللون ثم يكون هشيماً[١].

وقد اعطى الله سبحانه وتعالى نموذج دورة الخلق والموت والبعث من جديد، ليكون الإنسان على معرفة من أمره، فيتدبر أموره في طاعة الباري، ولا يشرك به شيئاً، حيث قال جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾[٢].

فقد خلق الله سبحانه الإنسان لا حول له ولا قوة، ثم يرزقه ويحييه ثم يميته ثم يبعثه من جديد يوم القيامة. وقد علل الطباطبائي بأن الوجه من ذكر الخلق مع الرزق والإحياء والاماتة، بأن الرزق لا ينفك عن الخلق، بمعنى أن بعض الخلق يسمى بالقياس إلى بعض آخر يديم بقاءه به رزقاً، فالرزق في الحقيقة من الخلق، فالذي يخلق الخلق هو الذي يرزق الرزق[٣].

إذاً هناك نظرة أخرى عن الموت والحياة يرى أصحابها: أن الموت ليس إبادة وفناء، بل انتقال من عالم إلى آخر؛ وعلاقة الإنسان بالعالم كعلاقة الطالب بالمدرسة والفلاح بالمزرعة، الطالب يسعى لأن ينجح،

---

(١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج١٩، ص١٦٤.
(٢) سورة الروم، الآية ٤٠.
(٣) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مرجع مذكور، ج١٦، ص١٩٥.

والمزارع لأن يوفر له عمله وسيلة حياة. وأصحاب هذه النظرة ينظرون بعين الامل والشوق إلى الموت، باعتباره نقلة إلى العالم الآخر، وهذا الأمل يترسخ في نفوسهم فلا يقر لهم قرار[١]. وهؤلاء هم أولياء الله والشهداء، بحيث لا تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عينٍ لولا الآجالُ التي كتبت لهم، كما يرى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا الموت الذي لا يوجد فيه اختيار للإنسان حسبما ورد في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢].

وإنما على الإنسان أن يُهيىء نفسه للموت، وأن يحدد موقفه في الحياة الدنيا، ويختار الطريق التي توصله إلى الله عز وجل.

وبما أن الموت واقع لا محالة على الإنسان، فلماذا لا يكون هذا الموت من النوع الذي يتقرب به الإنسان إلى الله؟ وهناك أنواع من الموت، إذ تارة يكون الموت بسبب الشيخوخة والمرض وتارةً يأتي بسبب الاعتداء بالقتل أو الحوادث، وأحياناً يأتي بسبب الدفاع عن النفس والارض والمقدسات، ويسمى الشهادة في سبيل الله، وهذه مرتبة لا ينالها إلا ذو حظٍ عظيم، لما لها من الكرامة عند الله سبحانه وتعالى، على عكس الإنسان الذي يقتل نفسه عبثاً وجناية بالانتحار الذي هو أحط أنواع القتل[٣].

(١) مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، ط١، ترجمة بقية الله الاعظم، بيروت، الدار الإسلامية، ٢٠٠٠م، ص:٣٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٤.
(٣) مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، مصدر سابق، ص:١٥.

وثمة فروقات كثيرة بين الاستشهاد في سبيل الله والانتحار، فالشهادة ميزة اختص بها الله سبحانه عباده المخلصين، ولها معنى مقدس في النفوس. فالإنسان الذي يضحي في سبيل الله، وإعلاء لكلمته بالدفاع عن أرضه ومقدساته، يكون قد اختار خط التضحية والجهاد، بدافع من الوعي والشوق إلى الله من دون جهل، فيختاره سبحانه وتعالى، ويصطفيه وينتقيه من بين عباده، لأن طريق الجهاد قد اختصه الله لخاصة أوليائه، والإنسان الذي يحمل همَّ الدفاع عن الناس، ويحمل مسؤولية تحرير أرضه من الاعداء، ويكون مؤمناً بالله وبوعده، ويواظب على العبادات بشوق وشغف منتظراً لقاء الله، لا شك في أن هذا الإنسان من خاصة أولياء الله. إذ بالشهادة يستطيع الإنسان التغلب على النزعات الشيطانية الموجودة فيه، ويُجري تحولاً فيها، ومن خلال وهج الشهادة يصبح الإنسان طاقة نورانية تزيد فيه النزعات الربانية. فالشهادة تجمع بين الدنيا والآخرة، وبين القول والعمل، فهي وسيلة شريفة، مع غيرها من الوسائل، للدفاع عن المسلمين، وهي القوة الحقيقية المؤثرة[١].

وللشهادة في الإسلام تاريخ عظيم منذ بداية دعوة رسول الله ﷺ وحين سقوط أول شهيد في الإسلام[٢] بسبب رفضه التخلي عن دعوة النبي. عدا مواقف الصحابة والمخلصين من أتباع الرسالة المحمدية،

(١) البغدادي، قاسم مكي، الشهادة تأصيل لا استئصال، مرجع مذكور، ج٢، ص١٧٢.

(٢) أول شهيدة في الإسلام هي سمية زوجة ياسر وأم عمار، التي قضت هي وزوجها من تعذيب قريش تحت نظر ابنها الذي تعذب معهم، وقد قال بحقهم رسول الله محمد(ص): صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة.

كحجر بن عدي الذي سيق إلى الموت، ولم يترك ولاية الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام ومما أثر في واقع المسلمين المخلصين في عصره، وجعلهم يتعلقون بالخط الرسالي، ودب الذعر في جذور الفساد معاوية وأتباعه. وغير عدي من الشهداء العظام إلى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي أعطى للإسلام، من خلال ثورة عاشوراء من النواحي العقائدية والمعنوية، والإنسانية ومن جميع نواحي الحياة اعطاه زخماً إلى قيام الساعة، حيث خرج يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى قُتل مضرجاً بدمه في صحراء كربلاء، وكان يردد دائماً: القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة. هذه الشهادة العظيمة هي منارة لكل المجاهدين، حيث علمت الأجيال الوقوف أمام الظالمين ومقاومتهم.

إن تاريخ الأمة الحافل بالدماء والمقاومة كان حافزاً للمقاومة الإسلامية، في انطلاقتها وتضحياتها. وإن هذه الدماء التي سقطت حركت في نفوس الناس الوعي والعداء لأعداء الامة، فجميع الناس لمسوا كيف أن شهادة الشيخ راغب حرب حركت فيهم روح العداء للصهاينة، ولمسنا جميعاً كيف أن أشلاء مجاهدينا الاستشهاديين، من (أحمد قصير) إلى آخر استشهادي قدم نفسه فداءً للدين والأمة، لمسنا كيف تحولت هذه الأشلاء إلى محطات تدفع الأمة للمقاومة. ورأينا كيف التف الناس حول المقاومة الإسلامية، حينما سمعوا باستشهاد قائدها السيد عباس الموسوي رحمه الله، إذ وضعوا كل إمكانياتهم في خدمة المقاومة التي ضحت وقرنت القول بالعمل والتي باتت تفخر بشهدائها، حيث جاء على لسان أمينها العام الحالي السيد حسن

نصرالله: نحن نفخر بأولادنا عندما يستشهدون ولا نوفّر أولادنا للمستقبل[١].

إن هذه الشهادة الواعية التي تضج بالحيوية لإحياء سنن الله عز وجل، لا يمكن أن توصف بالانتحار الذي يقدم عليه بعض الناس بشكل عشوائي، لأن معاني الشهادة أسمى وأجل من أن تكون موتاً عبثياً لا فائدة منه ولا طائل، كالانتحار الذي يزعزع المجتمع ويفسده. هذه الشهادة التي استمرت منذ بداية الدعوة، أيقظت الأمة في كل عصر وفي كل جيل، وكانت نبراساً اقتدت به المقاومة الإسلامية في المحن والصعوبات، حيث إن الشهادة ليست قيمة مطلقة بحد ذاتها تسعى إليها المقاومة، ولكن النصر وكيد الأعداء هو الهدف، ولذا تستعمل المقاومة كل الإمكانيات للوصول إليه والشهادة واحدة من تلك الإمكانيات، حين تستدعي الحاجة مجموعة شهداء. وعلى حدّ رأي الشهيدة بنت الهدى، في مناسبة استشهاد أخيها السيد محمد باقر الصدر: «إن يقظة الأمة هذه تحتاج إلى دم كدم الحسين عليه السلام، وحيث لا أحد له موقع كموقع الحسين في الأمة، فيجب أن تقدم مجموعة دماء»[٢].

إن دماء الشهداء التي بذلت ولا تزال في طريق النهضة الكبرى، لإحياء سنن الله عز وجل والدفاع عن الإسلام، هي التي حفظت ثورة

(١) اطلق الامين العام السيد حسن نصرالله هذا القول في مناسبة استشهاد ولده الشهيد هادي مع اثنين من رفاقه، الذين استشهدوا في مواجهة مع الصهاينة في جبل الرفيع في منطقة اقليم التفاح في الجنوب اللبناني.

(٢) البغدادي، قاسم مكي، الشهادة تأصيل لا استئصال، مرجع مذكور، ج١، ص١١٥.

الإسلام وقوّته إلى يومنا هذا. فالشهداء يعتبرون أن استشهادهم هو الذي يؤهلهم للوصول إلى الحياة العُلوية والقُدسية بقرب المعشوق، ونيل الدرجات العظام التي وعدهم بها سبحانه، حيث بذلوا الغالي والنفيس للوصول إلى ذلك. أضف إلى ذلك أن الشهادة ترهب الأعداء، بحيث يشعرون بالوهن أمام عظمة المجاهدين الذين يقتحمون عليهم حصونهم ولا يبالون بالموت. وهذا ما حلّ بهؤلاء الأعداء في لبنان أمام الاستشهاديين أمثال: أسعد برو، وصلاح غندور، وعلي أشمر وغيرهم من الشهداء، فلم تنفع التحصينات التي تحصّنوا بها ولا تكتيكاتهم العسكرية لحمايتهم من الموت وإنزال الخسائر بهم. فهم لا يستطيعون فعل شيء مقابل الشهادة سوى الهزيمة وحدها، وهذا ما حصل بالفعل مقابل عزيمة أبناء المقاومة الإسلامية في لبنان وشهده العالم أجمَع.

بعد هذا الذي ذكرت عن الشهادة وتأثيراتها، على صعيدي الفرد والمجتمع وكيد الاعداء، هل يستطيع أي عاقل أن يقارن الشهادة بالانتحار؟

كلا فالانتحار الذي يكون أحد أسبابه شعور الفرد بأنه منبوذ من مجتمعه، وأن مجتمعه قد لفظه أو وضعه على هامشه، فيؤدي به ذلك إلى قتل نفسه[1]. وهذا لا أستطيع أن أقارنه بالشهيد الذي احتضنه مجتمعه، قبل الشهادة وبعدها. ثم إن الإنسان الذي يُقدم على قتل نفسه كيفما كان، يُقدم على عمل محرم مصيره جهنم، بينما المجاهد يُقدم

(١) الدباغ، فخري، الموت اختياراً، ط١، بيروت، دار الطليعة، سنة١٩٦٨م، ص٤٩.

على عمل يرفع شأن الأمة، امتثالاً لأمر الله وجزاؤه الجنة، وشتان بين هذا وذاك.

الانتحار يطلب لذاته، وللخلاص من الحياة الدنيوية، بينما الشهادة تطلب لهدف النصر وكيد الاعداء والتقرب إلى الله عز وجل. الإنسان المنتحر تندثر ذكراه، بينما المستشهد في سبيل الله تخلد ذكراه في الدنيا والآخرة. الانتحار يُفقد الأمة إمكانياتها وطاقاتها، بينما الاستشهاد يزيد من طاقات الأمة واندفاعها ونهضتها معنوياً وفكرياً وغير ذلك. الانتحار أيضاً يتم بشكل عشوائي وبدون دراسة، بينما الشهادة على عكس ذلك تماماً تتطلب دراسة وتخصصاً.

وأخيراً الانتحار جبن وهوان، بينما الشهادة شجاعة واختيار واصطفاء للإنسان من قِبل الباري عز وجل.

وهكذا أجد أن للشهادة تأثيراً في الفرد والأمة، من جراء الموت الذي يعقبه التأثر والحزن، واستذكار مآثر الفقيد؛ إذ عندما يستشهد الإنسان يُعتبر الشاهد على عدالة القضية، وعلى إزالة الانحراف والباطل في محكمة التاريخ والواقع، فيبقى عنوان شهادته ومضمونها حاضراً في النفوس والعقول. لأن الشهيد رمز للحق يبقى ماثلاً في القلوب، بفعل هذا التأثير الذي يتركه فيحرك نفوس الناس القريبين منه والبعيدين، ويدفعهم إلى معرفة عنوان شهادته وهدفها.

وبفعل التعاطي الرحمي الذي يربط ذاك الإنسان بالشهيد، يندفع من أجل الوقوف مع نهج الشهيد وخطه، لأجل ان يكون وفياً لدمه.

وبهذه القناعة يأتي الناس مندفعين نحو المقاومة، فيأخذ الخط زخماً بشرياً. كما حصل في معظم قرانا، فإضافة إلى عمل المقاومة الذي يقوم به المجاهدون، كانت المرأة تشارك هي الأخرى فتدفع بالزيت المغلي في وجه اليهود، وكان الشيوخ والأطفال بقبضاتهم يقفون أمام الآلات العسكرية، ليرموا الحجارة ويحرقوا الإطارات، ليكون هذا خير معبر عن رفض أهلنا للذّلّة والهوان.

إن خط الشهادة خط أصيل قدسه الشرفاء بدمائهم، وعلموا الأجيال المقبلة كيفية الجهاد والتضحية. وانتشر عبير الشهادة في النفوس، ليبث فيها الروح الثورية والانطلاق نحو الحق، فكانت الشهادة المدرسة التي تغلبت على كل المدارس الوضعية، في مجال ترسيخ العلوم. فالتعليم الحديث كما نعلم يستخدم وسائل الإيضاح السمعية والبصرية، ليكون مثمراً وفعالاً. فما بالك بالشهادة التي يبذل الإنسان المجاهد دمه كوسيلة إيضاح للتعليم الفعلي على كيفية الدفاع عن الحق؟! وكيف إذا كانت الوسائل السمعية هي دوي انفجار جسد الشهيد في أعدائه قُرباناً إلى الله تعالى؟ فهل تبقى أذن لا تسمع وعقول لا تستوعب الموقف ولا تتأثر به؟! هذا ما لا يُصدّق، خاصة وأن التعليم يثبت جدارته عندما يفعل المعلم ما يقول.

من هنا كان شهداء المقاومة الإسلامية أكبر دليل على ما أقول بدءاً بفاتح عهد الاستشهاديين، إلى كل الشهداء حتى آخر استشهادي بذل دمه على تراب قرانا المحتلة وإلى أي شهيد سيأتي، لقد علموا الناس والعالم أجمع كيف تكون النهضة الحقة، وكيف تكون العزة بالقول والعمل.

وهكذا كان للشهادة هذه المرتبة العظيمة بين المدارس التي بناها الإسلام، لكي ينقذ الأمة من الظلم والاستعباد والجهل والانحراف والفساد، وبتلك الدماء التي تبذل من أبطال المقاومة الإسلامية كل يوم يتغير الواقع، وتأخذ الأمة الزخم المعنوي لاستعادة كل الكرامات والمقدسات، وتكثر التضحيات، وتندفع الأجيال نحو الجهاد لتقضي على الظلم والفساد والانحراف.

على هذا الأساس كان للشهادة وقع خاص في هذه الأمة الخيرة، فهي التي تعطي للخط معنى، وللمسير هدفاً، وهي الطريق إلى الله الذي يرضاه لصفوة من عباده المخلصين، لأنها الطريق المصفى من الشوائب الشيطانية، وعندما يتحرك خط الشهادة ضمن خط العمل في سبيل الله، يصبح للخط نورٌ ويصبح للعاملين وهجٌ، وتستنهض الأمة من مهاوي الذل والهوان إلى بيادر العِزّة والكرامة.

وهنا أتذكر قول شيخ الشهداء الشيخ راغب حرب (رض): «دم الشهيد إذا سقط فبيد الله يسقط، وإذا سقط بيد الله فإنه ينمو ويكبر..» فعلاً انه ينمو ويكبر.. ينمو باتجاه الأمة، ويُذخر ويكبر باستنهاضها، ذلك أنه العامل الأقوى في إرشاد الأمة نحو الحق والعدل والخير، وفي تحريك القدرات نحو الحقيقة الساطعة والنهوض من الاستكانة والمهانة. فالشهادة هي المُحرك الذي يزيد العاملين تعلقاً بخط الرسالة وتطبيق أحكامها، لتكون فعلاً خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وترتقي إلى أعلى الدرجات.

هذه المكانة للشهادة، وهذه القدسية لكيانها، وهذه العظمة

لمفرداتها، كرم من اللطيف الخبير، فكيف لا يكون لها تأثير في استنهاض الأمة وقد بدا هذا السيل الجارف من الدماء بسمية أول شهيدة في الإسلام وامتدّ إلى آخر شهيد من شهداء المقاومة الإسلامية حتى يومنا هذا، وسيبقى بعده مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

إن هؤلاء الشهداء سينزعون بدمائهم كل الأقنعة المزيفة لأعداء الإسلام، وستُنزع الغِشاوة عن أعين الأمة جمعاء، وعن العاملين في هذه المسيرة، حيث سينهمر هذا الدم ليكون فكراً ومنارة، وليرسّخ مبدأ اختطه المجاهدون والشهداء الذين اختارهم الله ليكونوا العنوان لهذه الأمة.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

الفصل الرابع:

المقاومة الإسلامية: الاهداف والنتائج

اولاً: أهداف المقاومة الاسلامية.

١ ـ تحرير الإنسان.

٢ ـ تحريرالوطن من المحتل والمستعمر.

٣ ـ خطة المقاومة في تطبيق الاهداف.

ثانياً: نتائج المقاومة الاسلامية ومظاهر النهضة.

١ ـ الإنسان والنهضة العقائدية والسياسية.

٢ ـ الإنسان والبعث الثقافي.

٣ ـ تنمية القدرات.

٤ ـ رفع المعنويات وتعميم المقاومة.

أولاً: أهداف المقاومة الاسلامية

١ ـ تحرير الإنسان

الهزائم التي منيت بها الامة العربية والاسلامية على يد الصهيونية، متنوعة على مختلف المستويات من عسكرية ونفسية وسواها، وقد أسهمت في زرع الإحباط واليأس في النفوس، حيث تكررت الهزائم العسكرية مدعمة بالضغط الإعلامي والنفسي وبات الناس في الوطن العربي غير مقتنعين بأي شرارة نصر على الأعداء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم ثقتهم بأنفسهم وعدم محاولتهم تغيير الواقع.

وجاءت المقاومة الاسلامية لتشكل الرد والتحدي في تحرير هذا الانسان من عقدة الهزيمة، ليصبح حراً في وطنه عزيزاً في أمته، كما خلقه الله سبحانه وتعالى، ولكي يستطيع الوصول الى تحرير أرضه بعد تحرير نفسه.

هذا وقد ركزت المقاومة الاسلامية على رفع معنويات هذا الإنسان، في مواجهة الذل والمهانة، كي يحطم القيود والأغلال التي تمنعه من الحصول على حقه في العيش بكرامة على أرض وطنه وأن يحقق إرادة التحرير لينهج طريق الحرية على مستوى الفرد والمجتمع.

وهذا ما أكده بعض الفلاسفة الوجوديين المؤمنين بالله امثال بريد يائيف (١٨٨٤ ـ ١٩٤٨) حيث اعتبر أن الانسان الفرد هو الذي يصنع مصيره، ويحدد اتجاهه بإرادته. وحيث ذهب ياسبرز (١٨٨٣ ـ ١٩٦٩م) الى القول بأن الحرية والصراع والاختيار هي من أهم سمات وجود الانسان. وكذلك غبريل مارسيل (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) الذي اعتبر ان تسامي الفرد هو أساس وجوده، وخاصة إذا كان التسامي نحو الله[١].

إلى ذلك فإن المقاومة الاسلامية اعتبرت أن الانسان يجب أن يمارس دوره، كمواطن يتمتع بحقه الطبيعي، ضمن النظام العام، ويتحكم بميوله وأهوائه ضمن هذا النظام، وهنا يأتي دور الدولة التي تضع النظام العام بحيث يكون منسجماً مع الناس ومع مصلحة الوطن. وهنا يستحضرني قول للفيلسوف هيغل حيث يرى «انه لو اتحد الجانب الذاتي ـ للإنسان ـ مع غاية الدولة، الواحد مع الآخر إشباعاً وتحققاً فعلياً، فإن الدولة تكون قوية ومتينة. فالدولة عندما تحقق الانسجام التام بين مصلحة الوطن والمصلحة العامة، تكون في قمة ازدهارها وقوتها»[٢]. وبناءً على ذلك يكون من حق هذا الإنسان الوصول إلى حرية يصون بها نفسه وأرضه، ولا يترك نفسه ودولته عرضة للمهانة والذل.

أرادت المقاومة أن تنقذ هذا الإنسان الذي عاش مدة طويلة من الزمن في الخضوع والذل. وهذا ما حصل من خلال إرشاد الناس إلى

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص٢٣٢.
(٢) المصدر نفسه، صفحة ١٧٦.

مفهوم الاحتلال، فقد دأبت المقاومة على كشف حقيقة هذا العدو لأبناء الأمة، وعمّا ينتج عن الاستسلام له، وشددت على ذلك عبر خطابات قياداتها، بدءاً من شهيدها السيد عباس الموسوي (رض) الذي اعتبر أن وصول المقاومة إلى مستوى المطالبة بتحرير، حتى رفات الإنسان الشهيد، هو عز لهذه الأمة. وكذلك شيخ شهدائها راغب حرب (رض) وغيرهما من العلماء الذين لم يتركوا أي فرصة كي يوصلوا حقيقة هذا العدو إلى الناس، ويبينوا الخطر الداهم جراء الاحتلال. هذا عدا الامور والوسائل الأخرى الثقافية منها والإعلامية. كل ذلك من أجل أن تصل الأمة إلى أرقى درجات العزة، من خلال ترك الخضوع للأعداء، ونفض غبار الذل عنها، وجعل المجتمع يتحمل مسؤولياته الدينية والوطنية في الدفاع عن أرضه وعرضه دائماً.

وقد عملت المقاومة الإسلامية على إعطاء نموذج للمقاومة غير الذي كان سائداً قبل اجتياح (عام ١٩٨٢) للبنان، من حيث الأهداف والتوجهات وحسن التصرف مع الاطراف الأخرى، وكيفية استخدام المقاومة ضد العدو. فعلى مستوى التعاطي مع الآخرين أظهرت المقاومة صورة المقاوم الصادق المخلص مع نفسه ومع الآخرين ، من خلال الالتزام بالأهداف والمواثيق، قولاً وعملاً، لكي يكون قادراً على صنع مستقبله في مختلف الظروف التي تحيط به. وقد تجلى ذلك في العمل عسكرياً وسياسياً، لخلق مجتمع مقاوم تسوده الوحدة والإلفة والأمان.

لقد كانت المقاومة شديدة في مواجهه العدو، وذلك لكي تعيد إلى الناس ثقتهم بأنفسهم، فطرحت منذ البداية أنّ على الصهاينة الخروج من

أرضنا، بدون قيد أو شرط، وأن «الموقف سلاح والمصافحة اعتراف». وذلك تأكيداً للناس بأنهم يستطيعون أن يكونوا أحراراً في وطنهم، ويعملون على رفع الظلم عنهم، بشتى الوسائل، وفي مختلف الظروف.

واعتبرت المقاومة أن الانسان المجاهد هو عزّ لهذه الأمة وشرف وأخذت على نفسها عهداً باستعادة أسراها من سجون الاحتلال. حيث قال أمينها العام: «إن المقاومة لا تترك أسراها في السجون الإسرائيلية»، وهذا الوعد النظري ما لبث أن تحول الى عهد ووعد عملي، عندما أقدمت المقاومة على أسر ثلاثة جنود صهاينة، في منطقة مزارع شبعا في الجنوب اللبناني، خلال عملية عسكرية ، وعندما أسرت أحد ضباط العدو، وهو برتبة عقيد، حين استدرجته إلى لبنان في عملية أمنية[1].

وإذا ما دققت النظر في ذلك أجد أن الكلام النظري الذي أطلق لزمه جهد كبير ومضنٍ وتضحيات جمة من المجاهدين، حتى تمكنوا من أسر أولئك الأعداء، ليتمكنوا بعدها، في مفاوضات غير مباشرة مع العدو، تخللتها تهديدات كثيرة وضغوطات جمة ودامت حوالى ثلاث سنوات، تمكنت المقاومة بعدها في التاسع والعشرين من كانون الثاني عام ألفين وأربعة من استعادة الأسرى اللبنانيين، ومئات الفلسطينيين والعرب من السجون الإسرائيلية، بالإضافة إلى عدد كبير من جثث الشهداء اللبنانيين. وكان ذلك نصراً آخر أضيف إلى سجل النصر عند المقاومة الإسلامية على الأعداء. وهذا النصر بنظري هو نصر للانسان

---

(١) الحنان تنمباوم، تم أسره فى لبنان بتاريخ ١٤ت١ عام ٢٠٠٠م وقد اعلن عن ذلك الامين العام لحزب الله له خلال مؤتمر الفكر العربي المنعقد في بيروت بنفس يوم الاسر.

اللبناني والعربي، بل نصر لكل انسان يحمل الإنسانية كعنوان يعتز به. فهذا النصر، يؤكد أن المقاومة الإسلامية تسعى دائماً ليكون الإنسان عزيزاً وحراً ، إذ لا معنى للأرض إذا كانت خالية من أناس يعملون فيها ويعيشون عليها ويقومون بالتزاماتهم بعضهم تجاه البعض الآخر وتجاه دينهم، إذ تعتبر المقاومة أن عزة الإنسان أكبر من عزة الأرض، وأن تحرير الأرض إنما يكون من أجل الإنسان وهذا ما أكده أمينها العام السيد حسن نصر الله[١].

٢ ـ تحرير الارض من المحتل والمستعمر

سعت المقاومة الإسلامية جاهدة إلى استنزاف العدو الصهيوني في لبنان، منذ السنة الأولى التي احتل فيها لبنان، وذلك من خلال الضربات العسكرية التي وجهتها إليه، واستمرت بتوجيهها إلى أن اندحر خائباً عن أرضنا. وقد ذكرت التفاصيل في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

وقد اعترف الصهاينة أنفسهم بالاستنزاف في لبنان، وذلك منذ السنة الأولى على بدء الاجتياح للبنان عام (١٩٨٢م)، ومما قاله أحد معلقي صحيفة هآرتس (يؤيل ماركس): «ان اسرائيل تعيش حرب استنزاف في لبنان وإن الانتصار الكبير الذي تحقق ـ اجتياح ١٩٨٢ ـ أخذ يتلاشى كما ان المفهوم الكامن وراء ما سعى له كل من بيغن وشارون في لبنان قد انهار كبنيان من ورق.. والاتفاق الذي توصل إليه

---

(١) نصر الله، حسن، خطبته في مجمع سيد الشهداء بيروت ٢٤/٢/٢٠٠٤/ م ٤/ محرم /١٤٢٥هـ، بذكرى استشهاد السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب، وتكريماً للأسرى المحررين.

شارون في زيارة ليلية لبيروت يقرأ الان كصفحات تسلية، واصبح استمرار بقائنا عبثاً.. وأصبحنا من غير قصد أسرى في يد سوريا والمخربين (المقاومين)»[١].

إن تحرير الأرض كان مسؤولية كبرى على المقاومة، خاصة إذا عرفنا الأطماع الصهيونية الكبيرة في لبنان والدول العربية. ومن المفيد أن أذكر بعضاً من هذه الأطماع لإلقاء الضوء عليها، وذلك لتبيان الخطر الداهم من وجود غدة سرطانية «إسرائيل» في قلب الوطن العربي، وليكن واضحاً أنه لا بد من مواجهة هذا المشروع بكل ما أوتينا من قوة.

فعلى مستوى لبنان، فإن للعدو أطماعاً في مياهه وأرضه، وما سأذكره وهو قليل كافٍ للدلالة على ذلك وسأترك للباحثين والمهتمين إثارة الموضوع.

قد قامت إسرائيل بضخ مياه نهر الليطاني إلى «إسرائيل»! وقد اعترفت بذلك على لسان رئيس شركة المياه فيها المسماة «ميكوريت»[٢] وعلى صعيد آخر أكد مراسلو الصحف الأمريكية أن الأقمار الصناعية التقطت صوراً لحفريات في إصبع الجليل، حيث تقام شبكات الأنفاق لسحب مياه نهر الليطاني باتجاه عمق الأراضي الفلسطينية[٣].

---

(١) الاحتلال والمواجهة ـ ١٩٨٢ ـ من صمود المقاومة الوطنية الى اتفاق ١٧ أيار، ط١، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٥م، ص١٣.

(٢) ذكر رئيس الشركة، انها تضخ نحو ٢٠ إلى ٢٣ مليون م٣ من مياه نهر الليطاني إلى اسرائيل سنوياً، مما ادى إلى انخفاض المياه من بحر سد القرعون بنسبة كبيرة لم تحصل من قبل. انظر: سويد، ياسين، عملية الليطاني ١٩٧٨ نظرة استراتيجية، مرجع مذكور، ص ١٠٢ـ١٠٣.

(٣) أكد صحافيون اميركيون زاروا الجنوب اللبناني (الشريط المحتل) انباء مفادها ان اسرائيل بدأت=

هذا ولم تكتف إسرائيل بمياه نهر الليطاني بل تجاوزت ذلك إلى مصادر أخرى للمياه في الجنوب مثل الحاصباني والوزاني، هذا ولم يحصل صدّ لأي عمل عدواني من قبل اسرائيل لسرقة مياه لبنان سوى الموقف الذي صدر عن المقاومة الإسلامية، والذي هدد كيان العدو بحال اعتدى على مشروع ضخ مياه نهر الوزاني إلى القرى اللبنانية كحق مشروع للبنان[(١)]. وقد جرى ذلك بتنسيق كبير بين المقاومة والدولة والشعب.

اما على صعيد اقتطاع الأراضي في لبنان، فقد بدأ هذا المشروع في العام ألف وتسعمئة وسبعة وستين للميلاد، حيث احتل الصهاينة

=فعلاً بتحويل مياه الليطاني إلى الاراضي التي تحتلها، وبالتحديد طبريا، ووجود «أنابيب ضخمة موضوعة تحت الارض» الامر الذي يتيح لها كسب نحو «١/٤ مليون م٣» من المياه سنوياً. راجع: سويد، ياسين، عملية الليطاني ١٩٧٨ نظرة استراتيجية، مرجع مذكور، ص ١٠٢.

(١) صدر التهديد على لسان السيد حسن نصر الله، حيث قال: «أما بالنسبة إلى الشق الذي يتعلق بالمقاومة لكوننا كما يقولون الفصيل الاساسي في المقاومة، وبكل وضوح أقول وقبل الساعات التي تفصلنا عن الافتتاح، وهي ساعات دقيقة وحساسة، ومن المؤكد والمقرر لدى قيادة حزب الله ولقد ابلغ الأمر لغرفة عمليات المقاومة الإسلامية أن أي عدوان على منشآت نبع الوزاني سيرد عليها بشكل قطعي ومحتوم وليس بعد أن يتم القصف من قبل العدو نقول ليجلس الاخوان لكي ندرس ونتشاور ونبحث وماذا نعمل نرد أو لا نرد بل سيكون رداً قطعياً وحاسماً، ولا يسمح بأن يحصل هذا العدوان دون أي رد مناسب في الحد الادنى من قبل المقاومة الإسلامية، وإن الرد سيكون سريعاً جداً ولو قلت خلال دقائق فلا أبالغ بذلك واننا لن ننتظر الساعات أو الأيام بل ان المقاومة الإسلامية قد أعلنت هذة الساعات الجهوزية الكاملة والحقيقية للقيام بواجبها الشرعي والأخلاقي والديني والوطني في الدفاع عن هذا الوطن وكرامته لأن المسألة مسألة مياه، فالمقاومة الآن هي في حالة جهوزية وتنتظر أي تطور أو أي إيعاز، وهذا الأمر بالنسبة إلينا حسم. وبناءً عليه فإن الأهداف التي سوف تواجه الرد من قبلنا قد تم انتقاؤها ومحددة جيداً.. وهذا ما تستطيع المقاومة ان تفعله وهي من أهم عناصر وعوامل قوة لبنان، وفي هذه اللحظة التاريخية يتقدم هذا العنصر ليقول اليوم كما كنا في الماضي فإن دماءنا وشبابنا ووجودنا وكياننا وكلنا في خدمة وطننا وبلدنا وأمتنا، وسوف نبقى في المكان والمعادلة التي نحمي فيها المياه والمنشآت على نبع الوزاني، وكل الأعزاء الكرام الذين يحتفلون في منطقة الوزاني ونقول للاسرائيليين نحن هنا جاهزون ومستعدون».

مزارع شبعا، في حزيران من العام المذكور كخطوة أولى، والخطوة الأخرى كانت في صيف العام ألف وتسعمئة واثنين وثمانين، حيث أحاطت هذه المزارع بالأسلاك والألغام. وفي العام ألف وتسعمئة وخمسة وثمانين أدخلوا إلى بعض المزارع المستوطنين الفالاشا، ثم في العام ألف وتسعمئة وتسعين، اقتطع الصهاينة بعض الأراضي من القرى الحدودية التالية: رامية، مروحين، الناقورة، علما الشعب، رميش، إضافة إلى سرقة الكثير من تراب سهل مرجعيون[1].

---

(١) أما احتلال المزارع «فقد جاء على مراحل. الأولى في الخامس عشر من حزيران ١٩٦٧ حيث اجتاحت المجنزرات الإسرائيلية مزارع مغر شبعا، خلة غزالة، ضهر البيدر، رويسة القرن، جورة العقارب وفشكول، وقتل آنذاك المواطن شحادة أحمد موسى وجرح العشرات وأجبر الأهالي بعد التنكيل بهم على إخلاء المزارع المذكورة، المرحلة الثانية في ٢٠ حزيران توسعت وحدات من جيش الاحتلال لتأخذ في طريقها مزارع قنوة زبدين والرمقا، وكان مصير الأهالي مشابهاً لمن في المرحلة الاولى. المرحلة الثالثة: بدأت في ٢٥ حزيران حيث استولت قوات الاحتلال الإسرائيلي على ما تبقى من مزارع شبعا ـ بيت البراق ـ برختا التحتا ـ برختا الفوقا ـ مراح الملوك ومصير الأهالي أيضاً مزيداً من التنكيل والتهجير. المرحلة الرابعة: بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٦٧ الساعة الواحدة بعد الظهر فجرت قوات الاحتلال المنازل وزرائب المواشي في كل المزارع. المرحلة الخامسة: في آب ١٩٦٧ أحرقت اسرائيل البساتين والحقول ودمرت مشهد الطير وهو مقام النبي إبراهيم(ع). والمرحلة السادسة: في صيف عام ١٩٧٢ تم تسييج المزارع بالأسلاك الشائكة والألغام واستتبعت للأراضي المحتلة. المرحلة السابعة: في العام ١٩٨٥ بدأت أول عملية استيطانية في مزارع شبعا حيث اقيمت مستوطنتان ليهود الفلاشا في مزرعتي رويسة القرن وزبدين على يد الحاخام مائير كاهانا إضافة لمنتجع سياحي للتزلج في منطقة مقاصر الدود، وتم اختيار هاتين المزرعتين لتميزهما بمناخ دافئ يتأقلم معه المستوطنون الفالاشا ولتمتعهما بتربة خصبة وقربهما من سهل الحولة واحتضنت البيوت الجاهزة في المستوطنتين قرابة ٣٠٠٠ يهودي سرعان ما بدأوا بالسطو على مواشي وأرزاق أهالي العرقوب وقيامهم بأعمال السلب والنهب لمواسم المزارعين ومقتنياتهم. وفي نيسان ١٩٨٩ سيطرت قوات الاحتلال على مزرعة بسطرة وطردت منها نحو ٦٠ عائلة وضمتها إلى المزارع الـ ١٤ المحتلة منذ العام ١٩٦٧». انظر: صحيفة الديار في ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٠م». «وفي اعقاب حرب تشرين / اكتوبر عام ١٩٧٣ اقتطعت إسرائيل أقساماً من جبل الشيخ تتبع للبنان وتعرف باسم بركة النقار والسواقي والشحل وجورة العليق، ثم في العام ١٩٧٤ اقتطعت أراضي من بلدة عيترون الحدودية تدعى جبل الشميس=

وأما على مستوى أطماع الصهاينة في البلاد العربية، فقد سعوا للحصول على ما يسمى بأرض الميعاد، أو أرض «إسرائيل» من الفرات إلى النيل، وإعادة الشعب اليهودي إلى ما يزعمون أنه أرضه التاريخية، لأن الحياة في المنفى مخالفة للدين اليهودي كما يدّعون[١].

إلى ذلك فقد دأب الصهاينة على توسيع هذه الأطماع في مختلف المجالات. ففي المجال الاقتصادي، عملوا على تهريب البضائع إلى البلاد العربية وذلك لتصريف المنتجات، وكسر طوق المسار الاقتصادي العربي وهذا ما يجري حالياً في الأسواق العراقية، اضافة إلى سحب كميات كبيرة من بترول العراق إلى داخل إسرائيل، واستقدموا أعداداً إضافية من المهاجرين، لاستيفاء حاجاتهم الزراعية ومشاريعهم الاقتصادية[٢].

وعلى المستوى العسكري اعتمدت إسرائيل على التفوق في كل المجالات العسكرية، لتحقيق أهدافها التوسعية.

=بطول ٣ كلم وعرض يتراوح ما بين ١٠٠ و٥٠٠ متر، وأعقب ذلك عام ١٩٧٥ اقتطاع أراض متفرقة في بلدات قريبة لعيترون ومنها محيبيب وبليدا ورامية وتلال الظهيرة وصولاً إلى بلدة العديسة الواقعة عند نقطة الحدود اللبنانية الفلسطينية. وعام ١٩٨٠ قام الإسرائيليون بخطوات اقتطاع جديدة في قرى وبلدات حدودية أخرى ومنها في علما الشعب (١٥٠دونماً) تلال الظهيرة رميش يارون مارون الراس، بليدا، ميس الجبل، حولا، العديسة، وكفركلا. كما استولت على مناطق غنية بالينابيع الطبيعية في جبل الصوان المطل على بلدة شويا في منطقة حاصبيا، وضمّت إلى الحدود أكثر من ألف دونم من أراضي بلدة حولا، وستة الآف دونم من أحراج بلدة مارون الرأس. وفي الفترة ذاتها أقدم الاحتلال على تسييج مساحة تفوق ٢٠ ألف دونم من سهل الخيام، وأنشأ طرقات في منطقة أخرى بهدف قضم أراض جديدة بين بلدتي يارون والناقورة الحدوديتين». انظر: مجلة الشراع في ٢٨/٥/٢٠٠١ م.

(١) خالد علي، فلاح، الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٦٩ وتأسيس إسرائيل، مرجع مذكور، ص٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤٨.

أما على المستوى السياسي، فقد اهتم الصهاينة اهتماماً كبيراً بالحديث عن السلام إعلامياً ليس إلا، بهدف كسب عطف الدول الأجنبية، وإجبار العرب على الاستسلام «فإسرائيل تدعو إلى سلام يقوم على الأمر الواقع، يتمثل في وجود لإسرائيل على الأراضي العربية في فلسطين. إنها تعتبر وجودها «دولة» ليس موضوع نقاش لا يمكن أن يدخل في منهج المفاوضات وأن على العرب بالتالي أن يعترفوا بهذا الوجود وجوداً شرعياً قانونياً»[١].

أمام مطامع الصهاينة الكبرى في مياهنا وفي خيراتنا، وأمام احتلال أرضنا كان لا بد للمقاومة الإسلامية من الوقوف بوجه هذه الأطماع، لتوقفها عند حدها، وسعت جاهدة لتحرير أرضها عملاً بالآية الكريمة: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[٢]. واستطاعت هذه المقاومة إنزال الخسائر الفادحة في صفوف قوات العدو، وأظهرت هشاشة جيشه الذي كان يقال عنه: إنه الجيش الذي لا يقهر، وأوصلت معنوياته إلى مستوى متدن جداً، من خلال عنفوان المقاومين وصلابتهم، بحيث انعكس ذلك إيجابياً على الأمة جمعاء، وبعد أن كان العرب معتادين على الهزيمة على يد هذا الجيش، لاعتقادهم الخاطىء بأنه لا يقهر، استطاعت المقاومة إثبات العكس، ودحرت هذا العدو اللئيم عن أرض لبنان، في الرابع والعشرين من أيار عام ألفين، مذموماً مدحوراً مذعوراً تحت ضربات المقاومين.

---

(١) خالد علي، فلاح، الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٦٩ وتأسيس إسرائيل، مرجع مذكور، ص ٣٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩١.

وعليه وعندما تسعى المقاومة لتحرير الارض من المحتل، وتحرير الإنسان من العبودية والذل لهذا المحتل، وأمام أي ظالم، تكون قد أعطت نموذجاً للعز والفخر، وعلّمت الجميع أن الإنسان يجب أن يكون دائماً مصاناً ومحترماً، كما أراد له الله، فعمت الروح المعنوية الثورية صفوف المسلمين عموماً والعرب خصوصاً.

٣ ـ خطة المقاومة في تطبيق الاهداف

قد وضعت المقاومة خطة لتحرير الأرض والإنسان، رسمتها وحدّدت معالمها وفق الظروف والمعطيات في لبنان، وقد شملت عدة جوانب مترابطة لتحقيق التحرير. وجاء ذلك على لسان نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، في ندوة العمل الوطني التي أقيمت في بيروت في السادس من نيسان عام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وتسعين. ومن المفيد نقل مرتكزات الخطة لأهميتها في تطبيق الأهداف، وإيصال المجتمع إلى مجتمع مقاوم. وقد اشتملت على عشر نقاط هي:

أ ـ تأثر المقاومين بالخط الديني، حيث كان المنهج هو الإسلام وتربية الإسلام لبناء جيل واعٍ مثقف لا يرضى الذل والهوان، ويعتمد على القرآن في سلوكيات حياته.

ب ـ إعطاء الأولوية دائماً للمقاومة، وخاصة عندما يحصل تعارض في مكتسبات داخلية ـ نموذج انتخابات عام (١٩٩٦) ـ فقد آلت المقاومة على نفسها أن تتخطّى أي عقوبات، لأجل الوصول للهدف: خروج المحتل عن الأرض التي احتلها.

ج ـ اتباع أسلوب إيذاء العدو وإراحة الناس من جهة أخرى، ولو كان ذلك على حساب المقاومين الذين كانوا يمضون الأسابيع، وليس الايام، بانتظار دوريات العدو في قلب المناطق المحتلة، وذلك لكي لا يسببوا الأذى للمدنيين جراء أي عملية تحدث، وحفاظاً على أرواحهم وأرزاقهم.

د ـ مشاركة الناس آلامهم ومتطلباتهم، في ظل تردي الأوضاع المعيشية، ولذلك تم إنشاء مؤسسات: «الشهيد» و«الجرحى» و«جهاد البناء» وغيرها، لإغاثة المنكوبين في أرواحهم وممتلكاتهم ومنازلهم. وهذا ما حصل لعوائل الشهداء والجرحى خلال مدة الصراع مع العدو، وكان عدوانا تموز (١٩٩٣م) ونيسان عام (١٩٩٦م) نموذجين برهنت مؤسسات المقاومة الاسلامية من خلالهما على الدور الكبير الذي لعبته في بلسمة جراح المواطنين.

هـ ـ إفساح المجال أمام التنوع في المشاركة مع المقاومة، حتى لا تبقى الخصوصية الاسلامية مانعة للمشاركة، ولذلك حصلت مبادرات تعاون في هذا المجال، بعضها نجح وبعضها الآخر لم ينجح، من ثم جاءت مبادرة إطلاق السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال.

و ـ عملت المقاومة على توضيح التعاطي بين الخطين الوطني والاسلامي، ورداً على سؤال: هل يستطيع المسلم الملتزم أن يلتزم خطاباً وطنياً؟ كان الجواب: أن لا مؤمن بالإسلام ما لم يكن مؤمناً بالوطن.

ز ـ تجنب المقاومة الاسلامية تنسيب العرب والمسلمين في صفوفها، حتى لا تقع في الإشكالية السياسية بجعل الجنوب ساحة للآخرين.

ح ـ رفض التناغم المتبادل بين المقاومة والدولة، بغية عدم التورط بخصوصيات النظام والتزاماته، وطرحت المقاومة أن تستفيد الدولة حيث تريد، وكذا المقاومة، فيكون التناغم حاصلاً بلا نصوص.

ط ـ إخراج الكاتيوشا من مجرد كونه سلاحاً استعراضياً، أو أسلوباً عسكرياً يومياً في الأداء المقاوم، وتحويله إلى سلاح دفاعي عن الناس، في إطار ما أسمي توازن الرعب مع العدو (نموذج تفاهم عام ١٩٩٦) بحيث أضحى الكاتيوشا مخيفاً للأعداء، بكل ما في الكلمة من معنى.

ي ـ اعتبرت المقاومة أنه لا فروقات بين الناس وقيادات المقاومة التي كانت تبذل وتضحي، وكنموذج يحتذى: استشهاد أمينها العام السيد عباس الموسوي مع زوجته وولده، واستشهاد الشيخ راغب حرب، ونجل الأمين العام الحالي الشهيد هادي نصرالله[١].

هذه الخطة المحكمة، من حيث الشمولية والاداء، تؤسّس لبناء إنسان حر عزيز في وطنه، وبناء وطن متماسك جدير بأن يُهاب ويُحترم، وقد أطلق الأمين العام السيد حسن نصرالله شعاراً جديداً هو: (قوة لبنان في مقاومته) وليس كما كان سائداً بأن قوة لبنان في ضعفه. وأثبتت المقاومة للأمة أنها قادرة على أن تصنع النصر، اذا ما كان لديها العزم

---

(١) صحيفة السفير، في ٧/ ٤/ ١٩٩٩ م.

والارادة والتوكل على الله سبحانه دائماً، والعمل الدؤوب لرفع الاحتلال وعبّر أمينها العام عن ذلك بقوله: «إن هذا البلد الذين نُظِر إليه على أنه نموذج للضعف، والعجز والمسكنة، إذا به هو يحصل على شرف صنع النصر؛ وهنا الحجة الإلهية على كل الحكومات وعلى كل الشعوب»[١].

فمن خلال المقاومة يحترم لبنان ويهاب، ومن خلالها يتحرر الإنسان من العبودية وتتحرر الأرض من الاحتلال.

ثانياً: نتائج المقاومة الإسلامية ومظاهر النهضة

في خضم هذا الصراع الطويل مع العدو الصهيوني، والجهود التي بذلتها المقاومة الإسلامية ولا تزال تبذلها في هذا المضمار، كان لا بد لهذه الجهود من أن تأتي بنتائج باهرة. تنعكس على مشروعها الحضاري، مقابل المشروع الاستعماري الذي تقوده أمريكا وإسرائيل في المنطقة، وهي تدافع عن كل الأمة، وتنطلق بها من خلال أهدافها الواضحة في تحرير الأرض وتحرير الإنسان. ذلك أن الأرض لا تتحرر إلا إذا تحرر إنسانها من العبودية والظلم، والإنسان لا يتحرر من العبودية والظلم إلا إذا وقف وقفة بطولية ضد ظالميه، مستعيناً بتحصين نفسه كي لا تنجرف مع المغريات. إن هذه المقاومة، بهذه الطريقة، هي السبيل الوحيد لتخليص الأمة من نير الاستعمار والتخلف، إذا ما اتبعت مشروعها العام الذي تسوده قيم صحيحة ترتكز على مواجهة عالم الفساد.

---

(١) نصر الله. حسن، بعلبك، عيد الانتصار والتحرير الثالث في ٢٥/ ٠٥/ ٢٠٠٣.

١ ـ الانسان والنهضة العقائدية والسياسية

إن ما تتبناه المقاومة الإسلامية من أفكار ومفاهيم على المستوى العقائدي، عائد إلى المرجع الأساس للدين الإسلامي وهو القرآن الكريم، وهي تتعامل في جميع القضايا على هذا الأساس. في صراعها مع العدو الصهيوني وجهت المقاومة الأنظار نحو المبدأ والمعتقد الذي تقاتل إسرائيل من أجله، وأظهرت حقيقة هذا العدو المشهور بالمذابح، وبقتل الأنبياء والوقوف بوجههم ، والذي لم يتوان يوماً عن حبك المؤامرات ضد المسلمين، منذ عهد الرسول محمد ﷺ عبر القبائل اليهودية الثلاث: بني القينقاع وبني قريظة وبني النضير.

وعملت المقاومة الإسلامية على كشف زيف هؤلاء الأعداء، عبر توجيه الأمة الى القرآن الكريم للتعرّف إلى جذور اليهود، ومواقفهم التاريخية الخسيسة والعقائدية المزيّفة ضد المسلمين، وجهدت في تسليط الضوء على الجانب العقائدي لتكون للأمة ثقافة واعية في هذا المجال، وتعريّ هذا الوجود السرطاني لتعرف الأمة أن إزالته من الوجود هي لصالح الإنسانية جميعاً.

فحين قال الإمام الخميني قدس سره في الستينات: «يجب إزالة إسرائيل من الوجود». كان يقصد ذلك تماماً، لأنه كان يدرك هذه الحقيقة. وكانت المقاومة الإسلامية هي نقطة البداية لتحقيق ذلك، فمسألة إزالة الكيان اليهودي من الوجود هي أولاً مسألة ثأر للأنبياء جميعاً، ثم هي ثانياً مسألة دفاع عن الإنسانية التي طالما دنسوها وهتكوها في عهد الانبياء الذين عاصروهم، وعلى مرّ التاريخ بعد الأنبياء وصولاً إلى أرض فلسطين.

وسأسلط الضوء على بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود وذلك لمعرفة بعض أفكارهم ودوافع الصراع معهم، وكيف أنهم تمردوا على الله والأنبياء في الكثير من المجالات، حيث كانوا قوماً يجحدون النعم، ويسخرون من كل شيء حتى جاء التذكير الإلهي بالنعمة والتحذير من يوم القيامة: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] والمراد بـ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي إن الله فضلهم على شعوب العالم في ذلك العصر، إذ إن كلمة على العالمين عائدة للعموم العرفي، والمسألة التي يمتازون بها هي أن الله أرسل لهم العديد من بينهم أنبياء وذلك حجة عليهم ودليلاً على أنهم كانوا لشدة ضلالتهم في أمسّ الحاجة إلى كثرة التحذير والإنذار[2]. وإنهم يتطلبون الكثير من أنبيائهم لإحراجهم، حتى غضب الله عليهم: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا ... وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[3].

وقد وصفهم الله تعالى بأن قلوبهم قاسية كالحجارة بل أشد قسوة: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

(٢) مغنية، محمد جواد، اسرائيليات القرآن، ط ٢، بيروت، دار الجواد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م، ص ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

وقد لعنهم الله بكفرهم بالقرآن، وبالتالي بتكذيبهم بتوراتهم الكتاب الذي بشر بالنبي محمد ﷺ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١).

ولشدة تكبرهم كانوا يرفضون حكم كتاب الله بينهم وبين المسلمين ويعرضون عنه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(٢).

وأخذ بهم الضلال حتى حرفوا كلام الله عز وجل: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

وكانوا يشتهرون بالنقض الدائم للمواثيق التي يقطعونها: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٤).

ويتهمون الله عز وجل بالبخل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٥).

ويكنون العداء الشديد للمسلمين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ...﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٩.
(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٣.
(٣) سورة البقرة، من آية: ٧٥.
(٤) سورة النساء، آية: ١٥٥.
(٥) سورة المائدة، من آية: ٦٤.
(٦) سورة المائدة، من آية: ٨٢.

إنه وصف الله عز وجل لشعب أهانوا البشر جميعاً لاعتقادهم بأنهم مسلّطون عليهم، وأن الجميع يجب أن يكون في خدمتهم، وهم لا يزالون حتى الآن يحملون النفس العدائي العنصري، والفكر المشكك، وينشرون النفاق والخداع والكفر، وهذه الآيات المباركة أوضح برهان على ذلك.

لذا اتخذت المقاومة الإسلامية الموقف العقائدي في الصراع، لأهميته في تبيان حقيقة من نقاتل ولماذا نحارب، ذلك أن هذا الشتات المجمّع من اليهود في فلسطين في الوقت الحاضر، ما هو إلا حلقة امتداد من الأصل الكبير الذي يكن للمسلمين وللإنسانية جمعاء كل البغض والحقد.

وعليه فإن مسألة النهوض بالأمة، على المستوى العقائدي إنمّا يهدف إلى تثبيت الوعي الرسالي عند المسلمين خصوصاً، وإلى التعرف إلى المنطلقات التي يحاربون من أجلها، وهذا النهوض العقائدي يحتاج إلى تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين ومعرفة حقيقة اليهود وعقيدتهم. وبذلك تكون المقاومة الإسلامية قد أوجدت شخصية ملتزمة بالخط الرسالي تقاتل العدو عن عقيدة ومبدأ، وهي من ثم تكون قد عممت ثقافة قتال اليهود من جيل إلى جيل، بحيث يبقى الصراع مستمراً إلى أن يمنّ الله سبحانه وتعالى على العالم أجمع بظهور الحجة عليه السلام ليطهر الأرض من الظلم والفساد، وفقاً لما تؤمن به كل الأديان السماوية. وبهذا تكون المقاومة الإسلامية، بكل ما تقوم به على المستوى العقائدي، توطئ الأرض للحجة عليه السلام لرفع الظلم والاحتلال.

أما على مستوى النهضة السياسية، وما عملته في هذا المجال، فقد اعتمدت المقاومة الإسلامية في طرحها الشمولي، لصراعها مع العدو الصهيوني، مسأله الوحدة الإسلامية والعربية، لأجل تحقيق الغاية المطلوبة من وراء قتالها لهذا العدو، ولأن الصهاينة دائماً يسعون بمختلف أجهزتهم لتفريق هذه الأمة، عملت المقاومة الإسلامية على تبيان حقيقة هذا الصراع وواقعه، والأسباب الكامنة وراءه، ورأت أنه بالوحدة بين أبناء هذه الامة تستطيع أن تتغلب عليه بالمقاومة، أو بالحد الأدنى تضع الحجر الأساس لزواله.

فالوحدة في هذا المضمار، طرح سياسي في مواجهة هكذا عدو يريد أن يتسلط على أرضنا الإسلامية والعربية بشتى الوسائل، فمن خلال الآية القرآنية: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1]، سعت المقاومة إلى توحيد هذه الأمة، ليصبح الجميع في خط واحد وخندق واحد، ضد هذا العدو اللئيم. وبهذا الصدد سعت لتصب جهودها لتبيان أن الصراع مع العدو يلزمه وحدة هدف ، ومن خلال إعلان الإمام الخميني الراحل قدس سره القائد الأول للمقاومة الإسلامية، نداء الوحدة بين المسلمين جميعاً، عملت هذه المقاومة في خط الوحدة، على مستوى الاهداف والتطلعات، حتى أضحى المجتمع متوحداً على فكرة قتال إسرائيل.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ١٠٣.

إذن من نتائج المقاومة وصراعها مع العدو بلوغ الوحدة الاجتماعية بين أفراد المجتمع ككل تحت شعار «الدفاع عن الأرض والعداء للصهيونية»! وأضحى التماسك قوياً بين الشعب والمقاومة، كل يشد عضد الآخر بحسب إمكانياته، وتجلت الوحدة السياسية بالعداء لإسرائيل في مختلف ميادين الدولة اللبنانية.

الفضل الأول والأخير لوحدة الأمة والمجتمع يعود للشهداء الذين صانوا بدمائهم الوطن والأمة والعرض والدين، إذ بفضل هذا الدم الذي سقى الأرض المتعطشة، وأعطى النفوس عزماً وزخماً وعطاء واستمرارية توحدت الأمة.

وهنا أقول إن إدراك المقاومة الإسلامية لمسألة الوحدة في المجتمع هو في الحقيقة إدراك للأحداث الكبرى والخطر الكبير الذي يحيط بهذه الأمة، وما يحاك ضدها من مؤامرات، لذا جمعت المقاومة كل الطاقات، للسير بها نحو الهدف المنشود، وتوجيهها في الخط الصحيح، وبذلك استطاعت أن تحقق النصر، وتضبط مسير الأمة على النهج المستقيم، وتستثير كل إمكانات الأمة التي كانت غافلة عنها، بقصد أو بغير قصد، وأنّ تغّير أفكارها ومنطلقاتها التي كانت تحملها، بفعل قصري حيناً وغير قصري أحياناً أخرى، فتغير بذلك حالة الخنوع والذل، إلى حالة النصر والعزة والكرامة، وهذا لا يحصل إلا إذا بدأ الإنسان بتغيير نفسه أولاً كما يقول الباري عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١].

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

إن مسألة تغيير النفس كثيراً ما شددت عليها المقاومة الإسلامية، للوقوف أمام الشيطانين الأكبر والأصغر، للوصول إلى الرضى الإلهي الذي هو الهدف الأول والأخير في مسيرتها.

ومن خلال الوحدة وتجلياتها جراء فعل المقاومة، يظهر التلاحم والتعاضد الوطني ضمن شرائح المجتمع المختلفة، فبعد كل عملية نصر للمقاومة الإسلامية، أو اعتداء فاشل للعدو الصهيوني، كما حصل في عملية أنصارية، تتبين تجليات هذه الوحدة الكبيرة لأبناء هذا الوطن.

فهذا الكاتب ميخائيل عوض يكتب في جريدة الكفاح العربي قائلاً: «المرة الأولى التي تتجلى فيها الوحدة الوطنية الكفاحية بأبهى صورها، وبأكثر تجلياتها العملية وأدت إلى النصر المؤزر، فهذه المشاركة بين الجيش والمقاومة والشعب، في معركة أنصارية، أكدت على الوحدة الكفاحية الوطنية في مواجهة العدو الصهيوني، كما أكدت على هذا الهدف بالدفاع عن الوطن وترابه، رغم أن هذه الوحدة الكفاحية حصلت من دون وجود آليات تنسيق بين قواها»[١].

وهكذا تحركت جميع الفعاليات الإعلامية والسياسية والمدنية، بمواقف شتى توحي وتؤكد على الوحدة بين عامة أفراد الأمة بمختلف انتماءاتهم، للدفاع عن أرضهم، بتعاون كبير بين بعضهم البعض، وبين الجيش والمقاومة، وهذا دليل واضح على ما حققته المقاومة الإسلامية

---

(١) ميخائيل عوض في ٩/ ٩/ ١٩٩٧م، نقلاً عن حرب الساعات الثلاث، أنصارية العصف المأكول، ص١٧٩.

على هذا الصعيد، وما أنتجته الوحدة من أمور إيجابية في نهضة الأمة ومستقبلها.

إن اعتناق أبناء المقاومة الإسلامية لفكر الإسلام لهو مفخرة عظيمة يعتزون بها، ولا يعني ذلك أبدا عنصرية أو طائفية، وهذا واضح للملأ. إن هذا الإسلام الذي يحملونه هو دين الله، وهو منفتح على الجميع، فبالإسلام انطلقت المقاومة أولاً وأخيراً وكما ورد في التوطئة من هذه الرسالة، فإن أساس أي نهضة هو الفكر الذي تنتمي إليه.

إن المقاومة المسلحة ما هي إلا تجلٍ من تجليات هذا الدين الحنيف، لذا ركزت المقاومة الإسلامية على حمل القرآن بيد والسلاح باليد الأخرى، والمهم في هذا الجانب هو أن أثر المقاومة الإسلامية ظهرت نتائجه وتجلياته بالشكل القوي، في مستوى تمسك الناس بالدين الحنيف.

فبعد أن ظهر الإسلام كقوة جبارة مع انتصار الجمهورية الإسلامية في إيران، وأظهر قدرته على طرح مشروع فكري سياسي يقود البشرية نحو الأفضل والأصلح، وقد تجلى ذلك في بدء طلائع المقاومة الإسلامية في لبنان، وفي تبني طروحات المقاومة، في الانجذاب العفوي نحو هذا الخط السليم والصحيح، حيث كان للمقاومة الأثر البالغ في أبناء هذه الأمة، وتزايد الالتزام بالدين من قبل الشباب، وكذلك الشابات اللواتي اندفعن نحو الالتزام بالحجاب، جراء ما شهدن من فعل المقاومة الرائع، فتأثرن بهذا الخط والتزمن بالدين. أمّا اللاتي كن محجبات فتمسكن أكثر بهذا الفرض العظيم الذي يعتبرنه أساساً

لكرامتهن التي طالما دافعت عنها المقاومة الإسلامية واستبسلت حتى الاستشهاد.

إلى ذلك فقد تزايدت النشاطات الإسلامية مثل: إحياء المناسبات الدينية، وإبراز دور المقاومة الإسلامية من خلالها، والزيارات من قبل بعض اللجان الإسلامية إلى منازل الناس، لتقريبهم أكثر من خط المقاومة، وزيارة عوائل الشهداء والأسرى والجرحى، كل ذلك متَّن العلاقة بين الجماهير والمقاومة.

٢ ـ الانسان والبعث الثقافي

عندما أتحدث عن الثقافة أعني العلم والحكمة، كما أعني العادات والمعتقدات والتقاليد التي تتناقل بواسطة التربية، وتنتشر بين الناس بواسطة الاتصال الاجتماعي ، أي بواسطة تعلم النماذج التي يقدمها المجتمع، فيصح القول: إن الثقافة هي ما يضاف الى الطبيعة، وهي عملية ترقٍ نحو الكمال الإنساني تتم بتمثل أفضل الافكار التي عرفها العالم، وبتطوير الخصائص الإنسانية المميزة[١].

لقد خاضت المقاومة الإسلامية دوراً مهماً في تنمية الثقافة بين الناس، ودعتهم الى التمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية، والثقافة العربية حيث تعتبر هذه الثقافة أعمق اتصالاً بهذا الفكر، وأعمق فهماً لمعطيات القرآن الكريم وبلاغته من الثقافات الأخرى التي دانت بالإسلام والتمست لغاتها، كالثقافات الهندية والفارسية والتركية[٢].

---

(١) الموسوعة الفلسفية العربية، مرجع مذكور، ص ٣١١ ـ ٣١٢.

(٢) الجندي، أنور، يقظة الفكر العربي، مرجع مذكور، ص ١١.

دخلت المقاومة إلى الأمة من الباب التربوي والعلمي، حيث مكمن الثقافة، لتنمي قدرات هذه الأمة في المستويات كافة، عبر أجهزتها المعنية بذلك، فعملت في الجسم التعليمي والاجتماعي، بهدف توجيه الجيل المثقف، ليستطيع أن يدافع عن نفسه ومجتمعه بوعي وشجاعة، أمام عدوه إسرائيل. وكانت لها عدة نشاطات منها:

أ ـ النشاطات العلمية، في المدارس والثانويات والمعاهد والجامعات.

ب ـ النشاطات الكشفية: إنشاء كشافة الإمام المهدي ﷺ.

ج ـ النشاطات الرياضية: من خلال الأندية والفرق المختلفة في هذا المجال.

وسأتحدث عن هذه النشاطات وتأثيرها في سير العملية التربوية، لخلق جيل مثقف ومقاوم من خلاله تنهض الأمة.

أ ـ النشاطات العلمية:

لقد استعدت أجهزة المقاومة التربوية على أكثر من صعيد، في سبيل تعزيز دور المدارس والجامعات من جهة، وتقوية المستويات العلمية لأفراد هذا المجتمع من جهة أخرى، فكان لها أنشطة عديدة على هذا الصعيد. كانت مشاركة الطلاب بهموم المقاومة، تشعرهم بأنهم جزء منها، ويقاومون إسرائيل بالقلم والمعرفة والثقافة وليس بالبندقية فقط.

وكان للمقاومة دور بارز في التعبئة التربوية في المناطق، ضمن

المدارس والجامعات، في سعي منها لبناء جيل قوي متين مبني على عقيدة حب الأمة والوطن، ومقاومة أعدائه بالفكر والسلاح، لما لهذين الأسلوبين من أهمية في مقاومة العدو.

وكان هناك دور مهم للتعبئة التربوية على الصعيد الطلابي، في تنمية قدرات الطلاب ومساعدتهم علمياً ومعنوياً، ليستطيعوا التغلب على الجهل القاتل الذي إذا ما أصاب الأمة فتك بها. وقد تمثل هذا الدور في عدة جوانب:

١ ـ إنشاء مدارس الإمام المهدي ﷺ في أكثر من منطقة لبنانية.

٢ ـ تقديم المنح التربوية لأبناء هذه الأمة، في سعي منها للتشجيع على العلم والتعلم، وذلك بعد الضائقة المادية التي ألمت بالمجتمع، وجعلت الكثير من أبنائه يفكر بترك العلم، فجاءت هذه المبادرة لتساعدهم على ترك هذا الخيار.

٣ ـ نشر فكر المقاومة في الصروح العلمية، عبر مندوبين للتعبئة في هذه الأماكن، وذلك في عدة نشاطات منها: توزيع مقالات عن فكر المقاومة ونشاطاتها، وإقامة محاضرات عن المقاومة الإسلامية في أكثر من مناسبة كي يكون الطلاب على بيّنة مما يجري مع عدوهم، ووضع لوحات حائط مفيدة ومتنوعة يستفيد منها الطلاب، وإعطاء دروس ثقافية لجميع المستويات، لمن يرغب، والقيام بنشاطات رياضية هادفة.

٤ ـ إقامة دورات مختلفة: دورات محو أمية، تعليم الخط، الكمبيوتر، وما إلى ذلك من المواضيع الهادفة التي ترقى بالانسان إلى

مستوى فكري مميز، هذا إضافة إلى دورات عديدة: ثقافية وعلمية ودينية ومن خلال إقامة هذه الدورات، سعت المقاومة الإسلامية إلى تطوير الفكر الديني عند أبناء هذه الأمة، بحيث خصصت دورات ثقافية لجميع المستويات بأساليب مختلفة منها مثلاً: دورات ثقافية على مستوى المرحلة الأولى، ثم إقامة دورات أنصار في المرحلة الثانية، ودورات ممهدون، وهي أعلى مستوى من الدورات السابقة. ومن خلال مناهج هذه الدورات يكون الفرد قد حصّل معرفة دينية مهمة وعميقة وبخاصة عن دينه.

٥ ـ تحرّكاتٌ طلاّبية لِتفعيل دور المقاومة، ومن أمثلتها أذكر الحركة الطلابية لتحرير أرنون التي حصلت إبان ضم قرية أرنون إلى القرى المحتلة، وكيف صعد الطلاب ونزعوا الشريط الشائك من حول القرية.

ان ما ذكرت من نشاطات تربوية، وثقافية، وعلمية، له بلا شك أهمية كبرى في المجتمع، من خلال ما خلفته من تأثير، على المستوى النفسي والجسدي والأخلاقي والعلمي لدى أفراد هذه الأمة.

ب ـ النشاطات الكشفية:

نظراً لحاجة المجتمع إلى جيل قوي وفاعل وخلوق يستطيع تحمل المسؤوليات الجسام التي ستلقى على كاهله، كان لا بد من تربية هذا الجيل منذ النشأة الأولى، أي منذ الطفولة، بالتدريج وفق عملية تربوية هادفة يشترك فيها أخصائيون في مختلف المجالات التربوية، والنفسية،

والرياضية، والاجتماعية، وبالتالي ليؤسّس هذا الطفل، في خلال مراحل نموه وحاجاته وفق أسس تخوّله التصدي للحياة عند الكبر، وبالتالي مشاركة فاعلة في مجتمعه.

من هنا، وبحسب اعتقادي، كانت فكرة الكشافة بشكل عام، وكانت جمعية كشافة المهدي ﷺ، لتضيف إلى هذه الفكرة إنشاء جيل متدين عقائدي، من خلال الفهم الإجمالي لدورة الحياة والمجتمع، فكان لا بد من أن تكون هناك دورة تربوية هادفة متسلسلة.

فمن خلال الكشافة يصل الفتى إلى أرقى درجات التربية، وإلى أرقى الدرجات التي يحتاجها لخوض غمار الحياة. وفي تفصيل ذلك أشير إلى أن قيادة كشافة الإمام المهدي ﷺ سعت للنهوض بالفتية والشباب، من جيل قد تحكمه الشهوات واللهو والعبث، إلى جيل واع متدين مسؤول أمام خالقه، وقد نهضت بهذا الجيل على مدى سنوات عديدة منذ الثمانينات ولا تزال حتى الآن، ورويداً رويداً، ليكون فعالاً في المجتمع هادفاً نشيطاً مميزاً وقد كانت لهذه الجمعية نشاطات عدة تساعد في تحقيق أهدافها منها: المخيمات الكشفية الهادفة، والرحلات والنزهات إلى أماكن مختلفة، للاستفادة من الطبيعة وتحسين الأوضاع النفسية. وندوات فكرية لتوصيل بعض المفاهيم العالقة. ومعارض وفنون مختلفة تضم الأشغال اليدوية والرسم، وما إلى ذلك من الفنون التي يستعملها الفتى المسلم، وذلك لتنمي من مواهبه وتزيد تطلعاته نحو المجتمع.

ج ـ النشاطات الرياضية:

انطلاقاً من أهمية الرياضة في حياة الإنسان وانطلاقاً من القول الشائع: (الفكر السليم في الجسم السليم) سعت المؤسسات التربوية في المقاومة، لتشجيع الألعاب التي تعود بالفائدة على الإنسان ككائن بشري، ولما لها من فوائد مهمة على صعيد المجتمع. وقد سعت هذه المؤسسات إلى المشاركة الرياضية، في عدة مجالات وفي عدة أماكن، وكان للتعبئة الرياضية دور بارز في هذا المجال: فعلى صعيد كرة القدم وغيرها، أنشأت التعبئة الفرق الرياضية في مختلف القرى والمدن (صيدا ـ البقاع ـ بيروت.. وغيرها) وذلك لتنمية قدرات هذا الجيل، من الناحية الرياضية من جهة، ولملء الفراغ بالاستفادة من جهة أخرى، وسعياً منها للاهتمام بالشأن الرياضي خصصت إذاعة النور وتلفزيون المنار برامج لنقل أكبر عدد ممكن من المباريات، وكذلك نشاطات عدة لتكريم الفرق الرياضية.

أما على صعيد الالعاب الأخرى، فقد أسست التعبئة الكثير من الفرق في ألعاب (كرة السلة ـ الطاولة ـ السباحة وغيرها..).

وعلى صعيد الأندية: كانت لها نشاطات رياضية، كمهارات رفع الأثقال والكاراتيه وغيرها. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الألعاب الرياضية لها فائدة كبرى على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

فعلى الصعيد الفردي: تساهم في تنمية الجسد، والمحافظة على الصحة والسلامة، واكتساب مهارات جديدة وعالية.

وعلى الصعيد الاجتماعي: تنعكس على المجتمع حالة ايجابية، من حيث ملء أوقات الفراغ بمشاهدة المباريات، أو حضورها في الملعب، وتجعل المجتمع محباً للرياضة، وتخلق لديه حالة من التنافس الإيجابي، لأجل تشجيع هذا العمل.

٣ ـ تنمية القدرات:

حرصت المقاومة الإسلامية على أن تحفظ هذه الأمة وأبناءها، وتنمي قدراتهم الموجودة بقدر ما تستطيع، فهذه الأمة الخيرة وأبناؤها الشرفاء الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل إعزازها، لا بد من عمل يحمي قدراتهم الموجودة وينميها. من هنا عملت المقاومة على إنشاء عدة مؤسسات منها: مؤسسة جهاد البناء، مؤسسة الشهيد، ومؤسسة الجرحى. وقد جهدت مؤسسة جهاد البناء في مساعدة الناس، وكان لها دور كبير في ذلك، خاصة بعد عدواني (١٩٩٣م و١٩٩٦م) وإعادة ما دمرته يد الغدر من منازل إلى ما كانت عليه، عدا ما قدمته إلى الناس، على مدى سنوات عدة، من توزيع للمياه، ومد المزارعين بمواد زراعية. وكذلك فعلت مؤسستا الشهيد والجرحى المختصتان بعوائل الشهداء وأبنائهم وبالجرحى، حيث هناك عدد كبير من أبناء الشهداء الذين تكفلهم المؤسسة، عبر مشروعها لدعم أيتام الشهداء الذي يعتمد على تكافل أفراد المجتمع بعضهم مع بعض. إضافة إلى عمل مؤسسة الجرحى في احتضان جرحى المقاومة ومعالجتهم، وإعادة تأهيلهم جسدياً واجتماعياً.

أما على صعيد العمال، فقد أسست لجنة نقابات تهتم بمصالح

العمال، لحفظ مصالحهم، وتنمية قدراتهم، وللمساعدة في تنشيط المقاومة وقدراتها، وتحريك عملية المساهمات في المقاومة، كما أسست هيئة دعم المقاومة الإسلامية، لأنها تنبهت إلى مخاطر العدو الصهيوني، وأرادت أن توسع دائرة المجتمع المقاوم، ليكون هذا الأخير على الاستعداد لمواجهة الغزو الصهيوني، وكذلك لتأمين الدعم المالي للمقاومة الإسلامية، كي يتفرغ أبطالها للعمل الجهادي، وتأمين الدعم المعنوي للمجاهدين، عن طريق تحقيق التواصل بين الشعب والمقاومة. وكانت هناك عدة مشاريع وخطوات لتحقيق ذلك، أذكر منها: مشروع التبرعات العامة، ومشروع جمع الحقوق الشرعية، وهذا جزء من عمل تنمية القدرات عند الناس، ومشروع قجة المقاومة، ومشروع الاشتراكات الشهرية، وكانت لذلك عدة لجان: العلاقات العامة والإعلام والاقتصاد والدعم. كل ذلك للنهوض بمقدرات المجتمع، ولتكون هيئة الدعم حجر أساس في بناء مجتمع المقاومة، للوقوف بوجه الأطماع الصهيونية.

هذا وعملت المقاومة على تنمية قدرات الأمة الإعلامية، وسعت جاهدة لتطوير العمل الإعلامي، ليشكل مع العملين العسكري والسياسي، حاجزاً لعدم الاختراق من جديد،وذلك من خلال أقنية المجموعة اللبنانية للإعلام (المنار) الأرضية والفضائية، حتى أضحت الفضائية قادرة وقديرة على بث ثقافة المقاومة، وإيصال الحدث كما هو، وكما يجب أن يكون. وقد تأثر الرأي العام بذلك كما تؤكد البرامج العديدة المذاعة داخلياً وفضائياً.

وعموماً فإن الوسائل الإعلامية الوافدة إلى مجتمع معين يبقى تأثيرها متوقفاً على حجم تجاوب ذلك المجتمع.

يقول هادي فضل الله في هذا الصدد: «تبقى تلك الفضائيات الوافدة إلى مجتمع ما مجرد مثيرات خارجية، حتى حدوث الانفعال، الذي هو وحده يحدد إيجابية المثير أو سلبيته، كون الانفعال استجابة داخلية سريعة لمثير خارجي»[١].

وأما من خلال ممارسة العمل السياسي، والدخول إلى عمق المجتمع والوطن بحمل قضاياه والمطالبة بتحقيقها، أصبح عند الكثيرين من الناس الفهم الصحيح للعمل السياسي الذي يفترض أن يكون، ونمت هذه المقدرة عند الفاعليات السياسية والمتصدين لهذا الحقل.

وأما من الناحية العسكرية، فكثرت قدرات الشباب وخبراتهم، وكسبوا معلومات جديدة وإضافية زادتهم معرفة بعدوهم ومقدرة للتغلب عليه.

ومن خلال التبشير الثقافي والعلمي لأجهزة المقاومة الثقافية والتربوية في المجتمع، أصبح هذا المجتمع قادراً على حماية نفسه، من كل الأفكار المشوشة والمفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة، والتي يمكن أن تسود. وعم الوعي الثقافي بين الناس، في شتى المستويات، وهذا برأيي كان بفضل الله والثلة المجاهدة من المقاومة الإسلامية في لبنان.

---

(١) فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، مرجع مذكور، ص ٢٧٧.

٤ ـ رفع المعنويات وتعميم المقاومة:

إن المقاومة الإسلامية كانت وما تزال ذات أثر بالغ، في تقوية النفوس والعزائم والمعنويات عند أبناء أمتنا، وفي وطننا لبنان، وقد تمظهر ذلك في عدة مستويات.

فعلى المستوى الاجتماعي: احتلت المقاومة حيزاً هاماً من تفكير الناس، لأنها منهم ولهم، يعيش رجالها كما يعيشون هم، فمتنت الروابط الاجتماعية ضمن الأسرة والعائلة، والقرية والمدينة، والوطن أجمع، لأن الجميع أخذ يفكر بالمقاومة وتوحدوا على خطها. فازدادت الروابط والثقة بين الناس والمقاومة، فأصبحوا يدعمونها بالغالي والنفيس، وكلنا شهد تمسك الناس بالمقاومة واحتضانهم لها، في حرب تموز (١٩٩٣) وحرب نيسان (١٩٩٦) وبعكس ما كان يتوقع العدو، كلنا شهد تدفق الناس للتبرع، بأغلى ما يملكون، ومن مختلف الأديان والمذاهب، كلهم احتضنوا المقاومة لأنها تدافع عنهم، وأصبح الجميع يساعد الجميع، فالمشردون حينها التجأوا إلى إخوانهم في مختلف المناطق اللبنانية، وكان ذلك أبرز عنوان للوحدة الاجتماعية، مما يذكرنا بحالة التآخي التي جرت في المدينة المنورة، بين المسلمين هناك الذين سمّوا بالأنصار وبين المهاجرين مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، إبان الدعوة الإسلامية، وما جرى من تماسك اجتماعي وتآخٍ. وهكذا اندفع الناس للتمسك بالمقاومة والالتحاق بصفوفها، أو بفكرها وسياستها، وأصبحوا متعلقين بها ومشدودين إليها، يحتضنونها، يدعمونها، يسيرون معها كيفما سارت، يشاركونها أحزانها وآلامها،

وكذلك فرحها. وكلنا شهد المواكب الحسينية بالآلاف، حين استقبلوا شهداء المقاومة الإسلامية العائدين من الأسر[١]، وكلنا شاهد استقبال الملالة المغنومة من موقع بيت ياحون، وشاهدنا جميعاً كيف التفّ الوطن أجمع، بقياداته وشعبه، حول المقاومة حين استقبلوا الأسرى العائدين من سجون الاحتلال في التاسع والعشرين من كانون الثاني من العام ألفين وأربعة، حيث تم التبادل مع أربعة أسرى صهاينة كانت تحتجزهم، كل ذلك يشكل خير دليل على اندفاع الناس نحو المقاومة، وعلى المستوى المعنوي الذي وصلوا إليه.

والحديث عن المقاومة وأثرها في رفع المعنويات طويل ومتشعب وعام، سأكتفي بذكر شيء منه جاء على لسان السيد حسن نصرالله اذ قال: «جاء أحد آباء الشهداء مع أولاده الخمسة وزوجته، مع العلم بأن ثلاثة منهم يعملون في محاور المقاومة، وقال لي: أولادي الثلاثة يعملون في المحاور والاثنان الباقيان يصبحون خمسة، خذهم جميعاً، وأنا وزوجتي خذنا جميعاً إلى المقاومة»[٢].

أمام هذه المعنويات الحية هل يبقى مكان للكلام عن هكذا أناس؟! أما يستحي القلم من أن لا يضع مداده على الورق، كي يحفظ قصص هؤلاء الشرفاء على هذا المستوى، وما للمقاومة الإسلامية من بصمات في هذا المجال، أي فلسفة وأي علم يستطيعان حصر ومعرفة

(١) انظر: ملحق رقم: ٣ ص ٢٣٥ من هذا الكتاب.

(٢) في باحة شورى حزب الله في حارة حريك. في بيروت أمام الحشود التي أمت الشورى لاستقبال الملالة المغنومة من موقع بيت ياحون في جنوب لبنان، بتاريخ ١٧/٥/١٩٩٩.

هذا الاندفاع وهذه المعنويات؟ لا يمكن حين تتحدث عن آباء الشهداء وعوائلهم، عن أسر المجاهدين وأقاربهم، عن مجتمعنا بأسره، عن أهلنا وتضحيات أبنائهم ومشاعرهم ومعنوياتهم، جراء المقاومة أن تحصر ذلك بعلم أو فلسفة ما. هذا على المستوى الاجتماعي العام. أما على المستوى الطلابي الخاص، فقد أصبحت هناك حالة معنوية عالية من قبل الجيل المثقف وأصبحت هذه الشريحة تعتز بالمقاومة وتدعمها.

وعلى المستوى السياسي. كذلك كان للمقاومة أثر بالغ على السياسيين، حيث دعمتهم في خطهم السياسي الوطني، وأصبح الجميع مقتنعاً بفكرة المقاومة، وفخوراً بأنه يوجد أناس يدافعون عن هذا الوطن، فزادته عزيمة.

أما على مستوى تعميم المقاومة، فإن الأمر البارز والملفت هو انتشار العمل المقاوم، في عدة ميادين وساحات، بعدة أساليب خلال فترة وجيزة، وكان للمقاومة الإسلامية الدور الأساسي في ذلك، حيث أصبحت المعيار للعزة والقوة والحق، فحيث يوجد ظلم يجب أن توجد مقاومة، وأصبحت المقاومة لغة الناس، وأملهم في لبنان وفي كل بلد إسلامي شريف.

فعلى مستوى لبنان كان للمقاومة الاسلامية، كما ذكرت، الأثر البالغ في تزايد العمل المقاوم وانتشاره، فكانت الرائدة في ذلك. لقد شجعت هذه المقاومة الكثير من القوى والأحزاب، على المشاركة في عملية تحرير أرضهم وبلدهم، وقامت بدور مهم في مساعدة هذه الأحزاب والقوى، ليقوموا بواجبهم الوطني والجهادي في سبيل تحرير الأرض.

هذا وقد جرت عدة عمليات جهادية لا بأس بها، لأحزاب مختلفة على الساحة اللبنانية، مما يوحي بانتشار العمل والفكر المقاوم في أوساط هذه الجماعات، وهذا يدل على شيء رائع هو وجود قوى حية في لبنان، أخذت بالنهوض للمشاركة في المقاومة، وقد أشرت سابقاً إلى الخطوة التي أخذتها المقاومة الإسلامية، لضم الشرائح الشابة التي تريد أن تقاتل إسرائيل، فأخذت على عاتقها أن توحدهم فجمعتهم تحت اسم «السرايا اللبنانية» لمقاتلة العدو الصهيوني، وفي هذا دليل عافية من قبل المقاومة الإسلامية، لأنها لا تريد اختصار المقاومة فيها، بل تريدها لكل الشعب اللبناني بأسره، وهذا كان أساساً في خطة المقاومة.

من خلال كل تلك الخطوات الفعالة، في طريق التحرير ودحر العدو من قبل المقاومة، رأينا كيف عمّ الفكر المقاوم وانتشر بين كافة القوى في لبنان وخارجه، ولم يعد هناك حجة على أحد في أن يقول إننا لا نستطيع المقاومة، لأي سبب من الأسباب، باستثناء الشيوخ والنساء والمرضى والعجزة والأطفال، بل أصبح لهؤلاء أدوار أخرى في المقاومة، كل على حدة: فالشيوخ والعجزة تلتمس منهم المقاومة الدعاء لها بالنصر وحماية المجاهدين، وللنساء دور فعال في بناء الجيل المقاوم، عبر أطفال هذه الأمة الذين سيصبحون رجالات المستقبل.

وأما عن انتشار المقاومة في بلدان أخرى، فقد تأثرت فلسطين من فعل المقاومة الإسلامية، وعمت المقاومة أراضيها، بحيث زلزلت الأرض تحت أقدام اليهود، حتى باتوا غير مطمئنين في هذه الأرض التي

احتلوها، وأصبح الفكر المقاوم في عقل وقلب كل إنسان حر أبي، في فلسطين وغير فلسطين، وهذا ما نتوقع منه خيراً كثيراً.

إن شعب فلسطين قد أيقن، ومن خلال ما عرفه من تجارب وجهاد المقاومة الإسلامية في لبنان، أيقن بأن هذا العدو لا يفهم إلا بالقوة ولغتها، ولو بقي الشعب الفلسطيني ألف عام من دون مقاومة، فإن العدو لن يفكر ولو للحظة بحل لهذه المسألة، أو بانسحاب ولو بسيط من هذه الأرض، فجراء فعل المقاومين في لبنان وما حل بالعدو من هزائم على أيديهم، تحركت الصفوة المختلفة من حركات المقاومة في فلسطين وشعبها الحر، لتشكيل نواة لقتال هذا العدو اللئيم، ورأينا الانتفاضة المباركة في فلسطين، والتي استمرت سنوات عدة، وكان لها تأثير كبير في زعزعة الكيان الصهيوني من الداخل وشكّلت هذه الحركات الجهادية في فلسطين عوناً للمقاومة الإسلامية في لبنان، وفي الوقت نفسه استمدت هي العزيمة من المقاومة الإسلامية التي كانت لها سلواناً وانساً، في عصر الهزائم العربية التي منيت بها الأمة جراء بعض المتخاذلين الذين يتهافتون، واحداً تلو الآخر، للصلح مع العدو.

نعم أمام فعل المقاومة في لبنان يتضح كيف أن النفوس في فلسطين تغيرت وانتعشت، وأصبحت تحس بالسند الحقيقي، من الناحية المعنوية وغيرها، من هنا بدأت المقاومة الفلسطينية تنمو وتستمر، وأصبحنا نسمع بعمليات لأخوة استشهاديين ومواجهات شتى، في مختلف الأراضي الفلسطينية المحتلة، حتى أدهشوا العالم بتضحياتهم وصبرهم واخلاصهم لقضيتهم، وتحصين أنفسهم ومجتمعهم رغم

المؤامرات الصهيونية اليومية على هذا المجتمع، والجراح الدامية التي يتعرض لها أبناؤه. لقد صبر هذا الشعب، وعلّم العالم كيفية الصبر والمواجهة؛ وسيبقى الشرفاء في فلسطين بالمرصاد لكل المؤامرات، وسينتصر الحق على الباطل عاجلاً أم آجلاً، وستعطي دماء الشيخ أحمد ياسين(١) ومن سبقوه والدكتور عبد العزيز الرنتيسي ومن يلحق بهم عزيمة ودفعاً للشعب الفلسطيني لتحرير أرضه.

إن ما تسعى اليه المقاومة الإسلامية في لبنان وما سعت وستسعى هو انتاج مجتمع مقاوم حضاري يحفظ لبنان على المدى البعيد، وإذا ما نظرت إلى الجهود البناءة للمقاومة الإسلامية على صعيد استنهاض الأمة، ومن خلال المظاهر والتجليات التي استعرضتها في هذا الصدد، أرى النتائج العملية جلية في المجتمع اللبناني والعربي، والفلسطيني، كما سبق وذكرت.

وكما نعرف، فإن لكل مجتمع خصوصية وأهدافاً، ويأتي دور المقاومة الصعب في التغلغل إلى هذه المجتمعات، لتصنع منها مجتمعاً واحداً، مقاوماً، حضارياً وعزيزاً. وهذا المجتمع المقاوم يجب أن تسوده قواعد أساسية للوصول إلى مبتغاه المطلوب، وتلزمه مقومات شتى، من ضمنها: المقومات المادية التي من خلالها يستطيع الصمود بوجه الأعداء، وهذا واجب الدولة في تأمينها للشعب اللبناني، ليستطيع

---

(١) مؤسس حركة المقاومة الاسلامية حماس. اغتاله العدو الصهيوني في فلسطين (غزة) فجر يوم الاثنين الواقع في ٢٢ /٣/ ٢٠٠٤ ميلادياً بعد تأديته لصلاة الفجر على طريق منزله، وذلك بواسطة صاروخ أطلق عليه من طائرة مروحية.

الصمود أمام العدو الشرس. والمقومات المعنوية وهي ما وفرته المقاومة الإسلامية للأمة جميعاً.

أما القواعد التي يجب أن تكون، والتي هدفت المقاومة إلى انتهاجها، للوصول إلى المجتمع المقاوم: فهي أن يكون المجتمع عقائدياً متفهماً للأمور الدينية، وقوياً يستطيع الدفاع عن نفسه، ومحصناً من الناحية السياسية، ينتهج السياسة الهادفة لبناء المجتمع الصحيح والسليم،ثم أن يكون مجتمعاً بعيداً عن الفساد ويحارب المؤامرات التي تحاك عبر وسائل الإعلام وأساليب الاستعمار المختلفة للفتك بمستقبله. وأن يكون متعاوناً يشد بعضه عضد البعض، ومثقفاً يحمل القلم بيد والسلاح باليد الأخرى، ويكون القرآن أساساً لمسيرته، وأن يكون مجتمعاً عزيزاً فخوراً بإرادته وعزمه ومعنوياته أمام أعدائه وبالتالي إذا وجد عندنا هكذا مجتمع تسوده تلك القواعد، وتسوده وحدة الهدف ووحدة التحرير ووحدة المصير، يكون النصر بإذنه تعالى، وإن المجتمع الذي يسير وفق هذا التصور الذي سعت المقاومة لتطبيقه، سيصبح مجتمعاً مقاوماً، حضارياً، عزيزاً، ويحافظ على نهضته وحقه بين الأمم.

من هنا يجب أن نعرف ماذا نريد من هذه النهضة لكي تستمر، وإذا تحدثت عن الهدف من النهضة أقول: يجب الوصول بالمجتمع إلى قمة العيش السليم، ضمن قواعد صحيحة وسليمة، للوصول به إلى قمة التآخي والتآلف اللذين يمثلان الأصول المهمة في بناء المجتمعات، والوصول بالمجتمع إلى أرقى درجات المستوى الحضاري الذي يستطيع من خلاله النفوذ إلى مجتمعات العالم، وبالتالي تتوحد مجتمعاتنا

لتضاهي مجتمعات العالم والأمم الأخرى، بحيث تكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١]، ونصل بالمجتمع والأمة إلى الثقة بحضارتها، وثرواتها، وكيفية استخدامها، ودحض الأباطيل التي يريد الاستعمار أن يزرعها فينا، وعلى هذا الأساس، وأمام هذا الطلب المحق لوجود النهضة، تسعى المقاومة الإسلامية لاستمراريتها، لتكون هذه المقاومة عوناً للأمة في نهضتها، وبالتالي فإن الحضارات القوية تثبت جدارتها وقوتها من خلال العناصر التي تتألف منها، وان ديمومتها واستمرارها يتطلبان جهداً قوياً وفعّالاً من كل عناصر الأمة، لتكون نهضة استراتيجية على مدى الصراع القائم مع الاحتلال والظلم والاستبداد، وهذا يتطلب أموراً كثيرة للوصول إليه منها:

أ ـ توحيد القيادة، فإن وجود قائد واحد للأمة الإسلامية أمر مهم، ويشكل العامود الفقري لاستمرارها في مواجهة الأعداء، بحيث أرى أن الفرقة وتعدد القيادات هو من السلبيات التي تطيح بالأمة ومقدراتها من جذورها، وهذا ما سعى الاستعمار ولا يزال يسعى إليه، وهذا الطرح (وحدة القيادة) قدمته المقاومة الإسلامية منذ البداية، وهي تسير عليه وهو بلا شك من أسرار نجاحها.

ب ـ إيجاد أكبر عدد ممكن من الدعاة إلى الله، للعمل المستمر ضمن مخطط توجيهي، فينتشرون في الأرض في سبيل المساعدة على نشر دين الله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

ج ـ تعريف الناس على أساليب الاستعمار التي يسعى للإطاحة بهذه الأمة، ليملكوا الوعي الكافي لكشف خطط الاستعمار الذي يقدم نفسه، بعدة ألوان وعناوين قد تكون مألوفة لأي مجتمع، من دون أن يشعر بوجود أيادٍ خفية، وهذا ما تعمل المقاومة الإسلامية جاهدة لتحقيقه.

د ـ دعم المقاومة الإسلامية لضمان استمرارها، وبالتالي ضمان استمرار الأمة في نهضتها.

هـ ـ المساعدة في العمل لتأسيس حركات مناهضة للظلم والاستعباد والاحتلال أينما وجد، على غرار تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان، وهذا ليس صعباً ولا مستحيلاً، فحيث يوجد احتلال من المفترض إيجاد المقاومة، فتجربة لبنان ليست استثناءً، كما عبر عن ذلك السيد نصر الله بقوله «نريد أن نؤكد أن الانتصار ليس استثناءً، فممكن أن يتحقق في أي بلد تحتل أرضه، ويتخذ شعبه قرار المقاومة، أياً تكن إمكانات هذا الشعب»[1].

وعليه أرى أنه من الواجب على جميع القوى الشريفة أن تقف إلى جانب المقاومة الإسلامية لتتضافر كل الجهود من أجل استنهاض الأمة، وتبقى المقاومة هي حصن لبنان، وحصن الأمة ويبقى لبنان والأمة حضناً للمقاومة ، وهذا ما دعا إليه السيد نصر الله بقوله: «انه من الواجب على لبنان أن يحمي المقاومة وسلاحها، من باب المصلحة الوطنية العليا» كما

---

(١) نصر الله، حسن، بعلبك، ذكرى عيد الانتصار والتحرير الثالث، في ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٣.

دعا الأحزاب السياسية إلى إعادة أطر المقاومة لديها، لتكون جاهزة مع المقاومة الإسلامية لمواجهة أي تحدٍ من قبل الصهاينة، هذه المقاومة التي حملت لواء الدفاع عن الأمة جمعاء، وكانت رأس الحربة في القتال مع العدو الصهيوني في ذلك، كما قال الإمام السيد الخامنئي. فالشهداء حجة على علماء المسلمين في العالم، حجة لأنهم يدافعون عن هذه الأمة ويقدمون الكثير في سبيل القضية والمجتمع، في وقت يتلهى فيه بعض الناس خلف أشياء فارغة وحطام الدنيا الزائل، وهم وحدهم يحملون هم التحرير وهم الأمة حتى لا تضيع الأمة الإسلامية في وحول الصهيونية، وتخسر كل أمجادها وثقافتها وحضارتها التي هي من الحضارات الانسانية الرائدة.

الخاتمة

لقد حاولت جهدي أن يبقى هذا الكتاب محصوراً بالحديث عن المقاومة الإسلامية ومشروعها لاستنهاض الأمة، من الناحيتين: النظرية والعملية رغم أن الموضوع واسع ومتشعب لما له من علاقة بالسياسة والاجتماع والفلسفة والدين وغيرها من العلوم، وعليه فإن الكتاب في وجهه الحالي يتكلم عن فلسفة الاستشهاد ونتائجه وانعكاساته. هذه الفلسفة المتعلقة بأهم قضايا العصر وأكثرها جدلاً وحساسية إن من حيث المفاهيم والمصطلحات أو من حيث الفعل وانعكاساته.

في هذا البحث المتعلق بنهضة الأمة ركزت على موضوع مشروع المقاومة الإسلامية والاستنهاض الذي هو عنوان لهذا البحث، ولما كنت قد تحدثت عن الاحتلال والإرهاب والاستشهاد والانتحار وغيرها من المواضيع ذات العلاقة بطبيعة هذا البحث، فإنني ابتغيت من كل ذلك أن أبيّن مدى ترابط هذه المواضيع مع مشروع الاستنهاض سلباً أم إيجاباً، من هنا ارتأيت الاختصار في موضوع معين والإسهاب في موضوعٍ آخر بحسب الحاجة، متوخياً أن تكون النتيجة معرفة العوائق والحوافز أمام مشروع المقاومة الاستنهاضي.

وعليه، فإنني أرجو أن أكون قد خلصت إلى نتائج متوافقة مع مضمون الموضوع وأغراض البحث التي توجهت لبحثه وقد استنتجت التالي:

١ ـ إن الصراع قائم منذ بداية البشرية، وإن الحق لا يمكن أن ينتصر على الباطل إلا من خلال فكر سليم يحمله الإنسان ويكون منسجماً معه ومع فطرته، مدعوماً بالقوة، حيث إن الإنسان لا يمكن أن يستعيد أرضه التي احتلت إلا بالقوة وخاصةً إذا كان يواجه عدوّاً لئيماً كالعدو الصهيوني الذي تواجهه المقاومة الإسلامية، والشعوب العربية، فلا بد للمظلوم من الوقوف في وجه الظالم ولا بد للإنسان أن يحدد موقفه تجاه الظلم أينما كان.

٢ ـ يجب ايجاد خطط مدروسة من جميع النواحي الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية، لمواجهة الاحتلال والإرهاب والإشاعات، في جميع الأصعدة الإعلامية والعسكرية والسياسية، لنستطيع أن نحفظ الارض والإنسان الذي أراد له الله الخير والمحبة والعزة والسلامة.

٣ ـ بعد قراءتي ودراستي لمشروع المقاومة الإسلامية في لبنان على مستوى استنهاض الأمة، وجدت أن المقاومة عملت وتعمل على إيجاد الخطط للنهوض بالأمة، وتسعى لإشراك الجميع بذلك، لتحفظ الوطن والأمة، بحيث تستطيع أن تبني قوة عسكرية للدفاع عن الأرض والإنسان واستطاعت أن تعمم نهج العداء لإسرائيل في الوطن وخارجه،

وفي شتى قطاعات المجتمع العلمية والسياسية، وأن تدافع عن حقوق الناس.

٤ ـ لقد ساعدت المقاومة في تصحيح المفاهيم من خلال العمل الاستشهادي والجهادي، وأعادت للشخصية العربية والمسلمة توازنها الفكري والسلوكي والنفسي كي ينسجم مع العقيدة.

٥ ـ نظراً لأداء المقاومة الإسلامية في لبنان على الأصعدة الفكرية والنظرية والعملية والتحريرية، تغيرت نظرة الناس إليها. فالمؤيدون لنهجها ازدادوا تمسكاً فيها وتأييداً لمواقفها وخطها الوطني، والمنتقدون لسياستها غيَّروا نظرتهم إليها وموقفهم منها فتحوَّلوا من معارضين لها إلى مؤيدين لخطها.

٦ ـ خط الشهادة والمقاومة خط هادف يسعى الإنسان من خلاله إلى تحقيق العدالة في الدنيا والرضا الإلهي في الآخرة، بعكس الانتحار الذي بدوره يؤدي إلى الفوضى وضياع الدنيا وخسران الآخرة والمكوث في جهنّم. وقد توصلت إلى أن مفهوم الاستشهاد بعيد كل البعد عن مفهوم الإرهاب.

٧ ـ أصبحت المحافظة على المقاومة من الشروط الوطنية لوجود الأمة واستمرارها، فمن دونها يخسر الوطن عزّته ومنعته، من هنا علينا جميعاً ان نحافظ على مقاومتنا عزيزة قوية، سواء كان الوطن محتلاً أو معتدّى عليه أو مهدّداً، ولا شك في أن هناك علاقة ملازمة بين المقاومة وفعلها من جهة والانتصار والعزة من جهة أخرى، لذا علينا جميعاً أن نتمسك بالخط الذي يوصلنا إلى العزة والكرامة والنصر.

٨ ـ وقد توخيت منذ البداية أن أخلص إلى أن الأمة ستنهض من خلال فعل المقاومة إذا تمسكت بالدين والإرادة الحرة واستجمعت عناصر القوة، وخلصت بعد الدراسة الكاملة الى أن ذلك تحقَّق فعلاً وبدا جليّاً، وأن المقاومة أنارت الدرب لكل المستضعفين في العالم، وما على الناس إلا الاستمرار بحفظ هذا النهج لبلوغ النصر والفلاح مهما كثرت المصاعب والتضحيات واشتدت الضغوطات، من قبل أعداء الأمة.

وفي الختام، آمل من الله أن يكون قد وفقني في بحثي هذا، وأن يوفق الغيورين على مصالح وطنهم وأمَّتهم في مثل هكذا أبحاث لتكشف الغموض والتشويش وتستنهض المجتمع بكافة قطاعاته ومشاريعه وانتماءاته كي نكون أوفياء وقبل كل شيء للشهداء والمقاومين الذين كان استشهادهم نعمة علينا بالحرية والعزة والكرامة، وأوفياء للعلم الذي نحمله وللأمة التي ننتمي إليها، وقد أرداها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس.



المــلاحــق

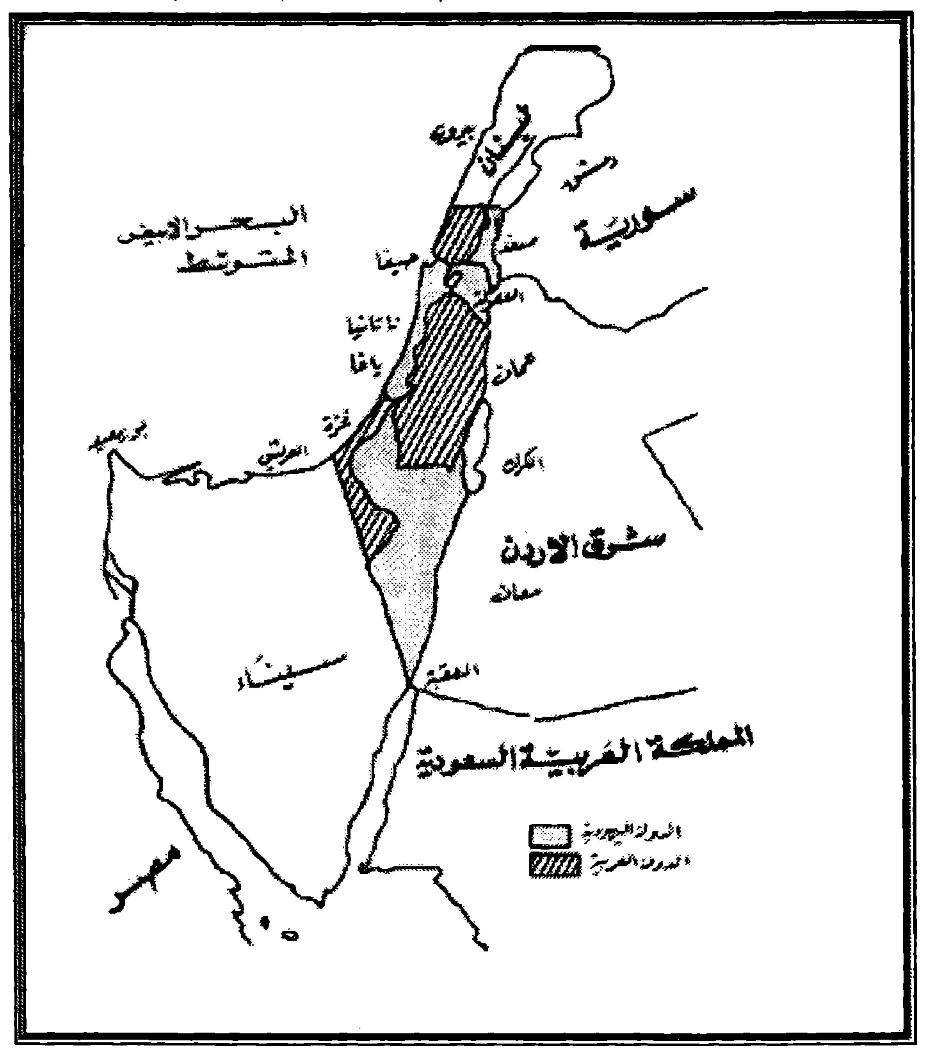
* ملحق رقم ١: خارطة اسرائيل طبقاً لقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ م.

* ملحق رقم ٢: جدول بعدد عمليات المقاومة الاسلامية.

* ملحق رقم ٣: صورة لمواكب شهداء المقاومة الاسلامية العائدين من الاسر.

ملحق رقم (١)

خارطة إسرائيل طبقاً لقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م[١].



---

(١) شحاتة إبراهيم، الحدود الآمنة والمعترف بها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ٢، بيروت، ١٩٧٥، ص xvii..

ملحق رقم (٢)

جدول بعدد عمليات المقاومة الإسلامية منذ العام ١٩٨٢م وحتى العام ٢٠٠٢م[1].

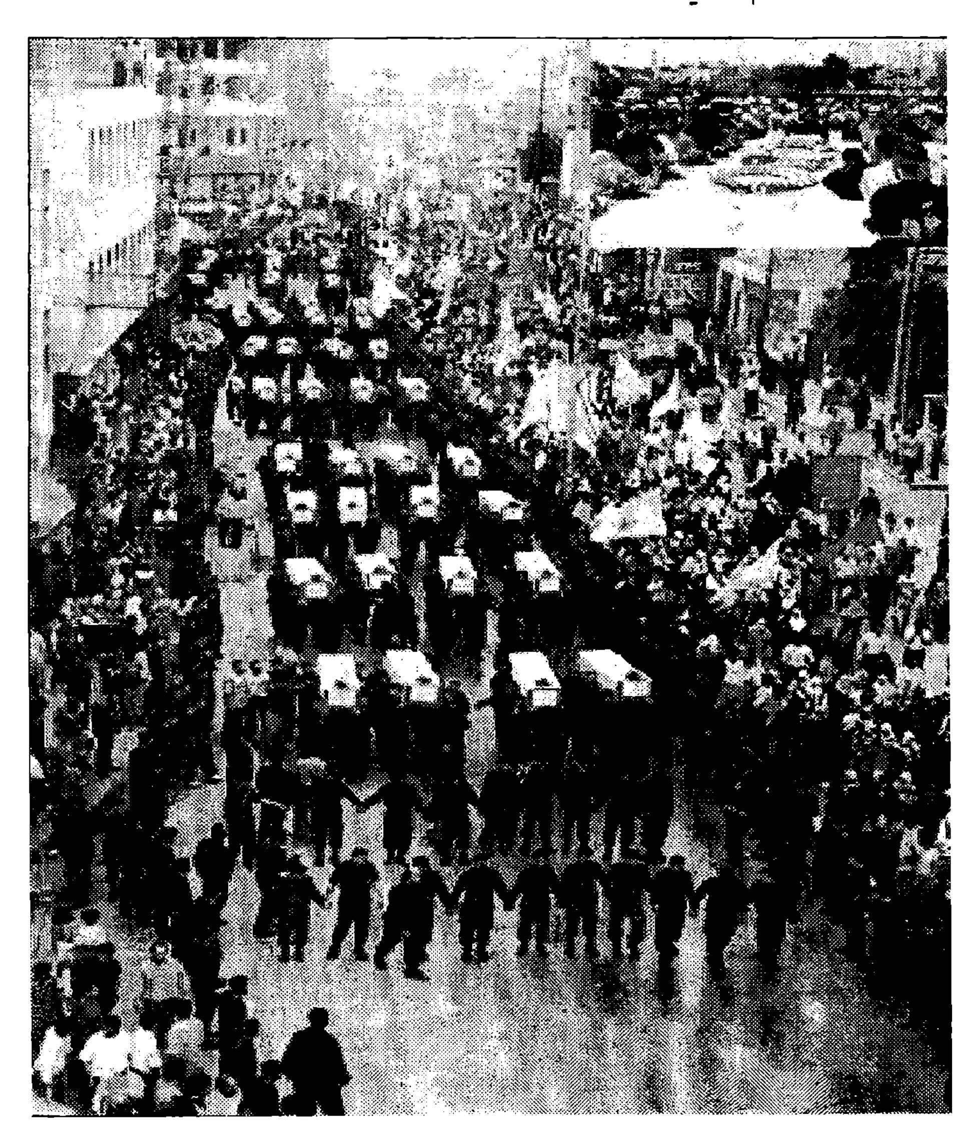
العام	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧
العدد	٢	١	٤٥	٧٧	٣٤٨	٢٥٢
العام	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣
العدد	٢٣٤	١٠٠	٦٤	٨٠	١٤٥	٤٧١
العام	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧	١٩٩٨	١٩٩٩
العدد	٣٩٠	٦٦٧	٧٦٧	٧٩٣	١١٦٤	١٥٢٩
العام	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢			
العدد	٩١٠	٤٩	٢٠٥			

المجموع العام للعمليات الجهادية: (٨٢٩٣ عملية).

(١) المركز الاستشاري للدراسات، حارة حريك، ٢٠٠٣م.

ملحق رقم (٣)

صورة لمواكب شهداء المقاومة الاسلامية العائدين من الأسر بتاريخ ٢٦/٦/١٩٩٨م. في ضاحية بيروت الجنوبية.



الفهـــارس

1 ـ المصادر والمراجع
2 ـ فهرس الآيات القرآنية
3 ـ فهرس الأعلام
4 ـ فهرس الموضوعات

١ ـ المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الامام علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، شرح محمد عبدو، ب ط، بيروت، دار المعرفة، ب ت.

٣ ـ ابن منظور، لسان العرب، ط١، بيروت، دار احياء التراث، ج١٩٨١ م.

٤ ـ ابو النصر، فيصل، حزب الله حقائق وأبعاد، ط١، لبنان، الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٣م.

٥ ـ أيوب، س، الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ١٩٢٢/١٩٥٨، ط١، بيروت، دار الحرية، ١٩٥٩م.

٦ ـ البغدادي، قاسم مكي، الشهادة تأصيل لا استئصال، ط١، بيروت، الدار الاسلامية،١٤٢٣هـ/١٩٩٣م.

٧ ـ البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ ط١، دمشق، دار الفكر ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٨ ـ تكروري، نواف هايل، العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي، ب ط، دمشق، مكتبة الاسد،١٩٩٧م.

٩ ـ الجندي، انور، يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار، ط١، بيروت، مطبعة الرسالة، ١٩٧١م.

١٠ ـ الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، ط٣، بيروت، دار الأرقم، ١٩٨١م.

١١ ـ خالد علي، فلاح، الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨/١٩٤٩ وتأسيس اسرائيل، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.

١٢ ـ الامام الخميني، الحكومة الاسلامية، ب ط، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩م.

١٣ ـ الدباغ، فخري، الموت اختياراً، ط١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٨م.

١٤ ـ الدردير، أحمد، الشرح الكبير، ب ط، بيروت، دار احياء الكتب العربية، ج١، ب ت.

١٥ ـ الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ب ط، بيروت، الدار الاسلامية، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

١٦ ـ سبينوزالسي، وليّام، دفاع ام عدوان القوانين الامريكية لضبط صادرات السلاح والاجتياح الاسرائيلي للبنان، ط١، قبرص، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، شركة الخدمات والنشر المستقلة المحدودة، ١٩٨٣ م.

١٧ ـ سعدي، ابو حبيب، القاموس الفقهي، لغة واصطلاحاً، ط٢، سورية، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.

١٨ ـ سويد، ياسين، عملية الليطاني، نظرة استراتيجية، ط ٢، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجي والبحوث والتوثيق، ١٩٩٣م.

١٩ ـ شحاتة، ابراهيم، الحدود الامنة والمعترف بها، ط٢، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥م.

٢٠ ـ شرارة ناصر، حرب الساعات الثلاث ـ انصارية العصف المأكول، ط١ بيروت، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ١٩٩٩م.

٢١ ـ شكري، محمد عزيز، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩١ م.

٢٢ ـ شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، عالم المعرفة، ترجمة كامل حسين، الكويت المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٤ م.

٢٣ ـ الصدر، محمد باقر، خلافة الانسان وشهادة الانبياء، ط٢، بيروت، دار التعارف، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٢٤ ـ الصدر، موسى، منبر ومحراب، عبارة عن كلمات وخطب، ط١، بيروت، دار الأرقم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٥ ـ الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ط٣، بيروت، دار النهار للنشر، ١٩٧٢ م.

٢٦ ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ب ط، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم، ب ت.

٢٧ ـ عبد الرحمان، أسعد، المنظمة الصهيونية العالمية وتنظيمها واعمالها (١٨٨٢ ـ ١٩٨٢)، ط١، بيروت، اعداد منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث،١٩٦٧م.

٢٨ ـ العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، في شرح صحيح البخاري، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ج١، لا ت.

٢٩ ـ عليق، ناصر، فلسفة الاستشهاد، الله والوطن في خطاب المقاومة الاسلامية في لبنان،ط ١، بيروت، دار المواسم،٢٠٠٤م.

٣٠ ـ فضل الله، حسن، حرب الارادات صراع المقاومة والاحتلال الاسرائيلي للبنان، ط١، بيروت، دار الهادي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣١ ـ فضل الله، هادي، مدخل إلى الفلسفة، ط١، بيروت، دار المواسم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.

٣٢ ـ فضل الله، هادي فكر الإمام موسى الصدر السياسي والإصلاحي ط١، بيروت، دار الهادي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٣ ـ فضل الله، هادي، رائد الفكر الإصلاحي السيد عبد الحسين شرف الدين، ب.ط، بيروت، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٣٤ ـ فياض، نوال، صفحات من تاريخ جبل عامل في العهد العثماني والفرنسي، ط١، بيروت، دار الجديد،١٩٨٢م.

٣٥ ـ قاسم، نعيم، حزب الله ـ المنهج ـ التجربة ـ المستقبل، ط١، بيروت، دار الهادي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م.

٣٦ ـ الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ط١، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م.

٣٧ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ج٣، ١٩٨٣م.

٣٨ ـ مراد، عبد الفتاح، الاتفاقيات الدولية الكبرى، ط١، مصر، ب د، ب ت.

٣٩ ـ مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، تجمع العلماء المسلمين في لبنان، ط٢، بيروت، دار الوحدة الاسلامية، ٢٠٠٢م.

٤٠ ـ مطهري، مرتضى، شهيد يتحدث عن شهيد، ط١، ترجمة بقية الله الأعظم، بيروت، الدار الاسلامية، ٢٠٠٠م.

٤١ ـ مغنية، محمد جواد، إسرائيليات القرآن، ط ٢، بيروت، دار الجواد، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.

٤٢ ـ موسى، فرح، السلام المسلح بين العرب وإسرائيل، ط١، بيروت، دار الوسيلة، ١٩٩٤م.

٤٣ ـ الموسوعة الفلسفية العربية، ط١، بيروت، معهد الانماء العربي، ١٩٨٦ م.

٤٤ ـ المنجد في اللغة، ط٢٥، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦ م.

٤٥ ـ نور ثون، أ ـ ر، أمل والشيعة، ترجمة غسان الحاج عبدالله، ط، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٨م.

٤٦ ـ هويدي، يحيى، مقدمة في الفلسفة العامة، ط٧، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.

* **النشرات:**

١ ـ البرنامج الانتخابي لحزب الله، تموز ١٩٩٢م.

٢ ـ الرسالة المفتوحة لحزب الله، ١٩٨٥م.

٣ ـ نشرة خاصة لمركز تنظيم وحفظ آثار الشهداء، بيروت، ٢١/٥/٢٠٠٣م.

٤ ـ نشرة المقاومة، الصراع العربي الصهيوني تاريخ في المجازر (١٩٣٧ ـ ٢٠٠٢) عدد خاص، ٧٦، العام السابع ٢٠٠٢م.

* **الصحف والمجلات:**

١ ـ صحيفة السفير، بيروت، ٧/٤ و١٧ / ٦ / ١٩٩٩م.

٢ ـ صحيفة الشرق، بيروت، ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٢م.

٣ ـ صحيفة اللواء، بيروت، ١١/ ١٢ / ٢٠٠١ م.

٤ ـ صحيفة العهد، بيروت، ١٩/٤/١٩٩٩م

٥ ـ مجلة بقية الله، بيروت، ت ١، عدد ١٤٥،٢٠٠٣م.

٦ ـ مجلة الغدير، بيروت، عدد ٢٣.

٧ ـ مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت، الوحدة الإسلامية للاعلام والتوثيق، ت١، عدد، صفر٢٠٠٠م.

٢ - فهرس الآيات القرآنية

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥]: ٢٠١
- ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]: ١٣٨
- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]: ١٠٢
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥]: ١٥٥
- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]: ١٤، ٢٢٣
- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]: ٩١، ٢٠١
- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]: ١٥
- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]: ١٧١
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ [الروم: ٤٠]: ١٧٢
- ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]: ١٣
- ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]: ٨٨، ١٨١
- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]: ١٦٩
- ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]: ١٣٤
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة: ٣٠]: ١١
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]: ٢٠٠

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]: ٧٩
- ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]: ٢٠١
- ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]: ١٣٣
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ١٢]: ١٢
- ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]: ١٠٢
- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]: ١٣
- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٩]: ٣٣
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: ٧٠
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]: ٦٦
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]: ١٢
- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]: ٢٠٠
- ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]: ٢٠١
- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]: ٨١

٣ ـ فهرس الأعلام

٤ ـ فهرس الموضوعات

هذا الكتاب...

محاولة لتوضيح الرؤية عن مشروع المقاومة الاسلامية لاستنهاض الأمة، وفي طياته حديث عن الاستشهاد وأثره وهو يحتوي على قسمين أساسيين: قسم نظري يتحدث عن الاستشهاد كفلسفة، وقسم عملي يتناول فعل الاستشهاد في الأمة.

وقد خصص الكتاب لفريقين من القراء، للفريق الذي يريد أن يتعرف على المقاومة الاسلامية ومشروعها بشكل عام، والفريق الذي يريد أن يبحث ويدقق ويحلل فعل المقاومة وأثره بين الناس.



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
E-mail: daralhadi@daralhadi.com
URL: http: //www.daralhadi.com